روائع تراث الزيدية

تفسير الإمام الهادي

(الجزء الأول)

تأليف

الإمام الهادي

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم
بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن
بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

(٢٤٥-٢٩٨هـ)

تحقيق

عبد الكريم جدبان

روائع تراث الزيدية

تفسير الإمام الهادي

(الجزء الأول)

تأليف

الإمام الهادي

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم
بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن
بن علي بن أبي طالب عليهم السلام
(٢٤٥ – ٢٩٨هـ)

تحقيق

عبد الكريم احمد جدبان

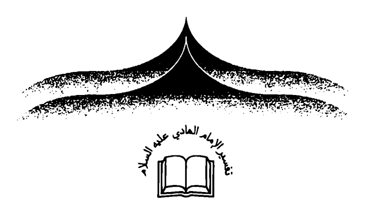
الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

رقم الإيداع بدار الكتب - صنعاء

(٤٤٠ / ٢٠١٢م)

التنفيذ الطباعي
دار الإمام زيد بن علي
ت (٧٧١٢٢٣٥٧٨)


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة التحقيق



مقدمة

المؤلف

هو أبو الحسين، يحيى بن الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم، بن إسماعيل، بن إبراهيم، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أبوه:

يحيى، بن الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم، بن إسماعيل، بن إبراهيم، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أمه:

أم الحسن ـ فاطمة ـ بنت الحسن، بن محمد، بن سليمان، بن داود، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب، عليهم السلام.

ولادته:

ولد بالمدينة سنة خمس وأربعين ومأتين (٢٤٥ هـ)، وكان بين مولده وبين موت جده القاسم سنة واحدة، وحمل حين ولد إليه، فوضعه في حجره المبارك، وعوَّذه وبرَّك عليه ودعا له، ثم قال لابنه: بم سميته؟ قال: يحيى. وقد كان للحسين أخ لأبيه وأمه يسمى: يحيى، توفي قبل ذلك، فبكى القاسم عليه السلام حين ذكره، وقال: هو والله يحيى صاحب اليمن. وإنما قال ذلك لأخبار رويت بذكره وظهوره باليمن، وقد ذكرها العباسي المصنف لسيرته عليه السلام [1].

---

(١) الإفادة/ ١٢٩.

صفته:

كان أسديا، أنجل العينين، واسع الساعدين غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز كالأسد [١].

وكان موصوفا من أيام صباه بفضل القوة والشدة والبأس والشجاعة.

ومما حكي من قوته وشدته: أنه كان يأخذ الدينار بيده فيؤثر في سكته [٢] بإصبعه ويمحوها.

ومن الحكاية المشهورة عنه أنه كان له على رجل حق قبل أن يلي الأمر، فماطله وامتنع من توفيته، فحَرِدَ [٣] عليه يوما، فأهوى إلى عمود حديد فلواه في عنقه، ثم سواه وأخرج عنقه منه.

وحدثني أبو العباس الحسني رحمه الله، عن محمد بن علي بن سليمان الرسي، عن ابن لمحمد بن القاسم عليه السلام، أن يحيى عليه السلام كان غلاما حَزَوَّراً [٤] بالمدينة، وكان طبيب نصراني يختلف إلى أبيه الحسين بن القاسم، على حمار له يعالجه من مرض أصابه، فنزل عن الحمار يوما وتركه على الباب، فأخذ يحيى عليه السلام الحمار وأصعده على السطح، فلما خرج الطبيب لم يجد الحمار، فقيل له: صعد به يحيى السطح، فسأله أن ينزله، فمن المثل السائر: إنما ينزل الحمار من صعد به. فأنزله وقد دميت بنانه، فبلغ ذلك أباه فزجره وخاف عليه أن ترمقه العيون.

وحكى أبو العباس رحمه الله، عن بعض من ورد تلك الناحية من العرب أن يحيى عليه السلام كان يدخل السوق بالمدينة وهو حَدَث في أوان البلوغ، وقد

---

(١) الإفادة/ ١٣٠.

(٢) السكة: الكتابة المضروبة على الدنانير والدراهم.

(٣) حَرِدَ: غضب.

(٤) الحزور: الغلام القوي.

امتاروا[1] من موضع، فيقول: ما طعامكم هذا؟ فيقال: الحنطة. فيدخل يده في الوعاء فيأخذ منها في كفه ويطحنه بيده، ثم يخرجه فيقول: هذا دقيق. يُرِي شدته وقوته [2].

عاش في عهد الدولة العباسية، وعاصر جعفر المتوكل الذي قتل سنة (٢٥٢هـ)، والمعتز بن جعفر المتوكل، المتوفى سنة (٢٥٥هـ)، ومحمد المهتدي، المتوفى سنة (٢٥٦هـ)، وأحمد بن جعفر بن المتوكل، المتوفى سنة (٢٧٩هـ)، وأحمد المعتضد بن أبي أحمد الواثق، وبويع الإمام الهادي عليه السلام في عصره، والمعتضد هذا توفي سنة (٢٨٩هـ)، ثم ولده علي المكتفي بن أحمد المعتضد، المتوفى سنة (٢٩٥هـ)، وجعفر بن أحمد المقتدر، المتوفى سنة (٣٢٥هـ).

فقد عاصر كما ترى تسعة من ملوك بني العباس، لأنه توفي سنة (٢٩٨هـ).

أولاده:

١- محمد المرتضى، ٢- أحمد الناصر، ٣- فاطمة، ٤- زينب، أمهم فاطمة، بنت الحسن، بن القاسم، بن إبراهيم، ٥- الحسن، أمه صنعانية.

مشائخه:

أبوه الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم.

عمه محمد، بن القاسم، بن إبراهيم.

عمه الحسن، بن القاسم، بن إبراهيم.

أبو القاسم البلخي، عبد الله، بن أحمد بن محمود، الكعبي.

أبو حازم، القاضي.

---

(١) امتاروا: اشتروا الميرة.

(٢) الإفادة / ١٢٩ – ١٣٠.

تلامذته:

١ - عبد الله، بن الحسين، بن القاسم(أخوه).

٢- أبو جعفر محمد بن عبيد الله العباسي العلوي.

٣- علي، بن محمد، بن عبيد الله، العلوي.

٤- محمد، بن سليمان الكوفي.

٥- محمد، بن سعيد، بن يوسف البركي.

٦- علي، بن سليمان الكوفي.

٧- عبد الله، بن أحمد التميمي.

٨- عبد الله، بن عمر الهمداني.

٩- أبو سلمة يحيى، بن عبد الله النقوي.

١٠- علي، بن العباس الحسني.

١١- أبو الحسن علي، بن أحمد، بن أبي حريصة.

١٢- الفضل، بن العباس الأنصاري.

١٣- محمد، بن يحيى، بن الحسين.(ابنه)

١٤- أحمد، بن يحيى، بن الحسين. (ابنه)

١٥- إسحاق، بن إبراهيم.

الإمام الهادي في التنبؤات

عن علي عليه السلام قال: يا أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، يا أيها الناس أنا أعلم الناس صغاراً، وأعلمهم كباراً، يا أيها الناس إن الله تبارك وتعالى بنا فتح

وبنا ختم، أيها الناس إنها ما تمر فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها، ثم ذكر فتنة بين الثمانين والمائتين، فيخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا، يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه، كما يتألف قزع الخريف، انتظروه في الأربع والثمانين ومائتين في أول سنة واردة وأخرى صادرة[١].

قال محمد بن علي العلوي،عن محمد بن سليمان، عن عثمان، عن محمد الكوفي، عن عباد بن يعقوب، عن محمد بن فرات، قال: سمعت زيد بن علي رحمه الله تعالى يقول: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: دعوتكم إلى الحق فتوليتم، وضربتكم بالدرة فأعييتموني، أما إنكم ستليكم ولاة لا يرضون منكم بهذا، يعذبونكم بالسوط والحديد، إن من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يدخل بين أظهركم فيأخذ العمال وعمال العمال، رجل منا أهل البيت فانصروه فإنه يدعو إلى الحق[٢].

وقال محمد بن علي العلوي، عن محمد بن سليمان، عن علي بن أحمد القطان الكوفي، عن عمر بن الوليد، بإسناد رفعه إلى محمد بن علي باقر العلم قال: إذا قتل أهل مصر أميرهم وظهر اليماني باليمن فإنه يملأ الأرض عدلا، أو شبيها بهذا، وقد قتل أهل مصر أميرهم سنة ثمانين ومائتين[٣].

وقال محمد بن علي العلوي، عن محمد بن سليمان، عن عبد العزيز بن مروان،

---

(١) سيرة الهادي / ٣١.

(٢) سيرة الهادي/ ٢٩.

(٣) كان خمارويه بن أحمد بن طولون أميراً على مصر سنة ثمانين ومائتين، وقد قتل غيلة في دمشق سنة اثنتين وثمانين ومائتين. انظر تاريخ الطبري ١٠/ ٤٢ ط دار المعارف، كتاب الولاة، كتاب القضاة للكندي/ ٢٤١ ط بيروت ١٩٠٨.

عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: أول ما يأتيكم الفرج من قبل اليمن وقد قال فيه ابن عقيب الشاعر شعراً:

عــدا قــومٌ عــلى ملــك ... وكـــان الله قـــد شـــدَّه
ولا بـــد لأهـــل البيـــت ... أن يســـترجعوا عَقـــدَه
إذا مَضَـــت المائتـــان ... واســـتوفت لهـــا العِـــدّة
وعشـــر بعـــد ســـبعين ... فقـــد انقضـــت المـــدّة
وجاءتنـــا أمـــاراتٌ ... فهيأنـــا لهـــا العـــدة
إذا مـــا خـــرج الهـــاد ... يُّ بعـــد البـأس والشـــدة
فيـــا لله عينـــا مـــن ... رآه طاويـــاً صـــعدة
بفتيـــانٍ مصـــاليت ... وأشـــياخٍ ذوي نجـــدة
ليلقـــى أمـــة حـــادت ... عـــن الإســـلام مُرتـــدَّة

وقال أيضا:

ألا يـا لقـومي للبيـاض المصَبَّح ... وقتـل بنـي بنـت النبـي ببَلـدح
وللحرب لا تسري وقد طال شرها ... عـلى قـوم إدريـس بجـذعٍ وقـرَّح
ألا قـل لإدريـس ويحيـى تربصـا ... ولا تعجـلا إن العجـول منـوَّحُ
ففي سَنة الثنتين مـا أنـت عـارف ... وفي أربـع مـن ذاك أمـر مصـرح
كما صرحت من جند المحض دعوة ... ملحلحة من ضرع حمـراء صـدح
إذا ما مضت المائتان من نص أحمد ... ومن عقد ستين فستٍ سَتطرح
فـإن ليحيـى دولـةً تعرفونهـا ... إذا أسرفت فيكم سلاطين جُمحُ
عن الحق لا يـدرون كيـف طريقـه ... تمادى بهم في الغـي جـرم مطـرح
وذلـك إن عشـتم فسـوف ترونـه ... ولم يلحقـوا إلا بـذكرٍ مُطـوح
فيحـى يقـيم الحـق لا شيء غـيره ... ويُظهر عـدلا مـن شريـف مُـبرح

يَــذِب بــدين الله حَــذو نبيــه — كــما ذبَّ آبــاء الكــرام المسـبح
يقــوم بــه حــزب الإلــه وشِــيعة — غَطــارف أمثــال الأهلــة نُضــح
وســوف لعمــري تعلمــون مقــالتي — إذا ما رأيتم فارس الحرب يذبح[1]

وقال ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري عند شرح حديث « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان »: (... ويحتمل أن يكون بقاء الأمر في قريش في بعض الأقطار دون بعض، فإن بالبلاد اليمنية وهي النجود، منها طائفة من ذرية الحسن بن علي لم تزل مملكة تلك البلاد معهم من أواخر المائة الثالثة... وكبير أولئك أي أهل اليمن يقال له: الإمام، ولا يتولى الإمام فيهم إلا من يكون عالما متحريا للعدل ... الذي في مصر لا شك في كونه قرشيا، لأنه من ذرية العباس، والذي في صعدة وغيرها من اليمن لا شك في كونه قرشيا) [2].

أقول: وفي هذا إشارة واضحة للإمام الهادي عليه السلام، الذي ظهر في اليمن في أواخر المائة الثالثة سنة (٢٨٤هـ).

علمه:

في ذلك البيت الزاخر بالعلماء، كانت نشأة الإمام الهادي، وعلى يد والده المحدث العابد وأعمامه الفقهاء، كانت دراساته الأولى. ولا تقول لنا المصادر في أي سِن حفظ هذا الفتى القرآن الكريم، ولا في أي سِن ألم بعلوم القرآن والسنة. إلا أن المكانة العلمية التي وصل إليها فيما بعد، تجعلنا نقول إن ذلك الفتى ولا شك قد حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من صباه، ولا شك أن والده المحدث الفقيه قد

---

(١) سيرة الهادي/ ٣١-٣٣. والثلاثة الأبيات الأول من قوله: ألا يا لقومي ...موجودة في مقاتل الطالبيين/ ٤٥٩ .منسوبة لهاتف هتف بها على مياه غطفان، ليلة قتل الحسين الفخي.

(٢) فتح الباري ١٣/ ١٠٠ – ١٠١.

أدرك نبوغ ابنه واستعداداته الفذة، فاحتواه برعايته وتهذيبه وتعليمه. فلقد كان هو أستاذه الأول الذي تعلم منه علوم القرآن، واغترف من فيض السنة، التي كانت تملأ نفسه وعقله، وأخذ منه الفقه الغزير الذي ورثه عن آبائه، ثم كان استاذه الثاني عمه العالم النحرير[1] محمد بن القاسم الذي لعله قد لمح نبوغ ابن أخيه وتفوقه، فشمله بعنايته وأغدق عليه من علمه وفقهه، وكذلك بقية أعمامه الذين تعلم على أيديهم.

ثم يمم وجهه صوب مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت عامرة بالفقهاء والمحدثين، وأخذ يقعد إلى العلماء سواء من آل البيت أو غيرهم، ويلتهم ما عندهم من علوم القرآن والسنة. ثم كانت رحلته إلى العراق التي سبق أن رحل إليها جده الإمام القاسم، ثم عمه محمد بن القاسم، والتي كان يرحل إليها كل راغب في تحصيل أصول الدين وعلوم العقائد، فقد كانت العراق موطن الفرق المختلفة، وكما ذهب الإمام زيد قبل ذلك إلى هناك، والتقى بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة، وتذاكر معه تلك العلوم، كذلك صنع الإمام الهادي عندما ذهب إلى العراق ليقف على مختلف الأراء في أصول الدين، وهناك التقى بأحد شيوخ المعتزلة وهو أبو القاسم البلخي ودرس على يديه علم الكلام، وكما كانت المدينة المنورة موطناً لفقه الكتاب والسنة، كانت العراق تعتبر موطناً لفقه الرأي، ولعل الإمام الهادي التقى هناك باتباع الإمام أبي حنيفة وأخذ عنهم وتذاكر معهم، ولقد جاءت بعد ذلك آراء الإمام الهادي في علم الكلام مشابهة لآراء المعتزلة، كما جاءت كثير من آرائه الفقهية مشابهة لأقوال الأحناف.

بعد أن درس علوم القرآن والسنة في بيته، ثم في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، رحل إلى العراق ليقف على ما فيه من فقه الرأي وعلوم العقائد.

---

(١) المحلى: الحدائق الوردية ٢ / ١٩.

والآن نعود إلى القول بأنه بعد تلك الفترة التي قضاها في العراق عاد إلى المدينة المنورة، وإلى مسقط رأسه، عاد إلى أبيه وعمومته، وقد أصبح الآن ذلك الشاب الفقيه العابد الذي يشار إليه بالبنان، يقول المحلي عن نشأته تلك: وكان قد نشأ على العلم والعبادة حتى صار بمنزلة الطبع، ونال من العلم منالا لم يعلم أن أحداً من المشهورين أدركه في وقت إدراكه [1]. وقد سبق أن أشرنا إلى أنه بدأ التأليف وله من العمر سبع عشرة سنة.

فأما تقدمه في العلم، فاشتهاره يغني عن تقصِّيه، ومن أحب أن يعرف تفصيله فلينظر في كتبه وأجوبته عن المسائل التي سئل عنها، ووردت عليه من البلدان، نحو كتاب (الأحكام)، و(المنتخب)، وكتاب (الفنون)، وكتاب (المسائل)، و(مسائل محمد بن سعيد)، وكتاب (التوحيد)، وكتاب (القياس).

وحدثني أبو العباس الحسني رحمه الله عن الفضل بن العباس، أنه سمع محمد بن يحيى المرتضى رضي الله عنه أو غيره يقول: إن يحيى بن الحسين عليه السلام بلغ من العلم مبلغا يختار عنده ويُصَنِّف وله سبع عشرة سنة.

وحدثني رحمه الله عن أبي جعفر محمد بن العباس الحريري الفقيه، أنه سمع علي بن العباس الحسني رحمه الله تعالى يقول: إنه سمع أبا بكر بن يعقوب عالم أهل الرأي [2] وحافظهم، يقول – حين ورد عليه باليمن –: قد ضل فكري في هذا الرجل – يعني: يحيى بن الحسين عليه السلام – فإني كنت لا أعترف لأحد بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبه جَذَع، بينا أجاريه في الفقه وأحكي عن أصحابنا قولاً، إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم، فأَرَادُّه، فيخرج إلي المسألة من

(١) المحلي: الحدائق الوردية ٢ / ١٤، ١٥، والهاروني في الإفادة / ٦٣.

(٢) يعني بأهل الرأي: الحنفية، سموا بذلك لكثرة اعتمادهم على القياس.

كتبنا على ما حكى وادعا، فقد صرت إذا ادعا شيئا عنا أو عن غيرنا لا أطلب معه أثراً.

وحدثني رحمه الله قال: دخلت الري سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكنت ارتحلت إلى شيخ العلوية وعالمها أبي زيد عيسى بن محمد العلولي رحمه الله – من ولد زيد بن علي عليه السلام – وإلى غيره من ابن أبي حاتم وآخرين، وحضرت مجلس النظر لأبي بكر الخطاب فقيه الكوفيين وحافظهم، فجريت مع من حضر في مسائل النظر، فقال: ما قرابة ما بينكم وبين أصحاب اليمن من أولاد يحيى بن الحسين وأولئك الأشراف؟ فقلت له: كان يحيى بن الحسين من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن. ونحن من ولد داود بن الحسن بن الحسن، وداود وإبراهيم أخوان، فنحن وهم بنوا الأعمام، ولكن أم يحيى بن الحسين كانت عمة جدي. قال: علمت أن هذا عن أصل، وكان يعجبه كلامي.

ثم أنشأ يحدث، قال: كنا عند علي بن موسى القمي فَذُكر له خروج علوي باليمن يدعي الإمامة، فقال: حسني أم حسيني؟ فقيل:بل حسني، ويقال: إن له دون أربعين سنة، فقال: هو ذاك الفتى، هو ذاك الفتى. مرتين، فقلنا: من هو؟ قال: كنا في مجلس أبي خازم القاضي يوم الجمعة، فدخل شاب له رَوّاء ومنظر فأخذته العيون ومَكَّنُوه، فجلس في غمار الناس، فما جرت مسألة إلا خاض فيها وذكر ما يختاره منها ويحتج ويناظر، فجعلوا يعتذرون إليه من التقصير، ثم أسرع النهوض، فقيل لأبي خازم: هذا رجل من هل الشرف من ولد الحسن بن علي عليه السلام، فقال الناس: قد علمنا أن ما خالط قلوبنا من هيبته لمنزلة له. فاجتهدنا أن نعرف مكانه وسألنا عنه فلم نقدر عليه.

فلما كانت الجمعة الثانية، اجتمع الناس وكثروا شوقا إلى كلامه ورجاء أن يعاودهم، فلم يحضر، فتعرفنا حاله فإذا ذلك تخوفٌ داخله من السلطان، فكان أبو

خازم يقول: إن يكن من هؤلاء أحد يكون منه أمر فهذا. ثم عاود علي بن موسى فقال: ألم أقل: إن العلوي هو ذاك الفتى، قد استعلمت فإذا هو ذاك بعينه.

وحدثني رحمه الله، عن علي بن سليمان أنه قال: حضرنا إملاء الناصر الحسن بن علي عليه السلام في مصلى آمل فجرى ذكر يحيى بن الحسين عليه السلام، فقال: بعض أهل الرأي – وأكثر ظني أنه أبو عبد الله محمد بن عمرو الفقيه – :كان والله فقيها. قال فضحك الناصر، وقال: كان ذاك من أئمة الهدى[١]!!

وحدثني أبو العباس الحسني رحمه الله، عن أبي عبد الله اليمني رحمه الله قال: كنت أسمع الهادي عليه السلام كثيرا يقول: أين الراغب؟! أي من يطلب العلم؟! إنما يجينا مجاهد راغب في فضله! متحرٍ ما عند الله لأهله، ولعمري إنه لأكبر فروض الله على عبده، وأحق ما كان من تقدمه يده، ولكن لو كان مع ذلك رغبة في العلم وبحث عنه، لصادفوا من يحيى بن الحسين علماً جماً.

وقال أحمد بن يحيى: إنه سمع الهادي عليه السلام يقول: قد عَفُنَ العلم في صدري، كما يعفن الخبز في الجرة إذا طرح بعضه على بعض في جرة ثم لم يقلب.

وكان عليه السلام ابتدأ بتأليف كتاب (الأحكام) بالمدينة، ولما انتهى إلى باب البيوع اتفق خروجه إلى اليمن، واشتغاله بالحروب، فكان يملي بعد البيوع على كاتب له كلما تفرغ من الحرب، وكان قد هَمَّ بأن يفرع ويكثر من التفريع، فحالت المنية بينه وبين ذلك عليه السلام[٢].

---

(١) الإفادة/ ١٣١-١٣٤.

(٢) الإفادة/ ١٣٩ – ١٤٠.

مؤلفاته:

- الأحكام في الحلال والحرام. (في الفقه) طبع.
- المنتخب. (في الفقه) طبع.
- الفنون. (في الفقه) طبع.
- مجموع كتب ورسائل. (في العقيدة والتشريع والأخلاق والفقه). طبع يتضمن الآتي:

١. كتاب المنزلة بين المنزلتين.
٢. كتاب العدل والتوحيد.
٣. كتاب الجملة.
٤. كتاب أصول الدين.
٥. كتاب جواب لأهل صنعاء.
٦. كتاب البالغ المدرك.
٧. كتاب الديانة.
٨. كتاب المسترشد.
٩. كتاب الرد على أهل الزيغ من المشبهين.
١٠. كتاب تفسير الكرسي.
١١. كتاب العرش والكرسي.
١٢. كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية.
١٣. كتاب الرد على المجبرة القدرية.

١٤. كتاب الرد على سليمان بن جرير.

١٥. كتاب إثبات النبوة.

١٦. كتاب ذكر خطايا الأنبياء عليهم السلام.

١٧. كتاب تثبيت إمامة علي عليه السلام.

١٨. كتاب الرد على من زعم أن القرآن ذهب بعضه.

١٩. كتاب معاني السنة.

٢٠. كتاب القياس.

٢١. كتاب الخشية.

٢٢. كتاب المنتزع من سياسة النفس.

٢٣. كتاب مسائل أبي القاسم الرازي. جزءان.

٢٤. كتاب مسائل الحسين بن عبد الله الطبري.

٢٥. كتاب مسائل المرتضى.

٢٦. كتاب مسائل علي بن محمد العلوي.

٢٧. كتاب مسائل محمد بن عبيد الله العلوي، ومسائل أخرى. وقد تضمنها ومسائل أخرى غيرها كتاب بعنوان: المجموعة الفاخرة، بتحقيق الاستاذ علي بن أحمد الرازحي.وهو مجموع كتب ورسائل الامام الهادي.

٢٨. كتاب تفسير القرآن الكريم، ستة أجزاء.

٢٩. كتاب معاني القرآن تسعة أجزاء.

٣٠. كتاب الفوائد، جزءان.

٣١. كتاب أبناء الدنيا.

٣٢. كتاب الولاء.

٣٣. جواب القمي.

٣٤. مسائل ابن سعد (ولعله ابن سعيد).

٣٥. مسائل نصارى نجران.

٣٦. كتاب بوار القرامطة.

٣٧. مسائل أبي الحسين.

٣٨. كتاب الرد على الإمامية.

٣٩. كتاب الإرادة والمشيئة.

٤٠. كتاب الرضاع.

٤١. كتاب المزارعة.

٤٢. كتاب أمهات الأولاد.

٤٣. كتاب العهد.

٤٤. مسائل محمد بن سعيد.

٤٥. كتاب النهي.

وقد ذكر الإمام عبد الله بن حمزة [١] خمسة وثلاثين كتابا. وقال: وتركنا قدر ثلاثة عشر كتابا لم نذكرها كراهة التطويل، وهي عندنا معروفة موجودة.

وقد جمع العلامة ابن أبي النجم كتابا سماه «درر الأحاديث النبوية» جمع فيه أحاديث الأحكام والمنتخب مطبوع.

(١) الشافي ١/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

جهاده:

بعد وفاة الإمام القاسم عليه السلام بأربع سنين تمكن أحد دعاته وهو الحسن بن زيد من تأسيس أول دولة زيدية في طبرستان سنة (٢٥٠هـ) وبعد وفاته سنة (٢٧٢هـ) خلفه عليها أخوه محمد بن زيد، ولم يقدم أي منهما على إدعاء الإمامة لنفسه، وإنما اكتفى كل منهما بأن لقب نفسه بالداعي، فلم يكن رجال أهل البيت وقتها قد عثروا على الرجل الذي يخلف الإمام القاسم عليه السلام، وبالرغم من أن الإمام القاسم عليه السلام عند وفاته خلف عددا من الأبناء كان على رأسهم العالم الفقيه محمد بن القاسم عم الإمام الهادي، والمحدث الحافظ الحسين بن القاسم والد الإمام الهادي، إلا أن أياً منهم لم يجد في نفسه أنه أهل لهذه المكانة الخطيرة، ومن ثم لم يقدم على ادعائها.

وعندما جاء الإمام الهادي ونشأ بينهم تلك النشأة المميزة ادركوا جميعا أن هذا الفتى يتمتع بخصائص واستعدادات تؤهله لئن يقوم بدور خطير. وعندما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره وجدهم يطلبون إليه أن يمد يده ليبايعوه إماما معترفاً به، خليفة لجده القاسم رحمه الله.

كان نابغا منذ صغره، ومميزا بين أقرانه، وعندما شب وبلغ مبلغ الرجال، ازداد ذلك النبوغ بروزا، وذلك التميز وضوحا، حتى غدا بينهم وهو أرجحهم عقلا، وأغزرهم علما، وأكثرهم فقها، وأشدهم غيرة على دين الله، واستعدادا لبذل كل شيء في سبيله، وقد عاش بينهم فخبروه وعرفوا مدى ورعه وتقواه، وخشيته لله، وكثرة تعبده [1]. وخالطوه فوجدوه متواضعاً بسيطاً، يسلم على كل من مر به صغيراً كان أو كبيرا، ويعود المريض حتى من خدم أصحابه، وناداه يوما أحد أصحابه:

---

(١) الحدائق الوردية ٢/ ١٨.

بالسيد، فقال له: «لا تعد تقول هذا مرة أخرى، فإنما السيد الله، وإنما أنا عبد ذليل»[1]، وعاملوه فوجدوه كريماً بما معه، لا يمسك عنهم شيئا، شهما، إذا استنجدوا به يفتديهم بكل شيء، وكان عطوفاً عليهم، شديد الرفق بهم.

وقد بعث بعد ذلك وهو في اليمن قصيدة عتاب لبني عمه في الحجاز، نقتطف منها بعض الأبيات التي تكشف عن قدر من تلك الخلال التي كانوا يعرفونها فيه وهو بينهم، إذ يقول فيها:

ألم تعلموا أني أجود بمهجتي ... ومالي جميعا دونكم وأدافعُ
وأني لكم عند المكارم والعلى ... وأحمي على أحسابكم وأرادع
ولست وبيت الله أذخر عن أخ ... إذا نلت ما فيه الغنى والمنافع
ألم تفهموني في بُدِيٍ أموركم ... وفي صغر مني وإذ أنا يافع
وإني لأحمى أن أبيت بغبطة ... بطينا وجاري مقتر وهو جائع
فلا تسرعوا في الظن فيَّ بأنني ... ذخرت كنوزاً فالظنون تسارع
فلست إذا أعطيت أبقي بقية ... ولست إلى ما لا يحل أطالع

إلى أن يقول:

فقد عشت فيكم أعصرا بعد أعصر ... بذولا لمالي إن حوى المال جائع
أبعد مشيب الرأس والعقل والنهى ... صبوت إلى الأموال إني لطامع
فلو أن أرض الله طرا بأسرها ... وأمثالها أضحت حوتها الأشاجع
لجدت بها والله قولة صادق ... لبعضكم صدري بذلك واسع[2]

وكان فصيحاً إذا تحدث إليهم، مؤثراً إذا وعظهم، يقول عنه مؤلف سيرته وهو

(١) سيرة الهادي / ٥٣.
(١) سيرة الهادي / ٣٠٣ - ٣٠٤.

يتحدث عن دخوله اليمن، لتأسيس الدولة وبداية الجهاد: «ثم ابتدأ فخطب خطبة عظيمة بليغة، فحمد الله تعالى وأثنى عيه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكرهم بالله ووعظهم بمواعظ كثيرة، فرأيت الناس وبهم رجة وهم يبكون من كلامه ومواعظه، ويضجون كما يضج الحجاج عند بيت الله الحرام» (١).

وكان قوي الشخصية مهيباً، وذا شجاعة نادرة، ولم يكن يؤرق مضجعه إلا تحفزه الدائم لتحقيق قول الله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠] (٢).

وسمعت الإمام الهادي يوما يقول: «والله الذي لا إله إلا هو وحق محمد ما طلبت هذا الأمر، وما خرجت اختيارا، ولا خرجت إلا اضطرارا لقيام الحجة عليّ، ولوددت أنه كان لي سعة في الجلوس ... لم يمنعني ترك الفكر في هذا الأمر حتى ناظرت نفسي فيه طويلاً، فما وجدت إلا الخروج أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم» (٣).

وكان يقض مضجعه الحال التي وصلت إليه بلاد الإسلام، وما آل إليه أمر خلفاء المسلمين من انحراف عن هدى الكتاب والسنة، وتضييعهم لحقوق المسلمين، وتنكيلهم بكل من يرفع صوته بكلمة الحق، آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر، من العلماء الصادقين.

نجد ذلك في إحدى رسائل الإمام الهادي عليه السلام التي بعثها إلى أحد بني

---

(١) سيرة الهادي/ ٤١.
(٢) الإمام الهادي / ١٢١ – ١٢٤.
(٣) سيرة الهادي / ٥٢.

عمومته يدعوه فيها إلى مبايعته والخروج معه، يقول فيها: «هلموا إلى الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن التظالم والمنكر، هلموا إلى أخلاق المسلمين، والاقتداء بمن مضى من الأئمة المجاهدين، هلموا إلى نصر الله ونصر الحق والمحقين، هلموا إلى جهاد الفسقة الظالمين، من أهل قبلتكم من جبابرتهم؟! ألستم ترون عباد الله المخلصين إلى دينكم مقتولا؟! وإلى الحق الذي أنزل على نبيكم مخذولا؟! وحكم الكتاب معطلا بينكم؟! وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معدوم فيكم؟! يرتع أعداء الله في جني أموال المسلمين، قد أمنوا من تغييركم عليهم، ويئسوا من نكايتكم فيهم، وبسطوا أيديهم عليهم، وحكموا بحكم الشيطان فيهم، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، حرموهم فيئهم، واصطفوا مع ذلك أموالهم، وأجاعوا بطونهم، وأعروا ظهورهم، وأضاعوا سبيلهم، وأخافوهم على أنفسهم، يجتبون أموالهم، ويقتلون رجالهم، يمنعونهم النصف، ويسومونهم الخسف، هتكا للحريم، وتمردا على الله العظيم! نهارهم دائبون في إخمال الهدى والحق، وليلهم في التلذذ والطرب والفسق، فراعنة جبارون، وأهل خيلاء فاسقون، إن استرحموا لم يرحموا، وإن استنصفوا لم ينصفوا! وإن حكموا لم يعدلوا، وإن قالوا لم يصدقوا! إن عاهدوا نقضوا، وإن اؤتمنوا غدروا! وإن قالوا كذبوا، وإن أقسموا حنثوا! قد قتلوا الكتاب والسنة، وأظهروا المنكر والبدعة، وخالفوا ما بعث الله به الرسل ... وحكموا بغير ما حكم الكتاب المنزل، أضداد الحق والمحقين، أولياء الباطل والمبطلين ... وهم في ذلك يدَّعون أنهم أئمة المسلمين، وقادة المؤمنين، وخلفاء الواحد الكريم»[1].

فلم يكن أمام الإمام الهادي عليه السلام من بد – أمام تلك الحال – إلا أن

(١) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٥٣٥ – ٥٣٧.

يقوم بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا أن يلبي قول الله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[(١)].

ولم يكن أمامه من سبيل للقيام بواجبه ذاك – في مواجهة التنكيل بكل من يصدع بكلمة الحق – إلا سبيل الجهاد وشهر السيف في وجوه الظالمين، يقول الإمام الهادي: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا ينال إلا بالإقدام والتصميم، والنية والاعتزام الكريم، على الجهاد في سبيل الله، وتوطين الأنفس على ملاقاة أهل الظلم، فحينئذ ينال ذلك، ويؤدي فرض الله من كان كذلك، وهو الجهاد في سبيله. وكيف لا يكون للجهاد في سبيل الله فضل على جميع أعمال المؤمنين؟! وبه يطاع اللطيف الخبير، وتقوم الأحكام، ويعز الإسلام، ويأمن الأنام، وينصر المظلوم، ويتنفس المهموم، وتنجلي الفاحشات، ويعلو الحق والمحقون، ويخمل الباطل والمبطلون، وتشبع البطون الجائعة، وتكسا الظهور العارية، ويتقيد بالكتاب، وترد الأموال إلى أهلها، وتفرق في ما جعل الله من وجوهها، ويأمن الناس في الآفاق، وتفرق عليهم الأرزاق»[(٢)].

وهكذا لم يكن له هدف في خروجه إلا إحياء الكتاب والسنة، وإزالة الظلم والمنكر، ورفع راية العدل والإنصاف، وأنه لم يكن ليشهر سيفه إلا في وجه الرافضين لكلمة الحق، الهازئين بالموعظة، المصرين على الإنحراف والمعصية.

---

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ٢/ ٢١ – ٢٢.

(٢) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٤٠٣ – ٤٠٤.

يقول رحمه الله في الرسالة نفسها التي اقتطفنا منها الفقرات السابقة:

« وبعد رحمك الله ووفقك وأعانك، وسدد خطاك، فإني أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى ما أمرني الله أن أدعوك إليه، وأخذ به علي العهد والميثاق، من الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن التظالم والمنكر، وإلى أن نحل نحن وأنت ما أحل لنا الكتاب، ونحرم نحن وأنت ما حرمه علينا، وإلى الاقتداء بالكتاب والسنة، فما جاء به اتبعناه، وما نهانا عنه رفضناه، وإلى أن نأمر نحن وأنت بالمعروف في كل أمرنا ونفعله، وننهى عن المنكر جاهدين ونتركه، وإلى مجاهدة الظالمين من بعد الدعاء إلى الحق لهم، والإيضاح بالكتاب والسنة بالحجج عليهم، فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وإن خالفوا الحق، وتعلقوا بالفسق، حاكمناهم إلى الله سبحانه، وحكمنا فيهم بحكمه، فإنه يقول سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة:١٩٣].

وكان يشترط على نفسه في دعوته عدة شروط فكان يقول: « أيها الناس، وبعد: فإني أشترط لكم أربعا على نفسي: الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم، أوثركم فلا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء قبلي، وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي، وأشترط لنفسي عليكم اثنتين: النصيحة لله سبحانه ولي، في السر والعلانية، والطاعة لأمري على كل حالاتكم ما أطعت الله، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت أو عدلت عن كتاب الله وسنة رسوله، فلا حجة لي عليكم، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

ولقد قضى الإمام الهادي عمره كله، لتلك الغاية النبيلة التي أعلنها في مبدأ أمره، عاش حياته كلها جهاداً ونصباً، لم يدخر لنفسه فيها درهماً ولا ديناراً، ولم يسع لملك ولا سلطان، وما تناقضت أفعاله مع أقواله يوماً من الأيام، وإنما ظلت حياته كلها نسقاً واحداً، ونغماً صادقا، منذ أن خرج لإعلاء كلمة الحق حتى لقي الله.

وروي عنه أن كان يقول: «والله لوددت أن الله أصلح الإسلام بي، وأن يدي معلقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعاً»[1]، وكان إذا قتل قتيلاً بيده في معاركه قال: «اللهم لحربهم لك حاربناهم، ولردهم لكتابك قاتلناهم، ومن بعد الدعوة إلى الحق نابذناهم، اللهم فاحكم بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الحاكمين»[2].

بعد أن بويع الإمام الهادي عليه السلام بالإمامة من قبل آل بيته، بدأ التفكير من فوره في ماذا يصنع؟ ومن أين يبدأ؟ وأي أرض الله هي التي يبدأ منها انطلاقته؟ لتطهير كل أرض الإسلام مما أصابها من فساد وظلم وإنحراف، وقد سبق أن ذكرنا أنه بعد وفاة جده الإمام القاسم عليه السلام بأربع سنين قامت أول دولة زيدية في طبرستان على يد أحد الدعاة، وهو الحسن بن زيد الذي لقب نفسه بالداعي، ثم خلفه عليها أخوه محمد بن زيد، الذي لقب بالداعي الصغير، كما سبق أن أشرنا إلى أن أياً منهما لم يدع الإمامة لنفسه، لأن آل البيت لم يكونوا قد أجمعوا أمرهم على من يخلف الإمام القاسم عليه السلام بعد وفاته. لذلك فقد كان منطقياً أن تكون طبرستان هي المكان الأول الذي يتجه إليه تفكير الإمام الهادي وأهل بيته، فقد كانوا يعتبرونها دولتهم، وأمراءها دعاتهم، لهم فيها كثير من الأنصار والمحبين، وهكذا حزم الإمام الهادي وأبوه وعمومته وبعض غلمانهم أمتعتهم، وتوجهوا

---

(١) سيرة الهادي / ٤٩.

(٢) سيرة الهادي / ٢٢٦.

صوب طبرستان في موكب مهيب، وهناك تجمهر الناس حوله وتعلقوا به، وكان مما زاد افتتانهم به تعظيم أبيه وعمومته له، حيث لم يكونوا يخاطبونه إلا بالإمام، وامتلأ الخان الذي نزل فيه بالناس حتى كاد السطح يسقط، وانتشر خبره وعلا صيته مما أدى إلى إنزعاج محمد بن زيد وخوفه أن يخرج الأمر من يده، فأوعز إلى وزيره الحسن بن هشام أن يبعث إلى الهادي بكتاب يخبره فيه بأن ما يجري يوحش ابن عمك، وعندما وصل الكتابُ الهاديَ كان رده عليه: «ما جئنا ننازعكم أمركم، ولكن ذكر لنا أن في هذه البلد شيعة وأهلاً، فقلنا عسى الله أن يفيدهم منا»[1]. ثم رحلوا من فورهم عائدين. يقول المحلي: «وخرجوا مسرعين، وثيابهم عند القصار، وأخفافهم عند الأسكاف، ما استرجعوها»[2].

وهكذا لم تسفر تلك الرحلة عن تحقيق الهدف الذي كانوا يؤملون من ورائها، بجعل طبرستان هي نقطة الانطلاق الأولى لتحقيق كل ما كانوا يصبون إليه، إلا أنها عملت ولا شك على تعميق الصلة بينهم وبين أنصارهم ومحبيهم هناك، الذين ظلوا على ولائهم للإمام الهادي حتى بعد قيام دولته باليمن، حيث هاجر إليه كثير منهم، وكانوا من أخلص المقاتلين بين يديه، وهم الذي عرفوا بالمهاجرين الطبريين.

وما إن عاد الإمام الهادي وأبوه وعمومته إلى الحجاز من رحلتهم تلك، حتى كان البديل حاضراً في نفوسهم، ولم يكن هذا البديل سوى اليمن التي رنا إليها الإمام الهادي ببصره، وأدرك ببصيرته أنها المكان المناسب الذي يبدأ منها دعوته، ويقيم على أرضها دولته.

وقد كان وراء اختياره هذا ورؤيته تلك، أكثر من عامل، أجدني بحاجة إلى

(١) المحلي: الحدائق الوردية/ ٢، / ١٧.
(٢) المحلي: الحدائق الوردية ج٢، / ١٧.

وقفة ألقي فيها الضوء على أهم تلك العوامل التي كانت وراء حماسه لليمن وتوجهه تلقاءها.

ولعل أهم تلك العوامل في حسه، وهو المحدث الفقيه، تلك الآثار التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي تتحدث عن فضل أهل اليمن وما اختصهم الله به.

ـ جاء في تفسير الطبري، في تفسير قوله تعالى: « ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[المائدة: ٥٤] إن المراد بالقوم في الآية هم: أهل اليمن »[(١)].

ـ عن ابن عباس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة إذ قال: الله أكبر الله أكبر، إذا جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن، قوم نقية قلوبهم، حسنة طاعتهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية »[(٢)].

ـ عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم »[(٣)].

ـ عن عمرو بن عنبسة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « خيار الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان وأنا يمان »[(٤)].

ـ وعن سلمة بن نفيل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يطلع

---

(١) جامع البيان ٦/ ٨٤.
(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٥٥.
(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٥/ ٦٢، ٦٣.
(٤) جمع الجوامع للسيوطي/ ١٧٤٠ (١٣٧٠٠)، مجمع الزوائد ١٠/ ٤٣، ٤٥.

عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض» [1].

وثاني تلك العوامل هو وجود متشيعين لآل البيت في اليمن منذ أيام الإمام علي رضي الله عنه حين أسلموا على يديه، وقاتلوا معه يوم صفين [2].

ثم كانت بعد ذلك نصيحة ابن عباس للإمام الحسين أن يتجه إلى اليمن بدلاً من العراق، فقد روى الحافظ ابن كثير أن الإمام الحسين عندما عزم على المسير إلى العراق، جاءه ابن عباس وقال له: «يا ابن عم إني أتصبَّر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم، ثم اقدم عليهم، وإلا فَسر إلى اليمن فإن به حصوناً وشعاباً، ولأبيك به شيعة. فقال الحسين: يا ابن عم والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير» [3].

يقول الإمام الهادي عليه السلام بعد ذلك في قصيدة بعثها إلى الدعام بن إبراهيم أحد زعماء قبائل همدان بعد أن بايعه وأعلن ولاءه له:

انهض فقد امكنتنا فرصة اليمن ... وصل فضائل كانت أول الزمن
وسابقات وإقداما ومكرمة ... كانت مع الطاهر الهادي أبي حسن
ويوم صفين والفرسان معلمة ... تخوض في غمرات الموت في الجنن
والروع حام ويوم النهروان لكم ... والنقع مرتفع بالبيض والحصن
فاتبع من أشياخك الماضين ما سبقوا ... إلى تناوله بالمذهب الحسن
ونصرهم لأمير المؤمنين على ... محض المودة والإحياء للسنن

---

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ٥٤ وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، ورجاله رجال الصحيح.
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ١٨.
(٣) البداية والنهاية.

وقــم فــزد شرفــا يعلــو عــلى شرف   في حي همدان والأحياء مــن يمــن[1]

والإمام يحيى بن عبد الله الذي خرج أيام الرشيد كان قد قدم صنعاء ومكث فيها شهورا متخفيا قبل خروجه، وقد أخذ عنه العلم بعض علمائها، مثل: يحيى بن زكريا الصنعاني، ويحيى بن إبراهيم [2].

وكذلك كان الحال مع الإمام القاسم عليه السلام – جد الهادي – الذي خرج إلى اليمن أيام شبابه، فارا من بطش هارون الرشيد، وكانت تصحبه في تلك الرحلة زوجته التي جاءها المخاض في الطريق وهم في مفازة لا ماء فيها، فولدت غلاما ثم ماتت من شدة العطش، ولم يلبث الغلام أن مات على أثرها، وقد ظل الإمام القاسم عليه السلام بعد ذلك في اليمن حتى بلغه وفاة الرشيد، فعاد إلى الحجاز [3].

وعندما خرج الإمام محمد بن إبراهيم طباطبا بالكوفة أيام المأمون أرسل إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق والياً من قبله على اليمن، وعندما وصل إبراهيم اليمن سنة (١٩٩ هـ) ناصرته قبيلة بني سعد، وعلى رأسهم بنو فطيمة إحدى قبائل صعدة، فقاتل بهم بقية القبائل التي عارضته، وقد عرف بعد ذلك في كتب التاريخ بإبراهيم الجزار، لكثرة من قتل على يديه [4]، وبقدر ما ضمن بعد ذلك ولاء بني فطيمة الدائم للعلويين، إلا أنه أكسب آل بيته عداء كثير من القبائل التي قتل رجالها. ولم يلبث أمره أن انتهى من اليمن بعد أن تمكن المأمون من إخماد ثورة الإمام محمد بن إبراهيم طباطبا والقضاء على أنصاره.

---

(١) سيرة الهادي / ٣٢١.

(٢) سيرة الهادي / ٣٢١.

(٣) الحدائق الوردية ٢ / ٥.

(٤) الجامع الوجيز/ ٢٢، الإكليل ١ / ٤٢٥.

ثم خرج بعد ذلك سنة (٢٠٧هـ) ببلاد عك أحد أولاد عمر بن علي بن أبي طالب، يدعو إلى الرضى من آل البيت، وقد بايعه خلق كثير من أهل اليمن، فوجه المأمون لحربه دينار بن عبد الله – أحد قواده – وبعث يؤمنه، فقبل أمان المأمون وتوجه مع قائده إليه [1].

كما كان للزيدية علماؤها ودعاتها في اليمن قبيل مجيء الإمام الهادي عليه السلام بسنين كثيرة، يقول الجنداري عن أحداث سنة (١٩٧هـ). فيها توفي «الإمام الحافظ الزيدي وكيع بن الجراح في المحرم راجعا من الحج، وهو إمام في الجرح والتعديل وعده الحاكم وغيره من الزيدية» [2].

وعن أحداث سنة (٢٠٦هـ) يقول: «وفيها قتل العلامة الزيدي، عبد الملك بن عبد الرحمن الأبناوي الذماري، صاحب المسند قاضي إبراهيم بن موسى بصنعاء، وداعي الإمام محمد بن إبراهيم باليمن» [3].

وعن أحداث سنة (٢١١هـ) يقول الجنداري: «وفيها توفي العلامة المحدث، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، صاحب التصانيف الفايقة، والشيعي المشهور بزوايد الفضائل» [4].

ويقول عن أحداث سنة (٢١٣هـ): «فيها توفي الشيعي المحدث خالد بن مخلد القطراني، أحد الحفاظ وعلامة الزيدية» [5].

(١) النجوم الزاهرة ٢ / ١٨٣، الإكليل للهمداني ١ / ٣٢٦.
(٢) الجامع الوجيز / ٢٢.
(٣) الجامع الوجيز / ٢٣.
(٤) الجامع الوجيز / ٢٤.
(٥) الجامع الوجيز / ٢٤.

ولعلنا نستطيع أن نقول بعد هذا الاستعراض السريع: أنه ليس صحيحا ما تردده الكثير من المصادر من أن الإمام الهادي عليه السلام هو أول من أدخل المذهب الزيدي إلى اليمن، وإنما العكس هو الصحيح، فإن الزيدية التي دخلت اليمن قبل الهادي بعشرات السنين، وكان لها فيها علماؤها ومحبوها ودعاتها، هي التي دفعت الإمام الهادي عليه السلام أن يتوجه صوب اليمن ويتخذها نقطة ارتكازه.

رجوعه من اليمن إلى الحجاز:

أوضحنا سابقا أسباب ودوافع خروج الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن، فما إن وصل إلى صعدة ثم توجه منها تلقاء صنعاء في قرية الشرفة ببني حشيش، حتى حدث من أتباعه ما أساءه، وأدرك أن القوم لم تخلص نياتهم بعد، فتركهم ورجع إلى الحجاز [1]، وقد جاء في سبب رجوعه أن بعض أولاد الأمراء من عشائر أبي العتاهية شرب الخمر، فأمر بإحضاره ليقيم عليه الحد فامتنع عليه، وخذله الناس فلم يجد منهم من يعينه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ حكم الله، فقال: «لا أكون كالفتيلة تضيء غيرها وتحرق نفسها» وعاد إلى أهله [2].

يقول الشيخ أبو زهرة: «ولكنه عاد إلى الحجاز بعد أن تعلقت به القلوب، ووجد الراشدون من أهل اليمن أنه الإمام الذي يستطيع أن يجمع شمل اليمنيين، وأن يحارب بهم البدع التي كانت منتشرة [3]».

لذلك فقد وردت كتبهم على أبيه الحسين بن القاسم وعمومته بالمدينة،

(١) زبارة: أئمة اليمن القسم الأول / ١٠، والحدائق الوردية/ ٢ / ١٩، وغاية الأماني / ١٦٦.
(٢) الإفادة/ ٦٧.
(٣) الإمام زيد حياته وعصره / ٥١٠.

يتوسلون بهم ويسألونهم التشفع إليه، في أن يعاودهم على أن لا يخالفونه في شيء»[1].

وكان قد عمهم بعد رحيله البلاء، وشملتهم الفتن، وانقطع الغيث، ويبس الزرع[2]، حتى إذا كان ذو القعدة من سنة (٢٨٣هـ) جاءه وفد منهم يحملون إليه كتبا من مختلف قبائلهم يخبرونه فيها بتوبتهم، ويسألونه الخروج إلى بلدهم ويعطونه بيعاتهم، وأنهم قد ندموا على ما كان من تفريطهم وتقصيرهم في أمره، حين تركوه يخرج من عندهم [3]، فلم يجد بُداً من إجابتهم والإستجابة لدعوتهم.

وكان قد بدا له أن يعدل عن الخروج إلى اليمن، يقول الإمام الهادي عليه السلام فيما يرويه عنه مؤلف سيرته: «كنت قد انثنيت عن الخروج إلى اليمن، وعزمت على أن أصرف رسل أهل اليمن للذي كان بدا لي من شرة أهل اليمن، وقلة رغبتهم في الحق، فكنت عازما على التخلف حتى إذا كان قبل خروجي بليلة، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، وهو يقول لي: يا يحيى ما لك متاقلاً عن الخروج، انهض فمرهم فلينقوا ما على الأرض من هذه الأوساخ، فعلمت أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد بذلك غير المعاصي التي على الأرض من العباد، فضمنت له النهوض فنهضت»[4].

وكان في وداعه عند خروجه أبوه وعمومته، وكان مما قاله عمه محمد بن القاسم وهو يودعه: «يا أبا الحسين لو حملتني ركبتاي لجاهدت معك يا بني، أشركنا الله في

(١) الإفادة: ٦٦

(٢) سيرة الهادي ، ٦٥، وغاية الأماني / ١٦٦، والجامع الوجيز/ ٣٠.

(٣) سيرة الهادي / ٣٦، ٦٦، والإفادة/ ٦٦، والحدائق الوردية/ ٣ / ١٩.

(٤) سيرة الهادي / ٣٩

كل ما أنت فيه، وفي كل مشهد تشهده، وفي كل موقف تقفه »[1]. ثم مضوا في اتجاه اليمن حاملين رؤوسهم على أكفهم، طالبين إحدى الحسنيين، النصر وإعلاء كلمة الله، أو الشهادة في سبيل الله.

وسمعته يوماً يقول: « والله لو كان معي ثلاثمائة وثلاثة عشر مؤمنا، لا بل لو كان معي خمسمائة- لأن تلك كانت فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - لدُستُ بها اليمن، ثم قال: إصبروا معي، فوالله لأتقدمن برايتكم بين أيديكم، ولأنصرن دين الإسلام، ولأضربن ضرباً ما ضربه إلا علي بن أبي طالب رحمة الله عليه »[2].

وسمعته يقول: « مرضت مرضا في أهلي فأفكرت، وعندي أبي وعمومتي وجماعة من أهل بيتي، فقلت: أخلوا لي المجلس، فقاموا وأخذت في شيء من الدعاء، لم يسمه يحيى بن الحسين إلا أنه قال: كان في دعائي اللهم إني أعلم أنه لا بد من الموت، اللهم فأحيني حتى توصلني إلى ما يرضيك من الجهاد ثم افعل بي ما تريد»[3].

وسمعته يوما وهو يقول: « والله لئن لم يَستَوِ لي في اليمن أمر لا رَجعتُ إلى أهلي، أو أضرب الشرق والغرب حتى أُقيم لله حُجته »[4].

جهاده للقرامطة:

بعد رحيل الإمام الهادي عليه السلام عن صنعاء بأقل من ثلاث سنين، كانت

---

(١) سيرة الهادي / ٣٨.
(٢) سيرة الهادي / ٥٠.
(٣) سيرة الهادي / ٥٠.
(٤) سيرة الهادي / ٥٠.

جيوش القرامطة بزعامة علي بن الفضل في طريقها إلى مدينة المذيخرة عاصمة مخلاف جعفر. وتمكنوا من قتل جعفر المناخي والإستيلاء على دولته، واتخذ علي بن الفضل مدينة المذيخرة مقراً لملكه وأظهر فيها مذهبه، فادعا النبوة وأحل نكاح البنات والأخوات وشرب الخمور [١]، وكان ذلك في صفر من سنة (٢٩٢هـ)، وكان ابن الفضل يبيح لجنوده نهب الأموال وسبي النساء وفعل كل قبيح. لذلك فقد تبعته جماهيرة غفيرة من الراغبين في النهب والفجور.

يقول محمد بن علي الأكوع، عن علي بن الفضل، في تعليقه على كتاب قرة العيون:

«وقد سود صحيفته التاريخ وأخرج منه شيطاناً مريداً، وعاهراً فاجراً، وعمليقاً غاشماً، وفاسقاً زنديقاً، ومنافقاً مارقاً، يكفر بالشرائع، وينتهك الحرمات، ويرتكب البدع والشنائع، ورموه بكل حجر ومدر. وكادت تكون كلمة المؤرخين كلمة إجماع في تصوير ابن الفضل بهذه الصورة التي تشمئز لها النفوس الأبية والدنية معاً» [٢].

وفي المحرم من سنة (٢٩٣هـ) توجه ابن الفضل نحو صنعاء، التي ملكها بعد خروج الإمام الهادي عليه السلام منها أسعد بن أبي يعفر، وملك معها شبام وغيرها من البلاد، ووصلت جيوش القرامطة بقيادة ابن الفضل إلى قرية ظبوة جنوبي صنعاء، فخرج إليهم أسعد بن أبي يعفر بمن معه، وقاتلوهم قتالاً شديداً، وقتلوا منهم أربعمائة رجل، فانحاز القرامطة إلى جبل نقم المشرف على صنعاء، وأقاموا فيه أياماً، وفي ليلة عاشوراء سار ابن الفضل في خمسة آلاف مقاتل، فدخلوا مدينة صنعاء ليلاً على حين غفلة من أهلها، وكان دخولهم بتواطؤ مهلب الشهابي، الذي

(١) زيارة: أئمة اليمن، القسم الأول/ ٣٧.
(٢) قرة العيون لابن الديبع ١ / ١٨٨.

أدخلهم من سكة الشهابيين، فحاربهم أسعد بن أبي يعفر وأصحابه، حتى عصر ذلك اليوم، وعندما عجز عن صدهم خرج من صنعاء، وكان يوماً عصيباً على أهل صنعاء ذاقوا فيه شتى صنوف الخوف والوجل، والرعب والفشل، وفر منهم من قدر بأهله وأولاده، واستباح القرامطة صنعاء قتلاً وأسراً ونهباً، واستباحوا المحارم، وارتكبوا العظائم، وأقاموا على ذلك خمسة عشر يوماً [1].

يقول صاحب غاية الأماني: «ولما تمكن ابن الفضل من صنعاء لم يحسن فيها صنعاً، بل أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعا النبوة، ورقى منبر جامع صنعاء، فخطب خطبة منكرة، صرح فيها بعقيدته الكفرية، وحمد عليها من تابعه من تلك الفرق الغوية. وقد ذكر هذه الخطبة كثير من المؤرخين، وإنما تركناها تنزيهاً لكتابنا هذا عن إيراد كلام هذا المارق اللعين، وإن كانت شاهدة عليه بالكفر الصريح، غير أن في أعماله ما يكفي عن التصريح، ضاعف الله له العذاب، في يوم الجزاء والحساب. فإنه هدم أركان الإسلام، وبالغ في دحض الشرائع الواردة عن سيد الأنام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام. وأباح لتابعيه الخمور، وإتيان الذكور، وارتكاب المحرمات، من نكاح البنات والأمهات، وأسقط حج بيت الله الحرام، وأتى بدين خالف فيه الشرائع والأحكام. ومن قبح فعله أنه اتخذ جامع صنعاء اصطبلا للخيل، بعد تلاوة كتاب الله فيه في النهار والليل» [2]، وكان مؤذنه في أذانه: يشهد أن علي بن الفضل رسول الله [3].

---

(١) قرة العيون ١/ ١٨٨، كشف أسرار الباطنية / ٢٨ – ٣٢، والسلوك / ٦٤ – ٦٦، وتاريخ اليمن / ٦٤، وتاريخ مدينة صنعاء / ٢٦٣، والإكليل ٨ / ٤٨، ١٠٨.

(٢) غاية الأماني ١ / ١٩٧.

(٣) الإفادة/ ٦٤، وأئمة اليمن / ٣٩.

قال الشيخ العامري عن الإمام الهادي عليه السلام: «كان مجيئه إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة والباطنية، فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة، لم ينهزم في شيء منها، وكان له علم واسع وشجاعة خارقة، وقد أقام على الجهاد ثماني عشرة سنة»[1].

حرصه على الأمة:

وسمعته ما لا أُحصية إذا اجتمع عنده الناس يقول: والله فقد قال يحيى بن الحسين: والله لئن أطعتموني لا فقدتم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا شخصه إن شاء الله تعالى[2].

وسمعته يوماً يحلف بالله مجتهداً: لوددت أن الله أصلح بي أمر هذه الأمة، وأني جعت يومين وشبعت يوماً[3].

وسمعته ليلة أيضا وهو يقول: والله لوددت أن الله أصلح الإسلام بي، وأن يدي ملصقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعا[4].

وسمعته يوماً يقول: لو أمكنني أشتري صلاح هذه الأمة بها أملك لفعلت، الله يعلم ما أقول، وكيف لي بصلاحها؟![5]

وسمعته يوماً يقول: والله الذي لا إله إلا هو، وحق محمد ما طلبت هذا الأمر، وما خرجت اختياراً، ولا خرجت إلا اضطراراً لقيام الحجة عليّ، ولوددت أنه كان

---

(١) الرياض المستطابة / ٢٩٧.
(٢) سيرة الهادي / ٤٩.
(٣) سيرة الهادي / ٤٩.
(٤) سيرة الهادي / ٤٩.
(٥) سيرة الهادي / ٥٢.

لي سعة في الجلوس، وكيف لي بأن يسعني الجلوس عن هذا الأمر الذي أنا فيه مزموم بزمام، أنا والله إذا جنني الليل أفكر فيما عملت وما كان مني في يومي، فأناظر نفسي في ذلك فأردد على نفسي، وأقول: فعلت كذا وكان كذا أصلح، ولو لم أكن في هذا الأمر لم يمنعني ترك الفكر في هذا الأمر حتى ناظرت نفسي فيه طويلا، فما وجدت إلا الخروج أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1].

دولته:

فكرة إقامة دولة الإسلام عريقة وثابتة لدى الزيدية، ذلك لما يترتب عليها من إقامة العدل وإحقاق الحق وتنويره، وإبطال الباطل وتدميره.

قال الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية:

وقد بيَّنَ الإمام الهادي عليه السلام شروط الحاكم وواجباته، فقال: «والذي افترض طاعته ذو الجلال والإكرام، من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، على جميع من خلق وذرأ من الأنام، وبنى على طاعته وموالاته دعايم الإسلام: الورع الفاضل، التقي الكامل، الباذل لنفسه، العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، الفَهِم بمعاني الكتاب، المتفرع فيما يحتاج إليه من الأسباب، المجرد في أمره، الداعي إلى سبيل ربه، المباين للظالمين، الناهض بحجة رب العالمين، الكاشف لرأسه، المجرد لسيفه، الرافع لرايات الحق، المظهر لعلامات الصدق، الزاهد في حطام الدنيا، الراغب في الآخرة التي لا تفنى، الحافظ للرعية المواسي لهم، المتحنن عليهم، المقرب غير المبعد، المهوِّن غير المجهد، القارن لهم بنفسه في جميع أمره، الشفيق عليهم، الآخذ لمظلومهم من ظالمهم، المستوفي لحق الله من أيديهم، والرآد له في مصالحهم،

(١) سيرة الهادي / ٤٩

والمفرق لفيئهم فيهم، المسلِّم له إليهم، العادل في قسمته، المساوي بين رعيته في حكمه، الطارح الجبرية والتكبر، البعيد عن الخيلاء والتجبر، والباسط لكفه، المنصف لأهل طاعته، المتفقد لجميع معايشهم، الممضي لأحكام الله فيهم، القاسم بقسط الله عليهم، الرؤوف الرحيم بهم، الشجاع السخي، الفارسي الكمي، فإذا كان كذلك ثم دعاهم إلى نفسه، والقيام لله بحقه، وجبت على الأمة طاعته، وحرمت عليهم معصيته، ووجبت عليهم الهجرة إليه، والمجاهدة معه بأموالهم بين يديه »[1].

ويقول الإمام الهادي عليه السلام: « وإن الله افترض اتخاذ الإمام العادل إماماً ليؤتم به، وسمي خليفة ليخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أعماله، وأنه ما خالف حكمه حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفارقه، فليس بإمام ولا خليفة، ولكنه متبَرٌّ ظالم »[2].

تلك كانت صورة الإمامة عند الإمام الهادي عليه السلام في عالم النظريات، أما في عالم الواقع فقد كانت صورة شديدة النصاعة وضاءة البريق، فلقد كان الإمام الهادي في ممارسته لسلطته كإمام وكحاكم للمسلمين من تلك النماذج الفذة في تاريخ المسلمين، وكان تجسيداً كاملاً لكل ما نادى به هو ومن سبقه من الأئمة الأبرار، الذين قدموا حياتهم الواحد تلو الآخر شهداء في سبيل العودة بدولة الإسلام إلى ما كانت عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال شيخ الأزهر أبو زهرة: « وإن رسائله وخطبه وعهوده تجعل القارئ يحس بأنه يعود بالإسلام إلى عهده الأول، عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، الذين يعتبرون الحاكم منفذ أحكام الله تعالى، بحيث يحس بها الصغير والكبير والأمير

(١) سيرة الهادي ٥٢، مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٤٠٥، والأحكام / ٨٧.
(٢) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٥٢٥ – ٥٢٦.

والخفير»[١].

مظاهر حكم دولة الإمام الهادي:

وقال أبو زهرة أيضا: «وقد سار الهادي في حكم البلاد اليمنية على سنة العدل، مما جعل الأهلين يرون فيه مظهراً لحكم الإسلام، ومصدراً لعهد الخلفاء الراشدين الأولين»[٢].

وجاء في إحدى الليالي رجل ضعيف عند السحر، وطرق عليه الباب فقال الهادي: من يدق الباب في هذا الوقت؟ فلما عرف أنه مظلوم يطلب النصفة، أمر بإدخاله، ووجه معه رجالاً لإحضار خصمائه، ثم قال لمحمد بن سليمان الكوفي الذي كان عنده في ذلك الوقت: «الحمد لله الذي خصنا بنعمته، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدي إلينا في هذا الوقت، لو كان واحداً من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعدٍ»[٣].

يقول الدكتور: أحمد صبحي: «عرف التشيع أئمة اقتصروا على العلم دون الجهاد، كما عرف أئمة غلبوا الجهاد على العلم، أما أن يتحد العلم مع الجهاد على نحو فائق، وأن يكون الورع والزهد ومؤاساة المحتاجين من خصال رجل الدولة، فذاك ما لا يكون على مر العصور والدهور، إلا في الواحد بعد الواحد، ومنهم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين»[٤].

---

(١) الإمام زيد حياته وعصره/ ٥١٣.
(٢) الإمام زيد حياته وعصره/ ٥١٣.
(٣) الإمام زيد حياته وعصره/ ٥١٣.
(٤) الزيدية" لصبحي/ ١٠٢.

عدله:

« وحدثني أيضا قال: خبرني عبيد الله بن حذيف قال: طلبت تبناً للدواب من غير تبن العشر، فلم أجد غيره، فأمرت بعض الغلمان الذي يقوم على الخيل يأخذ منه كيلا معروفا حتى نشتري ونرد مثل ما أخذنا، فعلم يحيى بن الحسين بذلك، فوجه إلى عبيد الله بن حذيف، فكلمه بكلام غليظ، فقال له عبيد الله: أنا آخذ منه شيئا معروفا حتى نرد مكانه، فقال: لست أريد منه شيئا، ما لنا وللعشر، خذوا هذا التبن فاعزلوه حتى يعلفه من يحل له ولم يعلف منه خيله تلك الليلة شيئا، وأمر أن يطرح للخيل قصب بلا تبن ليلتين، ثم قال: اللهم إني أشهدك أني قد أخرجت هذا من عنقي، وجعلته في أعناقهم.

ورأيته يوما وقد أتاه حسن بن علي بن فُطيمة، وعبيد الله بن حذيف، فقالا له: جُعلنا فداك، إن كنت إنما تأخذ من ثلاثة وثلاثين فرقا وثلثا من الطعام عشـرا ونصف عشر، فليس يجتمع من هذا شيء أبدا، فقال لهم يحيى بن الحسين: لا اجتمع من هذا شيء أبداً، والله لو التقت هذه وهذه – يعني – السماء والأرض عليَّ حتى تختلف أضلاعي، ما أخذت غير الحق أبداً.

قال علي بن محمد، عن محمد بن سليمان: كنت أقبض ليحيى بن الحسين زكاة الأموال، فلما كان ليلة من الليالي جئت بكيس فيه دنانير ودراهم من الزكاة، فقلت له: جعلت فداك ضع هذا الكيس تحت فراشك، فقال لي: وما هذا؟ قلت: الذي قبضت من النجار. فقال لي مسرعا: أبعده عني، ثم قال لي: والله لو أني اضطررت إلى ما يُجبى من صدقاتكم وأعشاركم، ثم وجدت الميتة لأكلت من الميتة ولم آكل من ذلك شيئا.

ورأيته يأمر بشراء العلف لخيله وإبله، والعلف الذي من الأعشار مجموع

موضوع، ما يعلف منه قليلا ولا كثيرا، وهو يفرق بين أصحابه.

ورأيته يوما وقد صاح بغلام له فسأله عن خرقة، فقال له الغلام: قد رفعتها، فقال له: أخرجها إليَّ، فأخرجها من بين ثياب يحيى بن الحسين، فلما أخرجها قال للغلام: ويلك أنت قليل الدين، ليس لك دين تضع خرقة من الأعشار بين ثيابي!

ودخل يوما وقد تطهر للصلاة فأخذ خرقة فمسح بها وجهه، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الخرقة من العشر، فذكرت له ذلك فقال: ما يحل لنا أن نمسح به وجوهنا ولا نستظل به من الشمس.

قال علي بن محمد، عن محمد بن سليمان: كنت أقبض ليحيى بن الحسين زكاة أموال التجار، فيكون في البلد تجار غرباء، يتجرون ويقيمون الأشهر، فقلت له: جعلت فداك نأخذ منهم زكاة أموالهم؟ فقال: إن أخذنا منهم زكاة أموالهم، وجب علينا أن نحوطهم حيث كانوا في بلادنا وغيرها، فلم يأخذ منهم شيئا.

ورأيته يوما وقد جاء يهودي استعدى على رجل، فقال لي يحيى بن الحسين: أنصفه وانظر فيما بينهم، ثم قال لليهود والنصارى: إن آذاكم أحد فارجعوا إليَّ حتى أنصفكم منه.

ورأيته ليلة وقد جاءه رجل ضعيف في السحر يستعدي على قوم، فدق الباب، فقال: من هذا يدق الباب في هذا الوقت؟! فقال له رجل كان على الباب: هذا رجل يستعدي، فقال: أدخله، فاستعدى، فوجه معه في ذلك الوقت ثلاثة رجال يحضـرون معه خصماءه، ثم قال لي: يا أبا جعفر الحمد لله الذي خصنا بنعمته، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدى إلينا في هذا الوقت، لو كان واحداً من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعدٍ، ثم قال: ليس الإمام منا من

احتجب عن الضعيف في وقت حاجة مُلِظَّة »[1].

« وحدثني محمد بن أبي هشام عن يحيى بن الحسين أنها أُخذت إمراة قد شربت الخمر وشهد عليها بذلك شهود، فأمر بها تجلد الحد، فقالت: اعفُ عني بحق علي بن أبي طالب، فقال لها يحيى بن الحسين: وحق علي بن أبي طالب لو كان الأمر لي ما ضربتك، ولكنه لله تعالى، ثم قال: والله لو وجب الحد على أبي لأخذته منه.

ورأيته يوما وقد أُتي برجل قد شرب الخمر وشهد عليه بذلك، فأمر به فضرب، وكان ضعيفا فأمر بسوطين يجمعان له فجمعا وضرب بهما معا، حتى أوفى الحد ثمانين.

وسمعته يوما وقد ذكر أخذ الحق فقال: والله، وعنده جماعة من الناس، لو أنه جدي القاسم بن إبراهيم ثم وجب عليه ضرب العنق ما صليت الظهر أو أضرب عُنُقه »[2].

قال: وسمعت علي بن العباس يقول: كنا عنده يوما وقد حمي النهار وتعالى وهو يخفق برأسه، فقمنا، وقال: أدخل وأغفي غفوة. وخرجت لحاجتي وانصرفت سريعاً، وكان اجتيازي على الموضع الذي يجلس فيه للناس، فإذا أنا به في ذلك الموضع، فقلت له في ذلك. فقال: لم أجسر على أن أنام، وقلت: عسى أن يتتاب الباب مظلوم فيؤاخذني الله بحقه، ووليت راجعاً كما دخلت!!

ورعه وزهده:

لقد كان الإمام الهادي عليه السلام يجسد الإمام عليا عليه السلام في ورعه وزهده، حتى كان يقول: والله إن هي إلا سيرة علي أو النار.

(١) سيرة الهادي / ٦٠ – ٦٣.
(٢) سيرة الهادي / ١٢٠.

قال أبو طالب الهاروني: حدثني أبو العباس رحمه الله، عن أبي عبد الله اليمني رحمه الله أنه فقده يومين لِحُمَّى كانت به، قال: فبينا أنا واضع رأسي إذ قُرِع الباب، فقمت إذ لم يكن في المنزل غيري، فإذا أنا بالهادي عليه السلام وبيده تُوْر[1] مغطى، فيه بعض ما يصلح للمحموم. قال: كذلك كانت عادته يمرِّض أصحابه ويداوي جراحاتهم بيده، وكان أسر الأشياء إليه الضيافة، ويتعهد من يطعم عنده بنفسه.

وحدثني أبو العباس الحسني رحمه الله، عن أبي القاسم عبد الله بن أحمد الطيب، عن أبي العباس الفضل بن العباس الأنصاري، وكان من خيار المهاجرين إلى يحيى بن الحسين عليه السلام. قال: كان يحيى بن الحسين يقول كثيراً: إنما آخذ لنفسي مثل ما أعطي أحدكم.

وإنه قسم يوماً شيئا من التمر فحبس منه ضعفي ما أعطا الواحد منا، فداخلني من ذلك شيء لقوله الذي كان يقوله، ورابني ذلك، إلى أن قدم بعض الغُيَّب من أصحابه من وجه بعثه هو فيه، فأخرج عليه نصيبه مما كان حبسه، فخنقتني العَبْرة وجعلت أقبل أطراف الهادي عليه السلام وأعتذر إليه وأخبره بالأمر. فقال: أنت في حل يا أبا العباس وسعة من جهتنا، ولكن حسنوا ظنونكم بإخوانك فإن المؤمن يكون عند حسن الظن بأخيه[2].

وقال علي بن محمد: حدثني أبي محمد بن عبيد الله قال: كان من ورع يحيى بن الحسين أنه كان يترك بعض ما يحل له تورعا عنه، وتنزها منه، وذلك أن جزية النصارى واليهود له ولأهل بيته دون غيرهم من الناس، وله أن ينفقها فيما أحب، ويصرفها فيما يريد، فكان لا يأكل منها ولا يشرب منها، تورعا عنها، وتزهداً فيها،

---

(١) التور: إناء يشرب فيه.

(٢) الإفادة / ١٤٠ – ١٤١.

وإنما قلت ذلك لأني سمعته يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت مما جبيت من اليمن شيئا ولا شربت منه الماء. وسمعته أيضا يقول: ما أُنفق إلا من شيء جئت به من الحجاز، وهذه صفة المتورعين التي جاء بها الأثر، لأنه بلغنا عن الحسن أنه قال: ما ينال التقوى المتقون حتى يتركوا كثيرا من الحلال مخافة أن يواقعوا الحرام[١].

وقال علي بن محمد العباسي: كنت جالساً عنده، فأتاه رجل بعبد فسمعته يحلف بالله مجتهدا ما ارتكبت فرج حرام ذكرا ولا أنثى، ولا أكلت درهم حرام أعرف أنه حرام، ولا شربت مُسكراً قط، ولا سمعت غناء قط، ولا لعبت بشطرنج قط ولا بملهى، ولا تعمدت ظلما لمسلم قط، ثم قال: ما أمدح نفسي بهذا، ولكني أثني على ربي بما أنعم عليّ به، كما قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١].

وقال علي بن محمد: حدثني محمد بن سليمان، عن عبد الملك بن عبد الملك البِرْسَمي قال: خرجت يوما مع يحيى بن الحسين فمررنا بزرع لم يحصد، فضربت بيدي إلى سنبلة فقطعتها وأهويت بها إليه، فمد يده إليّ ثم قال لي: الزرع لك؟ فقلت له: لا، فحبس يده عني ولم يمسها، فرميت بها من يدي[٢].

وقال علي بن محمد عن محمد بن سليمان: قال لي علي بن عنبسة: قال لي الهادي إلى الحق: اشتر لي أنا قرطاسا على حدة فما يحل لي أكتب فيه أنا، فاشتريت له[٣].

وكان يُشترى ليحيى بن الحسين كل يوم بدرهمين لحما، والدرهمان صغيران ثلث درهم قَفلة، ورأيته وقد قطع قباءً ملحماً، فقال: والله لو كنت بين مؤمنين ما

(١) سيرة الهادي / ٥٨.
(٢) سيرة الهادي / ٥٩.
(٣) سيرة الهادي / ٦٥.

لبست مثل هذا ولا هذا من لباسي، وما أشتهي أن ألبس إلا الغليظ من الثياب، ولو لبسته لاستخف الناس موضعي، فقد ميزت أمورهم فرأيتهم لا يطيعون إلا من كان عليه مثل هذا الثوب، ولكأن على جلدي من لباسه الشوك [1].

وقال محمد بن سليمان: رأيت يحيى بن الحسين وقد أمر غلاما يقدِّم إليه، وكان في الليل، فأتى الغلام بمائدة عليها ثلاثة أقراص وشيرج (دهن السمسم)فأكلت أنا وهو، فقال لي: الحمد لله يا أبا جعفر، هذا مع الأمر بالمعروف والنهي المنكر كثير [2].

عبادته:

وحدثني أبو العباس رحمه الله قال: حدثني أبو العباس الفضل بن العباس رحمه الله، أنه قال: حدثني سليم مولى فلان وسماه لي وكان يلي خدمة الهادي عليه السلام في داره، قال: كنت أتبعه – حين يأخذ الناس فراشهم – في أكثر لياليه بالمصباح إلى بيت صغير في الدار كان يأوي إليه، فإذا دخله صرفني فأنصرف، فهجس ليلة بقلبي أن أحتبس، وأتيت على باب المسجد أنظر ما يصنع. قال: فسهر عليه السلام الليل أجمع ركوعاً وسجوداً، وكنت أسمع وقع دموعه صلى الله عليه ونشيجاً في حلقه، فلما كان الصبح قمت فسمع حسي، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا. فقال: سليم ما عجل بك في غير حينك؟! قلت: ما برحت البارحة جعلت فداك. قال: فرأيته اشتد ذلك عليه وحَرَّج عليَّ أن لا أحدث به في حياته أحدا. قال: فما حَدَّثَنَا به سليم إلا بعد وفاة الهادي إلى الحق عليه السلام أيام المرتضى [3].

(١) سيرة الهادي / ٥٦.
(٢) سيرة الهادي / ٥٧.
(٣) الإفادة / ١٣٨ – ١٣٩.

خُلقه:

حدثني أبو العباس الحسني رحمه الله، عن عمه محمد بن الحسن رحمه الله، قال: سمعت علي بن العباس رحمه الله يقول: ركب يحيى بن الحسين عليه السلام إلى موضع هو مجمع يعظ الناس ويذكرهم، فبلغ أبا القاسم ابنه ركوبه فأسرج وركب وأسرع نحوه، فعرض له في الطريق بعض الطبرية وحال بينه وبين الهادي، فأهوى إليه بسوطه ينحيه، وكانت من الهادي التفاتة إليه فلم يزل يقطع مسيره في تقريعه وعذله. ويقول: يا أبالقاسم، مؤمنٌ وليُ لله تعالى تكلمه بالسوط؟!

قال: وسمعت علي بن العباس رحمه الله يذكر أن الهادي عليه السلام نزل يوما في بعض المواضع، وجاء إليه ابنه أبو القاسم المرتضى، فأخذ بعض الطبرية كساء له كان عليه ولفه ووضعه ليجلس عليه أبو القاسم فجلس، ثم جاء غلام أبي القاسم بكساء في منديل على عاتقه، فأمر الهادي بإخراجه، ثم قال للرجل: اجلس عليه كما جلس هو على مالك [1].

وحدثني يوسف بن أحمد بن كج قال: حدثني القاضي أبو حماد المروزي، قال: حدثني أبو الحسن الهمداني المعروف بالحروري، وكان رجلا فقيها على مذهب الشافعي، تاجر جمع بين الفقه والتجارة. قال: قصدت اليمن في بعض الأوقات، وحملت ما أتجر فيه إلى هناك ابتغاء لرؤية يحيى بن الحسين، لِمَا كان يتصل بي عن آثاره، فلما حصلت بصعدة حرسها الله، قلت لمن لقيته من أهلها: كيف أصل إليه، ومتى أصل، وبمن أتوسل في هذا الباب؟ فقيل لي: الأمر أهون مما تقدر، تراه الساعة إذا دخل الجامع للصلاة بالناس، فإنه يصلي بالناس الصلوات كلها.

---

(١) الإفادة/ ١٤٢.

فانتظرته حتى خرج للصلاة فصلى بالناس وصليت خلفه، فلما فرغ من صلاته تأملته فإذا هو قد مشى في المسجد إلى قوم أعِلاّء في ناحية منه، فعادهم وتفقد أحوالهم بنفسه، ثم مشى في السوق وأنا أتبعه، فغير شيئا أنكره، ووعظ قوما وزجرهم عن بعض المناكير، ثم عاد إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه من داره للناس، فنفذت إليه وسلمت فرحب بي وأجلسني وسألني عن حالي ومقدمي، فعرفته أني تاجر وأني وردت ذلك المكان تبركاً بالنظر إليه، وعرف أني من أهل العلم فأنس بي، وكان يكرمني إذا دخلت إليه، إلى أن قيل لي يوم من الأيام: إن غداً يوم المظالم وإنه يقعد فيه للنظر بين الناس، فحضرت غداة هذا اليوم، فشاهدت هيبة عظيمة، ورأيت الأمراء والقواد والرجالة وقوفاً بين يديه على مراتبهم، وهو ينظر في القصص ويسمع الظلامات ويفصل الأمور، فكأني شاهدت رجلا غير من كنت شاهدته وبهرتني هيبته.

فادَّعا رجل على رجل حقاً فأنكره المدَّعا عليه وسأله البينة، فأتى بها فحلَّف الشهود فتعجبت من ذلك، فلما تفرق الناس دنوت منه فقلت: أيها الإمام رأيتك حَلَّفْتَ الشهود!! فقال: هذا رأيي، أنا أرى تحليف الشهود احتياطا عند بعض التهمة، ما تنكر من هذا؟ هو قول طاووس من التابعين، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا ﴾ [المائدة: ١٠٧]، قال: فاستفدت في تلك الحال منه مذهبه وقوله، وقول من قال به من التابعين، والدلالة عليه، ولم أكن عرفت شيئا منه قبل ذلك.

وأنفذ إلي يوما من الأيام يقول: إن كان في مالك لله حق زكاة فأخرجه إلينا، فقلت: سمعاً وطاعةً من لي بأن أخرج زكاتي إليه! وحَسَبْتُ حسابي، فإذا علي من

الزكاة عشرة دنانير، فنفذتها إليه، فلما كان بعد يومين بعث إليَّ واستدعاني، فإذا هو يوم العطاء، وقد جلس لذلك والمال يوزن ويخرج إلى الناس، فقال لي: أحضرتك لتشهد إخراج زكاتك إلى المستحقين. فقمت وقلت: الله الله أيها الإمام كأني أرتاب بشيء من فعلك؟! فتبسم وقال: ما ذهبت إلى حيث ظننت، ولكن أردت أن تشهد إخراج زكاتك.

وقلت له يوما من الأيام: رأيتك أيها الإمام أول ما رأيتك وأنت تطوف على المرضى في المسجد، تعودهم وتمشي في السوق، فقال لي: هكذا كان آبائي، كانوا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وأنت إنما عهدت الجبابرة والظلمة [1].

قال علي بن محمد: حدثني أبي محمد بن عبيد الله قال: كان من تواضع يحيى بن الحسين ترك الكبر والتجبر في مجلسه وغير مجلسه، وفي مطعمه ومشربه وجميع أحواله، فرأيت من ذلك أنه إذا خرج من منزله لصلاة أو لغيرها سلم على جميع من يَمرُّ به من شريف أو دني أو فقير أو غني أو عبد أو صبي، وبذلك جاء الأثر عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان يسلم على كل من مَرَّ به حتى العبد المخلخل، ورأيته يعود المريض حتى رأيته قد عاد بعض خدم أصحابه.

وسمعت رجلا يقول له: جعلت فداء للسيد، فقال له الهادي إلى الحق عليه السلام: لا تعد تقول هذا مرة أخرى، فإنما السيد الله، وإنما أنا عبد ذليل. فقال له رجل ممن حضر المجلس: جعلت فداك، قال الله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران:٣٩]، فقال: نعم، ولكن لا أحب أن يقال لي هكذا.

ورأيته وقد صلى العصر في المسجد فلما انصرف استقبلته امرأة فصاحت به:

(١) الإفادة / ١٤٣ – ١٤٥.

يابن رسول الله فوقف، ودنت إليه فإذا هي عجوز، وأمسكت بثوبه، فزجرها بعض خدمه وانتهرها، فقال له يحيى بن الحسين: دعها، فجعلت العجوز تكلمه وتشكو إليه أنها مظلومة، وهو واقف معها حتى فرغت من كلامها، ثم صاح بأبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي، فأمره أن يمضي معها، ويستقضي في الحق لها، فنفذ معها حتى أحضر خصمها، وقطع ما بينه وبينها.

ورأيته يوما وقد خرج إلى الصحراء فأصاب رجلا من أصحابه مرار، وهو محمد بن عباس الصنعاني فسقط في الأرض، فنزل يحيى بن الحسين عن فرسه إلى الرجل حتى مسح وجهه بيده وقرأ عليه ثم أمر بعض خدمه فأتى له بحمار فركبه إلى صعدة، فلما صار يحيى بن الحسين في منزله جاءه الرجل فجلس بين يديه، فسأله عن خبره، ثم صاح ببعض غلمانه فأمره أن يأتي برمان، فأتى به الغلام، فجعل يحيى بن الحسين يقشر الرمان بيده ويخرج حبه، ويدفعه إلى الرجل وهو يأكل، ثم قال: إني لأراكم تمشون على الأرض فيشق ذلك علي، ولكن أبشروا فإنكم في خير كبير، وقام الرجل وقد أفاق من علته.

وأُتي يحيى بن الحسين يوما بصبي صغير يتيم، فلم يزل يدنيه حتى أجلس بين يديه، ومسح رأسه، وتكلم فيه بكلام وبكى، ثم أمر للصبي بقميص وسراويل [(١)].

« وقال علي بن محمد: ورأيته وقد انصرف من المسجد فقام إليه صبيان صغيران فقالا: يابن رسول الله نحن يتامى، فوقف معهما طويلا يمسح رؤوسهما ويدعو لهما، ثم أمر لهما بكسوة ونفقة » [(٢)].

---

(١) سيرة الهادي / ٥٣ - ٥٧.

(٢) سيرة الهادي / ٥٨.

ورأيته في مجلسه يدير بصره بين جلسائه يمنة ويسرة حتى يفهم كل من حضر المجلس ما يقول، لا يخص أحداً بجميع كلامه، صائناً لنفسه في مجلسه، قليل الحركة، لا يتكئ بين جلسائه، ولا يستخف بهم، حسن الصمت إذا صمت، بيِّن الكلام إذا نطق، لا مهذاراً في الكلام، ولا عييا في الجواب، ولا سكوتاً عما يحتاج إليه، إن تكلم ببيان، وإن سكت فبحفظ لسان، لا يقوم عن جلسائه حتى يقوموا، وإن عرضت له حاجة صبر معهم حتى ينصرفوا، فعلمت بذلك أنه كان إذا لم يبق في مجلسه أحد قام لقضاء حاجته، فكنت أعلم أنه كان يحتاج للقيام قبل ذلك، فيمنعه من ذلك الكرم والأدب.

ورأيته في مجلسه يستمع ويقبل على من كَلَّمه حتى ينقضي كلامه، لا يقطع عليه ما يقول، ثم يرد عليه بلا فظاظة ولا غلظة ولا ضجر [1].

شعره:

كان الإمام الهادي عليه السلام شاعرا مطبوعا، وعربيا قُحا، وفصيحا سليقيا، وكان الجهاد والفروسية والتقوى عنوان شعره، وهدف قصائده، جاهد بشعره كما جاهد بسيفه ورمحه.

قال الشعر في كل مناسبة هامة كانت تعرض له، وقد حفظت لنا سيرته قصائد عدة من شعره، فمنها: قال في ولده المرتضى وهو أسير:

ألا أبلغا إبني وإن كان نائيا ... أخا الدين والتقوى وذا الفضل والبِشر
وذا العرف والإحسان في كل حالة ... ومن ذكرهُ عالٍ على كل ما ذكرِ
ومن طاب مولودا ومن طاب ناشئا ... ومَن فضله قد شاع في البر والبحر
ومن لا ترى منه لعمرك زلةً ... ومن لم يزل طهرا على غاية الطهر

---

(١) سيرة الهادي / ١٢٢ - ١٢٣.

ومن لم يزل يعلو إلى المجد شامخا ... ومن هو أصل للمهابة والفخر
ومن هو أمّارٌ بكل فضيلة ... ومن هو مفضال على العسر واليسر
ومن هو بالمعروف يأمر جهده ... وينهى عن الفحشاء والفسق والشر
ومن هو للأرحام أوصل واصل ... ومن هو أصل في التعطف والبر
ومن هو لا يجفو أخاً طول عمره ... ومن لم تضعضه الشدائد في العصر
ومن هو للإسلام ركن معاضدٌ ... ومن هو جاف للفسوق والكفر
ومن هو حتف للعدو لدى الوغى ... وسمٌّ قتول للأعادي ذوي الختر
ومن تعرف الأقران في الحرب فضله ... إذا التقت الأبطال في معرك وعر
ودارت كؤوس الموت بين حماتها ... وأولجت المران في ثغر النحر
فحينئذ تلقى أبا القاسم الذي ... له الفخر مقداماً بها واسع الصدر
شريفا كريما هاشميا مهذبا ... قريبا من العافية (١) ليس بذي كفر
يمين يديه للمنايا ذريعة ... ويسراهما غوث من الحرب والفقر
فقولا له يقرا عليك مكررا ... أبوك سلاما دائما عَدد القطر
ويشكو إليك الله بعلم وحشة ... لها حرقة تأوي إلى القلب والسحر
فيارب عجِّل يا عزيز خلاصه ... وجمِّل به أسري وشد به أزري
إذا اجتمع الإخوان حولي ولم أر ... محمداً المفضال باح له سري
قليلي سروري لا أُسر بحيلة ... ولم يهن لي عيش ولم يخل لي فكري
على أنني حزمٌ جليد مجرب ... صبور على ما جا من نُوَبِ الدهر
ولست بضجاج جزوع مفندٍ ... إذا أقبلت نحوي عرى محن تجري
ولكنني ألقي بأمري كله ... على ثقة مني إلى خالق الصخر

(١) هكذا في السيرة. ولعلها مصحفة من: العافين. أو نحوها.

وأعلــم أن الله يكشــف كلــما   يغـم ويجلـو فـادح الهـم والعسـر
أبا قاسم تفديك نفسـي من الـردى   ومن كل ما منـوء ومن كـل مـلشرّ
وقدم شخصي دون شخصك للذي   يخـاف إلى يـوم القيامـة والحشـر
وطال فدتك النفس عمرك في البقـا   وكـان بـأمر الله أطـول مـن عمري
أبـا قاسـم تـالله لـو كنـت قـربكم   لدافعت عنك النـاكثين ذوي الغدر
وما بلغوا منك الـذي كـان دون أن   أوسـد في لحـدي وأدفـن في قـبري
وجاهدتهم بالسيف والرمح معلنـا   لعمـرك أو آتي عـلى غايـة العُـذر
وإن كـان في آبائـك الشـم أسـوة   لمثلـك يـابن الطـاهرين ذوي القـدر
وهذا شعار الصـالحين ذوي النهـى   ذوي الـبر والتقـوى السـادة الغُـر
فقـد نـالهم بـالطف قتـل وشـدة[1]   ونــالهم أمـــر يجـــل عـــن الأمر
وضرب له شـأن مـن الشـأن فـادح   وطعــن بــأطراف المثقفــة السُــمر
عـلى أن أقـاموا الحـق لا شيء غـيره   وقاموا لربّ الناس بـالفرض والنصــر
وما ذاك من صـغر بهـم عنـد ربهـم   ولكنــه ذخـــر لهـــم أيـــما ذخـــر
فــأخر عـــنهم نصـــره لكرامـــة   أراد بهـا إكـمال مـا شـاء مـن أجـر
وأملى لأهـل الفسـق في ثـأر أحمـد   ليأخــذهم يــوم القيامــة بــالوزر
فويــل بنـي الـدنيا مـن الله إنـه   سيصـليهم نـاراً تلهـب بـالجمر
جحـيم لهـا حـرٌ شـديدٌ وكربـةٌ   لهـا شررٌ عـالٍ يشـبه بالقصـر
طعـامهم الزقـوم فيهـا وشربهـم   حمـيمٌ غسـاقٌ لا يسـوغ مـن الحـر
وتطلى من القطران فيها وجـوههم   ومـا لهـم عنهـا لعمـرك مـن سـتر
محمـد المـرضي فيهـا خصـيمهم   ليأخـذ مـنهم مـا لـه كـان مـن وَتـر

---

(١) هكذا في السيرة، وفي البيت خلل.

يقـول لهـم يـوم المعـاد محمـد قتلـتم بنـي الزهـراء سـيدة الزُهـر
وسـوَّقتموهم في الأسـارى تَعفرُتـاً على الله رب البيت والركن والحجـر
ولم توقنـوا أني أخاصـم عـنهم وأطلب ثاري مـنكم سـاعة النشـر
قتلـتم بنـيَّ الطـاهرين ذوي التقـى وروعـتم منـي الحـريم عـلى الصُـغر
ألم يـك حقـي واجبـاً في رقـابكم فترعوا حقوق الله في واجـب الأمـر
وترعـوا حقـوقي في بنـيّ وحُرمتـي وتبغوا بهم مني الوسـيلة في الحشـر
قتلـتم بنـي الـدنيا بنـيَّ وخنـتمُ عهـودي وأبـديتم لنـا غايـة الغـدر
فـذوقوا عـذاب الله زال نعـيمكم وحل بكـم لا شـك قاصـمة الظهـر
فأوصيك بالتقوى وبالدين والهدى وإيثـار أمـر الله في السـر والجهـر
وأن لا تـرى للـدهر يومـا مطأطئـا ولا تخضعن للدهر والزم على الصبر
فيوشـك أن ينفـك عنـك علائـق بصـبرك إن أخلصـت لله في الشـكر
عليـك سـلام الله مـا ذَر شـارق وما غردت ورقـاء في سُـدف الفجـر
ولا زلـت في عـيش رخـي وغبطـة وفي نعـم تغـدو وفي نِعـم تسـري

وله أيضا إلى بني عمه من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نفى النوم عن عينـي هـم مضـاجع وخطـب جليـل فهـو للنـوم مـانع
وأرقنـي أن لا صـديق ولا أخ يشـاركني فـيما تجـن[1] الأضـالع
أفكـر في الـدنيا وتافـه شـأنها كما طـال فكـري والعيـون هواجـع
سَبَتهم بحسن الذوق مـن شـهواتها فكـل لهـا إلـف محـب مطـاوع
يـوفر مـا قـد نـال مـن فضـلاتها ويـدخر للـوراث مـا هـو جـامع
ويبخـل عـن تقـديم خـير لنفسـه ويجـزع عـن إخراجـه ويـدافع

(١) في السيرة: تحن. ولعل الصواب ما أثبت.

ويمنعه التسويف عن باب رشده ويعجل فيما طره ويسارع
ويدخره حتى يكون كأنه إلى ماله بعد المنية راجع
أليس عظيما أن تسالم مبطلا ظلوما لأهل الحق فالحق خاضع [1]
قتيل قليل أهله ومضيع فساحته قفر قواء بلاقع
وعطله أنصاره وحماته فقد درست أعلامه والشرائع
وآل رسول الله قد شغلتهمُ عيون وأموال لهم ومزارع
وحقد وإحياء الضغائن بينهم ولم يجمعوا فيه وقلّ التطاوع
أرى الطالبيّين الأسود تخاذلوا فمنهم مُدانٍ للعدى ومُصانع
ولم يطلبوا إرث النبوة بالقنا ولم يمنعوه والرماح شوارع
أرى حقهم مستودعا عند غيرهم ولا بد يوما أن ترد الودائع
هلموا إلى ما يورث الفخر والسنا فما عز قوم أمرهم متنازع
فلو عضدتني عصبة طالبية لها شيم محمودة ودسائع
وصبر على البلوى إذا نزلت بهم جحاجح في أسيافها السُم ناقع
إذاً ملكوا الدنيا وذل عدوهم ولم يرَ في روضاتهم وهو راتع
ولكنهم أضحوا وأمسوا كآيسٍ يداري فيُعطى تافها فهو قانع
فذرية المختار في عقواتهم وفي الأرض قد ضاقت عليها المواضع
تفرقت الأهواء منهم وطامنوا فلا الخفض محمود ولا السلم نافع
شديد عظيم أن تصيروا أذلةً وأنتم ليوث حين تخشى الزعازع
وأعداؤكم في غبطة وغضارة وعيشٍ على حافاته الملك ذائع

---

(١) في السيرة:

أليس عظيما أن تسالم مبطل ظلوم لأهل الحق فالحق خاضع

والصواب ما أثبت. إلا إذا كان البيت هكذا: ... يُسالِم.

فشدُّوا وصونوا دينكم وتحاشدوا ... وقوموا فأنتم مرهفات قواطع
كما أجمعوا في قبضة وتوازروا ... وحاموا معا فيه وراح التخادع
كذلك أنتم يا آل أحمد فانهضوا ... بجيش كسيل حَذَّرته الجراشع
فما العز إلا الصبر في حومة الوغى ... إذا برقت فيه السيوف اللوامع
هل الملك إلا العز والأمر والغنا ... وأفضلكم من هَذَّبته الطبائع
ومن لم يزل يحمي وينقم ثأره ... ومن هو في الحالات يقظان هاجع
بقلب يظن الرأي فيه تطهر [١] ... ويمضي إذا ما أمكنته المقاطع
ونحن بقايا المرهفات وسؤرها ... إذا كان يوم ثائر النقع ساطع
يموت الفتى منا بكل مهند ... وأسمر مسنون الشبا وهو دارع
فتلك منايانا وإنا لمعشر ... من الناس في الدنيا النجوم الطوالع
أبونا أمير المؤمنين وجدُّنا ... رسول الذي منه تتمّ الصنائع
نهضت ولم أعجز وقلت مواعظا ... ذخائر علم إن وعاهن سامع
فكم قائل في نفسه وضميره ... أيا واعظاً في ذا كلامك ضائع
فكيف غناء الكفّ عند اجتهادها ... إذا لم تعنها بالفعال الأصابع
بنيت لكم بيتا من المجد سُمكه ... دوين الثريا فخره متتابع
فأضحى لكم عزٌّ به ومفاخرٌ ... وذكرٌ ومجدٌ شامخُ الفضلِ يافع
بعثت كتاب الله بعد هلاكه ... فليس بغير الحق يزمع زامع
وحرّمت ما قد حرمته نواطق ... مِنَ اي كتاب الله عزٌّ جوامع
ولايَمْتُ أحكامَ الكتاب بأسرها ... كما لايَمَ الذود المشبُّ المشايع
فطال بفعلي كلُّ آل محمد ... وكل عزيز عندهم متواضع

---

(١) في السيرة: تطهرة. لعلها مصحفة.

وشيعتُهم عالون في كل حُجة ... وأمرهم في آل أحمد جامع
وجوههم تزهو بنور فعالهم ... إذا فخروا طالوا على من ينازع
لأنهمُ أحيوا كتاباً وسنة ... به شهدت عند الفخار الصوامع
فإن أنتم لم تشكروا لي صنيعتي ... فلا يكفُرَنها عازبُ الرشد قاطع
يُشاع قبيح الظن فينا وإنه ... لما يعتري من ظنه لمطاوع
نقمتم علينا في العطية فاسمعوا ... فما القول إلا ما وعته المسامع
ألم تعلموا أني أجود بمهجتي ... ومالي جميعا دونكم وأدافع
وأني لكم عند المكارم والعلى ... وأحمي على أحسابكم وأرادع
ولست وبيت الله أذخر عن أخ ... إذا نلت ما فيه الغنى والمنافع
ألم تفهموني في بُديّ أموركم ... وفي صِغَرٍ مني وإذ أنا يافع
وإني لأحمى أن أبيت بغبطة ... بطيناً وجاري مقتر وهو جائع
فلا تسرعوا بالظن فيَّ بأنني ... ذخرت كنوزا فالظنون تُسارع
فلست إذا أعطيت أبقي بقية ... ولست إلى ما لا يحل أطالع
فيا قوم قوموا لي بعذريَ عندكم ... فإني بحمد الله والحق صادع
فما أحد يسعى لينعش عزكم ... سواي وهذا عند ذي اللب واقع
فلا راتق ما قد فتقت على العدى ... ولا واضع في الحق ما أنا رافع
تظنون أن المال عندي مُرَاكَمٌ ... وأني به عنكم ضنين ممانع
إذا خذلتني إخوتي وعشيرتي ... فما أنا بعد الجهد والحزم صانع؟
ولست بني عمي أخا تلك فاعلموا ... وليس عن الأموال مثلي يدافع
أبى الله لي هذا الفعال وهمتي ... وإني امرؤ لا تعتريني المطامع
وإني قصدت الله في الأمر كله ... وإني له عبدٌ مطيع متابع
ومن تابع الرحمن لم يبغِ غيره ... وذو البخل بالأموال بالله جائع

فقد عشت فيكم أعصراً بعد أعصر بَذُولاً لمالي إن حوى المال جامع
أبعد مشيب الرأس والفضل والنهى صبوت إلى الأموال إني لطامع
فلو أن أرض الله طراً بأسرها وأمثالها أضحت حوتها الأشاجع
لجدتُ بها والله قولة صادق لبعضكمُ صدري بذلك واسع
بني العم إني في بلاد دنيّة قليل وَداها شرها متتابع
وليس بها مال يقوم ببعضها وساكنها عريان غرثان جائع
سلوا الناس عنها تعرفوا ما جهلتمُ مِنَ اخبارها خيرُ الرجال المطالع
نسيتم مُحاماتي عليكم ودونكم وذلك مفهوم لدى الخلق شائع
فإن لم تكافوني بفعلي فتحسنوا فلا يأتني منكم هديتم قطائع
فلست لها منكم بأهلٍ وإنما لكل فعال موئل ومواضع
بني عمنا الدنيا تدور بأهلها وأيامها عوج هديتم رواجع
فلا تيأسوا منا لعل أمورنا سيسعفها دهرٌ مُواتٍ متابع
فيلقى الذي قد كان بالظلم عاتياً أموراً إليها كان قبل ينازع
فللدهر حالات تُقلّب أهله فتخفض متبوعاً ويرفع[1] تابع
وليس أخو الأيام إلا مناظرا عواقبها لا أعوج الرأي جازع
فمن كان في شيء تنظر ضده فللشيء أسباب إليه تسارع
عليكم سلام الله ما ذر شارق وما سجعت فوق الغصون السواجع

وقال عليه السلام فيما تضمن من الجهاد لأهل العراق وغيرهم من ولاة الجور:

ألا أبلغ ولاة الجور عني مقالة صادق فيما يقول
بأني إن سلمت لكم قليلا وتنسيني منيتي العجول

(١) في السيرة: وترفع. ولعل الصواب ما أثبت.

تـــروني في كتائـــب مـــرغمات ... أنـــوفكم إذا حضـــر الصـــقيل
مـــن الـــيمن الـــذي فيـــه مقـــالٌ ... مـــن الـــرحمن جـــاء بـــه الرســـول
علـــيهم كـــل ســـابغةٍ دلاصٍ ... يـــرون الكفـــر مـــنهم أن يـــزول
عـــلى حُصُـــن مســـومةٍ كـــرامٍ ... خـــلال القُســـطَلين بهـــم تجـــول
بأيـــديهم بـــواتر قاطعـــات ... بهـــا مـــن ضرب هـــامكم فلـــول
وســـمرٌ قـــد ظمـــئن معـــاودات ... لمـــا فيـــه ذهـــابكم تجـــول
إذا اســـتعر الضـــرام بصـــحن قـــاع ... وخـــلى عـــن حليلتـــه الحليـــل
وجاء المـــوت واضـــطرمت لظاهـــا ... وغـــودر كـــل ناحيـــة قتيـــل
وثـــار النقـــع واختلطـــوا جميعـــا ... وكلّـــت مـــن مطـــاردةٍ خيـــول
وخُوِّضـــت الجواشـــن في نجيـــع ... وســـالت مـــن دمـــائكم ســـيول
ولم يعـــرف أخ فيهـــا أخـــاه ... ســـوى أن الشـــعار لهـــم دليـــل
فحينئـــذ تـــروني غـــير نـــاء ... ولكنـــي خلالكـــم مثيـــل
أضرب في جمـــاجكم بمـــاضٍ ... لـــه فيهـــا إذا اســـتولى صـــليل
أكـــر عـــلى عتـــاتكم كمينـــاً ... شـــديد الأسر همتـــه الصـــهيل
تحـــف بـــه قبائـــل أهـــل بـــاسٍ ... يمانيـــون عـــزّهم أصـــيل
وحـــولي المؤمنـــون أولـــو المعـــالي ... وحـــولكم الأراذل والجهـــول
فينصـــر ديننـــا ذو العـــرش ربي ... فتلقـــوا في الأســـار لكـــم عويـــل
وولى الملحـــدون ولم يحـــاموا ... عـــلى عِـــزّ ولم يحفـــظ خليـــل
فلســـت إلى النبـــي إذا انتميـــتم ... إلى أجـــدادكم حقـــاً أقـــول
إذا مـــا كـــان ذاك فلـــم أقمكـــم ... عـــلى الحـــق المبـــين ولا أميـــل
وأعـــدل مـــنكم عوجـــاً ومـــيلا ... وعـــاد الحـــق دهـــراً مـــا يحـــول
وأحكـــم بالكتـــاب كتـــاب ربي ... فقـــد حـــارت عـــن الآي العقـــول

وأقضـو سـنة المختـار جـدي ... ومـا قـد قالـه الـبَرُّ الوصـول
وتثبـت سـنة البطـل المنـادي ... عـلى خـير إذا حجـل الحجـول
فيلقـى الجـور قـد هتكـت عـراه ... ويعقـب عـزه ذلٌ طويـل
ويضـحي الحـق أبلـج مسـتبينا ... وبعـد السـخط قـد رضي الجليـل
وعـاد النـاس في عـدل جميعـا ... وأشـبعت الأرامـل والكهـول
ومسـكين وأيتـامٌ ضـعافٌ ... ويكسـى فيـه عريـان ذليـل
ويقضـى عـنهم غـرم وديـنٌ ... ويـأمن ويحهـم لهـم السـبيل
ويقسـم فيـئهم فـيهم جميعـا ... كثـير المـال مـنهم والقليـل
ويصـبح راغـما إبلـيس حقـا ... ويـرضى الله لـيس لـه عـديل

وله أيضا عليه السلام:

يا صاحب العقل الرصين أخا الهدى ... ولـه الوفـاء بعهـده والـدين
ولـه المحبـة في النبـي وآلـه ... فبـذاك فـاز وغـيره المغبـون
قد قال ذو الأدب الأديب وقولـه ... مَثَلٌ لـذي اللـب الحلـيم مصـون
ما لا يكـون فـلا يكـون بحيلـة ... أبـداً ومـا هـو كـائن سـيكون

وله أيضا عليه السلام:

ألا لله عينـا مـن رآنـا ... وأشـباه الكـلاب لـدى القتـال
وقـد سرنـا إلـيهم في جيـوش ... مظفـرة تزيـف إلى النـزال
بأيـديهم بـواتر قاطعـات ... تـزاح بهـن أقحـاف القـلال
إذا مـا حكَّمـت في القـوم يومـا ... أطـاع لحكمهـا غُلـب الرجـال
وسُـمر رُكِّبَـت فيهـا المنايـا ... فحـلّ المـوت في روس العـوالي
وزور عكفـت للحـرب صـفر ... عـلى أكبادهـا زرق النصـال

وإمــا قابلــت جيشــا أحلــت ... بهــم مــن وقعهــا أنكــى النكــال
تــرنم في الصــفوف إذا تــدانت ... ويــذهب وقعهــا كــذب المقــال
فصــبحناهمُ بالخيــل قبــاً ... ترامــى في الأعنــة كالنصــال
مجففــة بثــأر الحــق قامــت ... فنالــت مــنهم كــل المنــال
عليهــا كــل أروع مُصــرَّخي ... تســربل ســابغ الحلــق المُــذال
فأعــذرنا ولم نعجــل علــيهم ... وخيرنــاهمُ كــل الخصــال
وقلــت ألا احقنــوا عنــي دمــاكم ... وإن لا تحقنوهــا لا أبــالي
ولســت بمســرع في ذاك حتــى ... إذا مــا كفــر كــافركم بــدالي
وحلــت لي دمــاؤكمُ بحــق ... وإخــراب الســوافل والعــوالي
وقطــع الــزرع واســتوجبتموه ... بــها قــد كــان حــالاً بعــد حــال
فقمــت علــيكم حقــا وقــولي ... بــذلك قــد يصــدقه فعــالي
وقــد كنــتم زمانــاً في فســاد ... وإدغــال وخــدع واحتيــال
وقلــتم إنــه يخفــى علينــا ... فقــد ذقــتم بــه شر الوبــال
وإن صرتــم إلى محمــود حكمــي ... وصــيرتم بغــيركمُ اشــتغالي
سلمتم من صُروف سجال حربي ... ومــا زلــل الحــروب بمســتقال
وإلا فــاثبتوا للحــرب إني ... أحــاربكم بقــدرة ذي الجــلال
فقــد أعطــاني الــرحمن نصــرا ... وإمــداداً بــإعزاز ومــال
وجــيش لا يُــرام إذا التقينــا ... شديد البأس يزحف ذي احتفال
أضر علــيكم وأشــد بأســاً ... وأمضــى مــن مذلقــة النبــال
فحــزب الله منصــور قــوي ... وحــزب البغــي يــردى بالوبــال
وأمــر الله يقــدم كــل أمــر ... ولســنا أهــل غــدر وانتقــال
أنــا ابــن محمــد وأبي علــيٌّ ... وجــدي خــير متعــل وخــالي

بحـذوهم لعمـركم احتـذائي كـما يُحـذى المثـال عـلى المثـال
أنـا المـوت الـذي لا بـد منـه عـلى مـن رام خـدعي واغتيـالي
وغيـث للـولي إذا وليـي أتـاني يبتغـي منـي نـوالي
أخـوض إلى عـدوي كـل هـول وأصـبر عنـد معـترك النـزال

وله أيضا عليه السلام:

هـل لـك في الأكرومـة البكـر غـراء لا تـبلى عـلى الـدهر
هـل لـك في مثـل مقـام الألى حمـوا حمـى الله لـدى بـدر
هـل لـك في عزمـة ذي نيـة أحكمهـا صـاف مـن الفكـر
هـل لـك في نهضـةٍ ذي صـولة تزيـده قـدرا عـلى قـدر
هـل لـك في الجنـة مـن حاجـة فإنهـا أفضـل مـا ذخـرِ
هل لـك في الـرحمن مـن رغبـة فـأمره جـارٍ عـلى الأمـر
هـل لـك يـا مشـغول في توبـة قبـل مجـال الـنفس في الصـدر
هـل لـك في رجعـةٍ ذي توبـة تقيـك حـر النـار والجمـر
هـل لـك في أمـر إذا رمتـه أمنـت هـول البعـث والحشـر

وله أيضا عليه السلام:

أبلغ بني كعـب جميعـا واقصـد وقـل لهـم قـول فتـى مُسـددِ
واخصص قشيرا بالمقال الجيِّد ثـم بنـي قـرة مـنهم فاعمـد
بـأنني ذو شرَف مشـيد في منصب عـالي الـذرى مسـود
إذا انتسـبت للنبـي أحمـد ثم اقصد القوم الـذي لم تُقصـد
بمطلـق الحـدين مـاض مرعـد ملتهـب مـرتعش مُطـرد
طلـق الـذباب قاضـب مهنـد مقـرُّه إذا نبـا في الكبـد

فـادن إذا شـئت ولا تسـتبعد — فالنصـــر لله العـــلي الصـــمد
أنا الغـلام الفـاطمي الأحمـدي — وابــن أمـير المـؤمنين المهتـدي
أذبُّ عن صحبي كذبِّ الأسـد — عن أشـبل مـن كـل بـاغ معتـد
أثني إلى المـوت عنـان الأجـرد — وأورد الأدهــم ضــنك المــورد
كأنــه إذا جـــرى في الفَدْفــد — وقلعــت فخـذاه صـافي الزبـد
وقــد عــلاه كالركــام الــبرد — إلهــابُ نــار في الهـوى مصـعد
أكـــرُّه في عســـكر ذي عـــدد — جـــمّ القـــروم في اللقـــا مُلبَّـــد
أوقــد نــار الحـرب إن لم تَقـد — أنيل باغي الخير مني المجتـدي
بغيتُــه إذا أتـــى مســـترفدي — أنيلـه جـمَّ الـذي تحـوي يـدي
ولا أخبيـــه عليـــه لغـــدي — والضـيف إن حـل بليـل بلـدي
فلســت بالملباجــة المســترفد — ولا بطيء بـالقرى المسـرهدي
ولم أبـــت بمنـــزل ممهـــد — وبـات ضـيفي لاصـقاً بالجـدد
أوثـره مـن فُـرشي بالجـدُدِ — موسـداً كمثـل مـا توسـدي
مكرمـــاً مقربـــاً لم يبعـــد — أكـرم ضـيفي وأهـين ولـدي
مـا بـات لي جـار قـديم الأبـد — عريـان صـديان قليـل السـبد
فبـت شـبعان كثـير اللبـد — يصبح جاري بي شديد الأعضد
أمنعـه الأدنـى وشر الأبعـد — إن ابـن عمـي رابنـي لم أجهـد
وإن يـرذ جـاري فنـاء العـدد — أعرض عن عوراه حتى يحمد
ولا أرى لـــذاك بـــالمردد — ولم يطـــق عنانـــه تجلـــدي
بفضـل آبـائي أروح مرتـدي — أحـذو عـلى حـذائهم وأقتـدي
مجـداً رفيعـاً سـامياً في العمـد — والحمـــد لله العـــلي الأحـــد

الدائم الفرد الكريم الصمد

وله أيضا عليه السلام:

تنضو السيوف وتنتمي لمحمد | حتى تغص لجاج كلّ رتاج
بالجرد تقدمها الحتوف شوارعاً | حتى تنال معالم الأفلاج
ونحكم البيض البواتر فيهم | حتى نقيم تمايل المنهاج
نحن الثقاة بنو النبي محمد | نسل الوصي ضياء كل سراج
آل النبي متى يكون قيامكم | كم تألفون مضاجع الأزواج
رهط النبي تشمروا وتأهبوا | فعل الكرام وصولة الأحراج
آل النبي متى تروح خيولنا | نحو العدو بعسكر عَجاج
جم الصواهل في السلاح مدجج | ألِف الدلوف مظفر مدلاج
فيه الغطارفة الكرام أولوا النهى | بعساكر كتراكم الأمواج
والدارعون أمام رهط محمد | والموت شيمتهم على المنهاج
تزهو السوابغ فوقهم فكأنها | برق تلوَّحَ في ظلام داج
تردي بهم غرُّ الجياد لدى الوغى | في القسطلين تجول تحت عجاج
يهوون نحو عدوهم لجهادهم | بالمرهفات وبالقنا الولاّج
آل النبي فأدرجوا لقتالهم | ذيل المقام بألحح الدراج
كم يركبون ظهوركم ورقابكم | أهل السفاهة من بني الأعلاج

وله أيضا عليه السلام:

أتانا كتابٌ منك فيه تحاملٌ | وقد كنت فيما قد مضى غير ظالمِ
تشير بما ضمنته من تحية | إلى اليعملات الناجيات الرواسم
تقد به حمّاله البيد ناجياً | صبوراً على برد الهوى والسمائم
فأهدى سلاماً منك فيه فسرنا | وفيه مقال عائف قول ضائم
وقد قلت لولا نعمة وصنائع | لآل رسول الله أعلم هاشم

لبـدلت نعماهـم جحـوداً وبغضـة وكنـت لهـم في الحـق غـير ملائـم
وهـــذا مقـــال لا يقـــول بمثلـــه مـــن النـــاس إلا كـــلٌ ولهـــان نـــائم
بعيد من التقوى قريـب مـن الهـوى أخـي غفـلات عـازب القلـب آثـم
إذا كنـت إن سُـمِّعت بغيـاً قبلتـه وصـدقت مـا يـأتي بـه كـل قـادم
سمعت الـذي لا تشتهي فوعيتـه وليس عـلى مـا قلـت دينٌ بسـالم
وتـذكر عنفـاً بالرياضـة والـذي هتفـت بـه عنـا فأضـغاث حـالم
ومـا الحـر إلا صـائب متجمـل متين القـوى جلـد عـلى كـل هـاجم
حمـول لمـا حملتـه مـن عظيمـة إذا نزلـت بالنـاس إحـدى العظـائم
إذا كنـت للأقـوام كهفـا ومـوئلا تـدليت في بحـر الـردى المـتلاطم
ولم يصف منك العيش ماعشت فاعلمن وكنت طوال الدهر أرغمَ راغم
فليس كـذا أهـل الديانـة والتقـى ذوو الباقيـات الصـالحات الحـرائم
فأنت عـلى مـا قـد عهـدت فثـق بـه مِنَ انجاب يحيى بن الحسين بن قاسم
إذا أنـت عـاودت الطريـق ولم تجـز وكنـت عليـه ثابتـا غـير رائـم
وإن قلت إني قـد سـبقت فـلا تهـن وجـدد بنـا أعـلى العـلى والغنـائم
فيـا رُبَ مسـبوق جـرى فتقـدمت لـه خطـراتٌ ألحقـت بالمكـارم
تعـوّض بعـزم منـك مـا فـات إنـه سـيدرك مـا قـد فاتـه كـل حـازم
ودَع عنـك أمـراً إن لزمـت بحيلـة وصـدقت فيـه قـول أهـل النـمائم
حملـت عليـك الهـم والغـم والعنـا وتفسـد إن حملتهـا نفـس نـائم
ولن يدرك الدنيا ولا الـدين بعـدها فكـن في صـميم الحـق أول قـائم
فلا تفتضح في الناس واربع إلى التي تزينـك وارفـض زائـلا غـير دائـم
وبـادر لمـا يـرضي إلهـك واخشـه ولـو كنـت مشـدوداً لهـا بالشـكائم
وتبْ وأنِـبْ واسـتغفر الله واسـتعن به تـنجُ واستمسـك بهـدي الـدعائم

وعـادِ معـاديهم ووال ولـيهم وُلـذ بإلـه النـاس مـن كـل واصـم
فـإنهم حصـن حصـين وعُـدة دعـائم إسـلام لكـلٍّ مسـالم
بهاليـل بسَّـامون آل محمـد ثقـات وآسـاس الثقـات الخضـارم
ذوو الدين والمعروف والفضل والهدى قماقمـة (١) أبنـاء تلـك القماقـم
ذوو النّهـي عـما يسـخط الله ربهـم ذوو الأمـر بـالمعروف عنـد التفـاقم
بنو القاسم الهمام ذي الفضل والتقى إمـام هـدىً مـاحٍ لظلـم التظـالم
بهم نُعِشَ الإسـلام مـن بعـد موتـه فأضـحى كتـاب الله عـالي الـدعائم
وأضـحت حـدود الله توجـد كلهـا على رغم نِكسٍ كافر القلـب غاشـم
وأضحى طريق الحق أبلج واضـحا وردت بهـم لله زور المظـالم
وأظهـر ديـن الله بعـد خمولـه إمام هدىً بالسـيف مـاضي العـزائم
نجـوم سـماء يقتـدى بفعـالهم ليـوث لـدى الهيجـا عنـد التصـادم
يصـولون بـالبيض البـواتر والقنـا كصـولات أسـد مطلقـاتٍ ضراغـم
ففي مثلهم فارغب هديت تنل بهـم جميـع الـذي تهـوى وفـوز المقاسـم
وإيـاك والـرأي الضـعيف فإنـه يُـورِّث منـك القلـب حسـرة نـادم

وله أيضا عليه السلام:

هجرتُ ديـار زينـبَ والربـابِ ورحتُ عـن الغوايـة والتصـابي
ولم أجـزع لأطـلال تعفّـت فصارت مثـل تعـريج الكتـاب
ولسـت إلى مواصـلة الغـواني أحنُّ حنـين ذي دَنـفٍ مصـاب
نهـاني العلـم عـن هـذا لأني أميـل إلى المـروءة والصـواب

---

(١) في السيرة: قيامة. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت. لأن القماقم هو السيد الكثير الخير. كما في لسان العرب. مادة: قمم.

وأعلـم أن دنيانـا جميعـا ... ومـا فيهـا يصيرُ إلى ذهـاب
فهمّي هيكـلٌ نهـدٌ طِمـرٌّ ... حـدبٌ أعوجيّ كالعقـاب
ودرعي كالأضاة ونصل سيفي ... يقدّ الهام بعد طلى الرقاب
ورمحي ذابـلٌ فيـه سـنان ... كنجم الصبح يلمع كالشهاب
وكرّي في المحافـل كـل يـوم ... وطعنـي بالمثقفـة الصـلاب
وضربي في الوغى والموت دانٍ ... وتـذليلي لهامـاتٍ صـعاب
قصدنا نحـو بيتـك واعتقـدنا ... إخاءً منك لـيس بـذي ارتيـاب
ومـا كنـا نظـن إذا قصـدنا ... لنا من دون بابـك مـن حجـاب
فقلـت لمنـزلي شـغل وكنـا ... نقـول لقـد أتـى وجـه الجـواب
فكنـا عـاذرين ولم تثقـل ... عليـك وحـق جـد أبي تـراب
وقـد كنـا طلبنـا منـك قومـاً ... إلى العشرين حين القـرن كـابي
فلم تفعل وقلـت لنـا عصـوني ... فهذا أعجبُ العجَب العجـاب
وتـزعم أن عنـدي كـل ليـث ... يخـوض إلى المنايـا كالـذئاب
وإن كلـبٌ رأى صـيداً أطـاعوا ... لصـيدٍ شـاك مـا بـين الشـعاب
فهـذا طاعـةٌ حـدثت لظنـي ... وقيـلٌ فيـه لم يـك بالمحُـابي
وَثـمَّ زعمـت لـو كنـا أقمنـا ... بـداركم عززنـا بالضـراب
فـما كنـا عجلنـا في خـروج ... ومـا كنـا قلقنـا بالـذهاب
بعثنـا نحـوكم سـحرا لكفـر ... وقـد كنـا نظنـك غـير نـابي
فلجلجت الحديث وقلت قولاً ... كذي جـذعٍ مقالـة ذي اهتيـاب
وغالـت خـيلكم لمـا طلبنـا ... قتـالَ عـدونا مـن كـل بـاب
وكنـا نبتغـي حربـا فلـما ... نهضـنا للطعـان وللضـراب
مضت للصيد تبغي كـل ظبـي ... وفـرت عـن لقـا آسـاد غـاب

وقال أيضا عليه السلام:

ألا قـــد أرى والله أني ميـــتٌ وأني مبعـــوثٌ وأني محاســـب
وأني موقـــوفٌ عـــلى كـــل زلـــة وأنيَ إن لم يغفـــر الله عاطـــب
وأني ليـوم يَشـيط الطفـل هولـه وتشهد فيه أرجـل الخلـق راهـب
وأني في الـــدنيا غريـــبٌ مســـافر وكـــل غريـــب لا محالـــة آيـــب
فيا نفس عن دار الفنـاء فـأعرضي فـــإنيَ في دار الإقامـــة راغـــب
متـى تريـاني يـا خليـلي قـائما بنصر إله الحق في الكـف قاضـب
عـلى أَرَنٍ يـــزداد عفـــواً كأنـــه إذا ما جرى أحوى الجناحين ساغب
تحـف بـه خيـــلٌ يمانيـــة لهـــا على الهول إقـدام ليـوث طوالـب
قـروم أجـابوا الله حـين دعـاهُمُ بـأيمانهم بـيضٌ حـداد قواضـب
فبـاعوه دنيـــا أيقنـــوا بفنائهـــا بجنـة خلـد حففتهـا المشـارب
فـما زالـت الأخبـار تنطـق أنـه سينصـرنا مـنهم جيـوش كتائـب
فيـا حسـنها خـيلا وفتيـان غـارة وكلهـم في النصـــر لله دائـب
يسيرون نحـو الملحـدين وكلهـم بثـأر كتـاب الله والحـق طالـب
بهاليـلُ في الهيجـا أسـودٌ هـواصر إلى الموت نهاضون والموت راتب
كـرام المسـاعي لم تشـنهم فعائـل حمـــاةٌ لـــدين الله غـــرٌّ أطايـــب
إذا لقحت حرب وحكمت القنـا وقُضُّب بالبيض العتـاق المناكـب
وطار فـراش الهـام تحـت ظبائهـا وشاب من النكس الجبان الـذوائب
وناديت هَمـداناً وخـولان كلهـم ومذحج والأحـلاف والله غالـب
فخاضوا غمار الموت في مُرجَحنـة إلي وقـد ضـاقت هنـاك المـذاهب
تـــذكرني نيـــاتهم خـــير عصـــبة من الناس قد عفت عليها الجنائب
من أصحاب بدرٍ والنضـير وخيـبر وأحدٍ لهـم في الحـق قـدماً مناقـب

فنُعمــل في الفجــار كــل مهنــد ونــرضي إلهــاً سـبحته الكواكـب
ونظهــر حكـم لله بــين عبــاده وتمــلأ(١) بالعـدل المنـير الجوانـب
وتذهب جوعاة وعُري وعُســرة كما يذهب المحلَ المشت السحائب
ويحيــا كتــاب الله بعــد مماتــه ويحيــا بنــا شرقٌ وتحيــا المغــارب

وقال أيضا عليه السلام:

نــام الخليُّ وعـين الـدهر في تعـبٍ غطـت عليـه ولاة الجـور بالحُجـبِ
والنــاس في غفلــة ممــا أصـيب بـه آل الرسـول فكــلٌّ غـير مكتئـب
حتـى نهضـت لـدين الله محتسـبا والله يعطـيني جـزيلا كـل محتسـب
إذ لا أرى ثــائراً لله ينصــره ولا تكوفــا لــدين الله ذا غضــب
كيف القرار وقد أضحت معالم مـا سنَّ الرسول كصفح الصارم الحدب
أم كيف يرضى بسوم الخسف ذو كرم ممـن لـه حَسَـبٌ قـد صـين بـالأدب
بل أيها السفر يطوي الأرض منشمراً نحـو الحجـار عـلى المهريـة النُجـب
من سهل زَيـدةَ مبـدا سيره عجـلا مـاضي العزيمـة بالتقريـب والخبـب
أبلـغ بنـي حسـن الأخيـار مألكـة عــن ناصــح لهــم ذو منطــق ذَرِب
عـنَّ الخليـل الـذي لم تخـشَ نوبتـه يومـا ولم يُـرمَ بالتقصـير في العـرب
لكــن بــودهمُ يومــا وحفظهــم قد غاب جسما ومنه القلب لم يغب
أهــلَ النبــوة مــا بــالي وبــالكم وكيف حفتم على مثلي بلا سبب
حتى إذا قمت داع بالكتـاب عـلى حذو النبي وقـد أمعنـتُ في الطلـب
حالفتم الخفض واللذات وانغمدت عنـي سـيوفكم في سـاعة التعـب
ثــم ادعيـتم أمــوراً غـير واضــحة قبل البراهين هـذا أعجـب العجـب

---

(١) في السيرة: ونملأ. ولعل الصواب ما أثبت.

على امرئ لم يَشب يوماً بهمته ضعفٌ ولا خان من والاه بالكذب
وليس مثلي يداني خلّة قبُحت لكن فعالي فعال الوالد الحدب
قبلتمُ قول ملعون أخي دنس إلف الخمور إلى الطنبور والطرب
شيّاع لا سلّم الرحمن مهجته ولم يكن صادقا في سالف الحقب
الله يعلم ما قد قال من كذب ومن أحقّ بقول الزور والكذب
من ذلك الفسل وابن الفسل إن نطقت منه الجوارح بالبهتان والريب
بل لو رأيت لكم عوراء فاضحة سترتها بوقات غير مجتلب
تحنناً وحفاظاً ثابتاً أبداً إذ أنتم عندنا في موضع القُطب
من الرجا وحقوقاً حق واجبة ومالكم من قرابات ومن نسب
الستر شيمتنا إن زلة ظهرت من الصديق فعال السادة النجب
وإن تعتب يوما كنت معتبه والفضل فعل ذوي الأخطار والحسب
بقول هذا كتاب الله فاتبعوا آي الكتاب التي تنجي من العطب
حقا وقوموا بحق الله واجتهدوا فقمت بالحق راعٍ غير ذي لعب
أرضى إذا ما رضيتم لاعدمتكم وإن سخطتم ففي إسخاطكم غضبي
إن نلت خيراً فذاك الخير يبلغكم أو كان شراً فأنتم عنه بالجنب
أقيكمُ كلّ مكروه ونازلة وأبذل النفس للهندية القُضب
من دونكم أن تصابوا يا بني حسن أهل الديانة والإفضال والأدب
بني عليّ فلا تبدوا لفاقرة ولا تجُبُّوا فليس الجدُّ كاللعب
ولا تقيموا على هون وحقكمُ قد قام بالسمر في الآفاق والشهب
وكيف ترضون أن تُضحي ولاتكم تُركاً ويُدعى لهم بالرشد في الخطب
فأجمعوا فَلَكُم عزٌّ ومكرمةٌ وأنتم الأسد يوم الروع والشغب
فقد سمعتم حبيبا في مقالته «السيف أصدق إنباء من الكتب»

هــذا أحــق مــن التعنيــف لي عبثــا ... ومن مقال لذي الأمـوال في العطـب
إني وإن نــام عنـــي مـــن يعنفنـــي ... والــذكر في الله ريــب غــيرُ مُرتعـب
نصـبتُ نفســـي لأمــر الله محتسـباً ... أرجــو مــن الله أعــلى ذروة الرتــب
وسرتُ في حــي همــدان وتشــفعها ... خولان أهل النهى في جحفـل لجب
وحاشــد وذرى الأحــلاف قاطبــة ... والصيد صيد ثقيف ساعة الغضـب
حـزب النبـي وحـزبي بعـده فلهـم ... يحـــط يومـــاً .... لمكتســـب
جــزاهمُ الله عنـــي كــل صــالحة ... وحاطهم من شقا الأغلال واللهب
هـذا ثنـائي علـيكم يـا بنـي حسـن ... حسن الثناء كحسن الدر في الـذهب
بهــم تعــود ذرا الإســلام عــامرة ... ويصبح الناس في مستعيب خصب
ســلام ربي علــيكم كلــما طلعــت ... شمس وما سجعت ورقاء في الغرب

وقال أيضا سلام الله عليه :

وخــط الشــيب لــذاتي ... وأتـــــى منـــــه أتيّ
ومـــضى بعـــض شــبابي ... ودنـــا منـــي العُتـــيّ
ومضـــت أعمارنـــا في ... غـــير شيء يـــا أخـــيّ
لـــيس يـــرضى بـــالتواني ... الواحـــد الفـــرد العـــلي
أعلِـــنِ الـــدعوة جهـــرا ... يبـــدُ أمـــرٌ شـــمَّريّ
ارفـــع الرايـــة يهـــوي ... نحوهـــا الـــبرُّ التقـــيّ
أذق الســيف الأعـــادي ... طـــال مـــا غـــر الغـــويّ
انـــصر الـــرحمن نصـــراً ... نـــصره داني بهـــيّ
إن أعـــــداء إلهـــــي ... أمـــــرهم أمـــــرٌ دنيّ
مــن أتــى للحــق طوعــاً ... فهـــو مـــرضيٌّ رضي
لــيس يشــقى حــين يبــدو ... الحـــق إلا مـــا شـــقي

ليتنـي قـد رحـت يومـا … يترامـــى الأعـــوجي
بســـلاحي بـــين خيـــل … جمـــة فيهـــا القســـيّ
وســـيوف الهنـــد تعلـــو … والســـلاح النبَّعـــي
والزعـاف الشـهب فيهـا … حشـوها الحـرب الزكـي
يقـدم الحـرب أمـامي … ليـثُ حـرب يمنـي
ذو الحفـاظ الثابـت الـبرُّ … الـدعامُ الأريحـي
ثـم يلقاهـا جيـوش … كلهـا مُـردي ردي
لم يلـدني ذو المعـالي … الطـاهر الطُّهـر النبـي
إن تلاقينـا بقـاعٍ … فيـه للوقـع دوي
وتعاطينـا ضرابـا … عنـه ينحـاز الكمـي
وتسـاقينا بكـأس … ماؤهـا حتـف وخـي
إن أنـا لم يبـد مـن … كفـي ضربٌ علـوي
ومحامـاة وضربٌ … وطعـان حَسـنيّ
حـين لا يطعـن خلـق … ومقـام فـاطمي
لـيس يـبرا داء قلبـي … إنـه داء دوي
دون أن يـرضى إلهـي … ذو الجـلال الأزلي
وتلاقـى الخيـل حتـى … ينثنـي عنهـا الحمـي
وتـدور الحـرب حتـى … يرعـب النكس البغـي
وتنـال البـيض فـيهم … حكمهـا ثـم القِسـي
والرمـاح السـمر حقـاً … والسـنان الزاعبـي
ثـم يـبرا داء صـدري … إنـه صـدر جـوي

وقال أيضا عليه السلام:

انهض فقد أمكنتنا فرصةُ اليمن ... وصل فضائل كانت أول الزمن
وسابقات وإقداما ومكرمة ... كانت مع الطاهر الهادي أبي حسن
ويوم صفين والفرسان معلمة ... تخوض في غمرات الموت في الجنن
والروع حام ويوم النهروان لكم ... والنقع مرتفع بالبيض والحصن
فاتبع مِنَ اشياخك الماضين ما سبقوا ... إلى تناوله بالمذهب الحسن
ونصرهم لأمير المؤمنين على [1] ... محض المودة والإحياء للسنن
وقم فزد شرفاً يعلو على شرف ... في حي همدان والأحياء من يمن
ففيك ذاك بحمد الله نعرفه ... إذ أنت ليث الوغى في السلم والفتن
واستغنم الأمر نهضاً يا دعام له ... ما دام روح حياة النفس في البدن
تحظى بذلك عند الله خالقنا ... إذا قمعت عداة الدين لم تهن
وقمت تنصر دين الله مجتهدا ... على المعادي له من شاء فليكن
فليس مصلح دين الله ينصره ... ولا موالاته في السر والعلن
ولا الموالاة لابن الأعجمي ولا ... لابني علي ولو أرغبت في الثمن
إلا بإخلاص قلب خائف وجل ... بالله معتصم من كل ذي ضغن
واحرص على نصرك الإسلام مجتهدا ... تَحْظَ به عند ذي الإحسان والمنن
لا بُد أن نؤثر الجبار خالقنا ... أوهم فأنت بصيرٌ من ذوي الفطن
فارفض موالاتهم واترك مودتهم ... تَحْظَ به عند ذي الإحسان والمنن[2]

وقال أيضا عليه السلام:

داوي الفؤاد فؤادَ ذي الإحسانِ ... لعساك أن تشفى من الأشجان

---

(١) في السيرة: علي. ولعلها مصحفة.
(٢) سيرة الهادي / ٢٩٨ – ٣٢٢.

واعلم بأنك لن تروم شهادة حتى تَيَقظ من ونى الوسنان
وتُضرّم النيران بعد خمودها وتُميط عنك تحيرّ الحيران
وتشد سرجك فوق أدهم قارح طاو الأياطل ناهض ذي شأن
عبل الشواشيخ النسا ذو ميعة نهد الحُزازة سابق الميدان
فبك الجياد إذا أراد لحوقها صبراً أيانة [1] فلّ كل عِنان
يتعجب الراؤون منه إذا مشى وتحار من إحضاره العينان
بحوافر ثقف ترقّع خلفها ملس كمثل رواسي الصفوان
لا يشتكي شطا ولا يخشى الوجا يعدو بسهل الأرض والحُزّان
وترى الجياد إذا أراد لحوقها عار النواهق شامخ الأجفان
جزلُ الرفايد مستهلٌ شامخ ضخم البوادر موثق الأركان
قصرت ثلاثٌ منه ثم تطاولت سبع فَعَالَ بذاك كل حِصان
رحب المناخر والفروج مُقلص غم الأعادي حيرة الإخوان
يعدو بموتور إلى وُتّاره ذي نصرة وبصيرة يقظان
درس الكتاب وجال في أرجائه يبغي الهدى منه وكل بيان
حتى تيقن ما عليه وماله وفرائضاً للواحد المنان
نطقت بإعراب لها عن ربّها آي الكتاب ومحكم الفرقان
نادى بأوكد ما يظن فبيّنت فرص الهدى وجهاد ذي الطغيان
يا أمة الكفر الذين تحمّلوا بالصُغر منهم طاعة الشيطان
رفضوا الهدى والحق ثم تعلقوا وتمسكوا بالظلم والعدوان
وعصوا بكفرهم الإلهَ فأصبحوا متقلدين سلاسل النيران

---

(١) كذا في السيرة.

أغروا ظهور المسلمين بجورهم ... واستأثروا بمنافع العقيان
قتلوا الأنام وأيتموا أطفالهم ... وسبوا كرائمهم من النسوان
وأتوا بكل عظيمة مجهولة ... نقضاً لآي منزِّل القرآن
فالفسق منهم ظاهر مُتبيّن ... والجور فيهم أفضل الأديان
قتلوا الضعيف فغادروه ساقطاً ... كالشاة يفرسها بنو السرحان
والمسلمون بشرٍّ حالٍ بينهم ... من مسلم عارٍ ومن جيعان
يبكون من حزن وضر شامل ... متظاهر في دولة العبدان
عَنَدوا وجاروا أكتعين وجاهروا ... رب العباد بأنكر البهتان
حازوا عباد الله عن أموالهم ... وغَشَوهُمُ بالظلم والعدوان
يا لهف نفسي فالتلهف زادني ... غماً على غم بكل أوان
والله يعلم ما تركت جهادهم ... زهداً ولكن قلة الأعوان
ولقد حرصت بأن ألاقي جمعهم ... فأبت على عجارفُ الأزمان
ولقد دعوت الناس نحو إلههم ... ونصحت في قولي بصدق لساني
وقسمت أموال الرعية بينها ... ونعشتها من غشية الغرثان
ورددت ظالمها فعاد مسلَّماً ... ونويت من مظلومها الحيران

وقال أيضا عليه السلام:

المَعَنيانِ هُديت شيء واحد ... فاطلب رُشدتَ معانيَ الافلاجِ
لا شيء يعدل وجه حق فابغِهِ ... وارفض سلمتَ إرادة الفجفاج
اقصد رُشِدتَ لما تريد بعينه ... ادرج مرادك غايةَ الادراج
إن تبغِ منا غاية عربية ... تُقضى إذا حملت على المنهاج
أنت الوليُّ أخو الوليّ وذو الندى ... فاترك طريق الفاسد المنعاج
إن الأمور إذا يُرام صعابها ... عَجمت وكانت كالظلام الداجي

وإذا نُرام من الطريقة أسفَرَت ... فأزيح عنها قفل كلّ رتاج
إن الفضائلَ فُرِّعت من فضلنا ... فينا يفرج همّ قلب الراجي
وبنا عظيم الأمر يُدرك كله ... وبنا نجاح حوائج المحتاج
سهلٌ علينا ما يعزُّ عن الورى ... وبنا تُخاض عطامط الأمواج

وقال أيضا عليه السلام:

يا أيها الغادي على عيرانةٍ ... عوجاء قد نحلت من الترحال
يهوي بها قصد الجراف وناشر ... نحو الحياة عداة كل قتال
بَلِّغ سرَاة بني ربيعة كلها ... وبني صُريم نُصّرّي ورجالي
والذائدين عدو آل محمد ... بالمشرفية والقنا العسّال
الناصرين لربهم ونبيهم ... وإمامهم بتوازر وتوال
والقائمين بنصر آل محمد ... والحافظين لعهدهم بكمال
والمانعين حريمهم بديانةٍ ... وحميّةٍ وصلت لهم بخصال
إني أتاني نصحكم وفعالكم ... بالناكثين أراذل الأوغال
وتمامكم لإمامكم ووليكم ... بالبيعتين غداة كل مصال
إن الصنائع لا تضيع لأهلها ... عندي وسيفي واكفُ التهطال
في نصرتي حَظَانٍ قد عُرفا معاً ... حقاً ولستُ بكاسف الآمال
حظاً لدى الدنيا يعيش به الورى ... حَضِر [1] الجناب كزاخر سيّال
ولدى القيامة في جيار محمد ... في جنة نَعمت وطيب ظلال
يا حي وادعة الكرام تأهبوا ... للدين إن عليكمُ إدلالي
وبكم أطول على العدوّ لأنكم ... أنتم يميني في الوغى وشمالي

---

(١) لعلها تصحفت عن: خضر.

وكذاك كان جدودكم مع والـدي صِـنو الرسـول الطـاهر المفضـال
أعنـي أمـير المـؤمنين أخـا النهـى والمفنـيَ الكفـار باستئصـال
غَـرَّ العبيـد بنـي طريـف علتـي مـع محنـة دامـت عـليَّ ليـال
وأنا الذي عرفوا وسوف أزورهـم بالخيـل عابسـةً وبالأبطـال
وبكـل قارعـةٍ كـأن حسيسـها نـارٌ تُضـرَّمُ سـاطع الأشـعال
لست ابن أحمد ذو[1] المكارم والعلى إن لم أثِـرْ نقعـاً بصـحن أزال
وتـوازروا طـراً عـليَّ بحـربهم كفعـال عـادٍ في الزمـان الخـالي
فعتـوا ومـالوا للضـلالة والهوى والحـق قـد رفضـوه باسـتبدال
إن يقبلوا[2] فبحظهم أخـذوا وإن جحـدوا فسـوف أبيـدهم بنكـال
كنـا كـما قـد قـال شـاعر قومـه متمـثلاً في شـعره بمقـال
يـا حامـل الأثقـال إنـك مـن غـد تنقـاد احمـل منـك للأثقـال
وأبي رسـول الله أسـس دعـوتي فيـه أطـول منيـف كـل طـوال
وهـداه أورثنـي الهـدى فحذوتـه حـذو المثـال مقـابلاً بمثـال
ونصبت نفسـي في مقامي ناصـحا لرعيـة لهجـت بكـل مُحـال
هـذا كتـاب الله يشـهد بيننـا فَسَلُوه ينطـق عنـد كـل سـؤال
آأنـا أحـق بـأمركم وبنهـيكم يـا قـوم أم عُبـدان آل حُـوال
إن النبـي غـداً يقـوم بحجتـي فضعوا الجواب لـه عـلى استمهال
مـا رغبتـي فـيما حوتـه أكفكـم بـل رغبتـي في الخـالق المتعـالي
وبـه نعـزّ كفـى بـه عـزاً لنـا عِـز الإلـه معظـماً بجـلال[3]

---

(١) كذا في السيرة. ولعلها: ذي.
(٢) في السيرة: تقبلوا. ولعل الصواب ما أثبت.
(٣) سيرة الهادي / ٢٢٣ – ٢٢٨.

وقال عليه السلام في مدح همدان ونصرتهم له:

طالت هواجسُ قلبك المكروب إذ صار دين محمدٍ كغريب
نام الذين بهم يعزُّ عموده وثووا فأصبح ليس بالمطلوب
وتخاذلوا عن نصره وتشاغلوا بمشاغلٍ ومكاسب وعنُوب
ولقد عجبت لأمر همدان التي كانت غياثَ الصارخ المكروب
والحق مُطرح ضعيفٌ ركنُهُ وانٍ كمثل الفاتر المغلوب
والحق مصطرخ [لهم] فتغافلوا عنه تغافل مُذهل مرعوب
حتى متى لا تنهضون بأسركم للحق نَهض المغضب المهيوب
همدان أنصار النبي وبعده نصروا الوصي بكل ذات كعوب
وبهم يعز الدين بعد خموله بالنصر في المكروه والمحبوب
ليسوا كمن نقض العهود بفعله وبرأيه المستضعف المعيوب
حسبي بنصرتهم لدين محمد فهمُ لعمرك نصرتي ونصيبي
من دون كل مناصر ومعاضل وبهم وثقت فقل لهم يثقوا بي
وبهم يعز الدين آخر مرة لقيامهم بلوائه المنصوب
ما زلت آملهم وأعرف فضلهم وأخصهم بالبشر والتقريب
لصحيح معرفتي بما قد قدّموا والله للأنصار خير مثيب
نصروا أمير المؤمنين وجاهدوا بصحيح نياتٍ ونصح قلوب
وتظافروا في الحق حتى أصبحوا فازوا بحسن ثنائه المنسوب
سارت قبائل كلها لقتالهم بالمرد من فتيانها والشيب
وذوي الجهالة من كهولٍ رجالهم وبكل ليثٍ كتيبةٍ مرهوب
ضربوا رؤوس الناكثين وأولجوا فيها بكل مهندٍ مخضوب
بدماء كل مُنابذٍ ومعاندٍ ومخالفٍ للحق غير مُصيب

فهُمُ أسود الحرب عند ضرامها كالجمر وَسط خميسها المشبوب
والطالبون بثأر آل محمدٍ وعشيرة المطلوب والمغصوب
ظني بهم خيرُ الظنون لأنهم أبناء كل نجيبةٍ ونجيب
شركاء آل محمد في عزهم من دون كل مناسب ونسيب
فعليهم مني السلام مضاعفا وحباهم ذو العرش بالتقريب
وأعانهم يوم الحساب وهوله وأعاذهم من فادح التعذيب

وقال أيضا عليه السلام:

إذا لم يكن بدٌّ من الحبس والبلا فحبس بحرب لا محالة أحزمُ
إذا كان منا في الحبوس جماعةٌ فحرب العدا والله أعلى وأكرم
إذا لم يكن إطلاق من في حبوسكم بسلمٍ فترك الحرب في ذاك ألومُ
إذا السلم لم يفكك أخاً من وثاقه لعمري ففكُّ الأسر يومٌ عرمرم
وفي ترك حرب القوم خزيٌ وذلةٌ على مثلنا إن كنت لا شكَّ تفهم
لئن كان ظن القوم في غير حربهم فظنهم ظنُّ امرئ ليس يعلم
أأترك حرب القوم من غير هدنةٍ وأهل التقى في الحبس والحق ألزم
إذا القوم لم يبغوا السلامة بيننا فنحن على الهيجا أمضى وأعزم
أيترك مثلي الحربَ والخيل جَمة وفينا القنا والسابري المُنظم
وزرق على أكبادها الموتُ شارعٌ لها سطوة أوتارها تترنَّم
وبيض تلألأ في الأكف صوارمٌ تحتُّ متاني السابريّ وتقضم
وكل طويل الباع ليثٌ سميدعٌ أخي ذعراتٍ والقنا يتحطم
يخوض غمار الموت في مَدحجيةٍ شديدٌ على أعدائه ليس يظلم
من الغرّ هَمدان الكرام ذوي النُهى فتاهُم في الحرب نارٌ تضرّم
وخولان أهل البأس والجود والحمى أسودٌ إلى الحرب العُوان تُقحمُ

ومَدحج أبناء الحروب ذوي الوفا | هُـمُ الفـرعُ منهـا الثابـت المتقـدم
فـإن تبتغـوا حـربي فـإني محـاربٌ | وإن تبتغوا سلمي فـذلك أسـلم (١)

وبعث بهذه القصيدة مع كتاب إلى أبي محمد الحسين بن أحمد بن محمد العلوي إلى نجران. وكتب إليه مع كتابه بهذا الشعر:

ألايـــم إنـــا همّـــي جـــوادي | ورمحي والمُغـاص مـن الـدِلاص
ونَعـش الـدين بعـد ثُـوى دفينـا | وقسـمي في البَريـة بالحِصَـاص
وضربي كـــلَ جبَـــار عنيـــد | بأبيض مُرهف فوق القصِـاص (٢)
ولا أبكـــي عـــلى ربـــع مُحيـــل | ولم أرع الهـــوارب باقتنـــاص
ولكـــن النـــزاع إلى شَـــقيقي | ودرعي ذي الحفايظ في العِـراص
فقـــل لأبي محمـــد ذي الأيـــادي | تَــأنّ فســوف يُسـعدك ارتبـاص
سأشـجي ظاليـك بحـدّ رُمحـي | فلا يجـدون عَمـرُك مـن منـاص
بنفسـي مـا اعتممـت لـه ومـالي | أقيـك بمهجتـي عنـد الحيـاص
إذا رُعـبَ الشـجاع مـن المـوالي | وهـمّ مـن المخافـة بانتكـاص
حَملـت وفي يمينـي مَشـرفيٌّ | أقَدّ بـه الطـلى قـدّ الضـراص (٣)
أحــل منّــى سَــحابة فــاطمي | يواصل رعـدها لمـع النشـاص (٤)
إذا هبطـت عزاليهـا (٥) بـوادٍ | تضـايق مـا رمـاه بانقصـاص
فَيَـنعشُ خيرهـا قومـاً وفـوا لي | ويُهلِكُ شرهـا مـن كـان عـاصي

(١) سيرة الهادي / ٤١٥ - ٤١٧.
(٢) القصاص: قصاص الشعر.
(٣) الضراص: الشديد والغليظ.
(٤) النشاص: السحاب المرتفع.
(٥) العزالي: جمع عزلاء. والعزلاء: صب الماء من القربة والراوية.

أتتـك الخيـل مُعلمـةً عليهـا | أسـودٌ يـأنفون مـن المعـاصي
وفتيـان إذا سـمعوا صراخـي | أجابوا مُغضبين مـن الصـياصي
أولئـك حاشـد وبنـو بَكيـل | أولـو ضربٍ كأشـداق القـلاص
وخَـولان الحـماة ذوو المسـاعي | سيوفي المدركات لـدى القـلاص
وفي الأحـلاف كـل نُهـيٍّ وعـزٍ | لـدى الهيجـا غـير ذَوي مَنـاصْ
أظَـنَّ النـاكثون بـنقض عهـدي | وكانوا في الفُجور مـن الجِـراص
بـأني لم أشـابه مـن عـليّ | خِصال المكرُمات لدى الخـلاص
وأني لا يُـرام الضَـيم منـي | وأني المُرتجـي لـذوي الخصـاص
سأحكم بـالقُرآن عـلى الأعـادي | وأدمـغ مـن تطـاول لانتكـاصي
أنـا الحَسَـني سـيف الله حقـاً | مُـذاع في الأداني والأقـاصي
غضبتُ لخالقي فشهرتُ سيفي | عـلى أهـل الـدَعَارة والمعَـاصي
سـتعلم يـابن خـير الخلـق طُـرا | إذا مـا زُرت أرْضـك بـالخماصي
أأرضى مـا أصَـابَك بـاغترام | وتعلم كيف صَـبري وامتعـاصي
سـأعمل صَـعدتي في كـل حـيّ | عصَوك وصارمي يُفني النـواصي
مـن اللُعنـاء أهـل الغـدر لمـا | سموا نحو الظنون على احتراصي
رَجَـوا غَـدراً بـدين الله جهـلا | وهتكـاً للحـريم عـلى افـتراص
فَـزرتهم بـأروَع قاسـميّ | يُرى منه المشيب على القصاص[1]

فأجابه أبو محمد هذا بقصيدة بنفس القافية. وبعث بها مع كتاب إلى الإمام الهادي، فأجابه الإمام بكتاب وكتب إليه بهذا القصيدة:

أتـاني كتـاب منـك تـذكر سـلوةً | عن المال والأهلين يـا بـن الأطايب

---

(١) سيرة الهادي / ١٤٧ – ١٤٩.

بنا وبها أصبحت فيه من الهدى	ومن منهج الأجداد يا بن الذوائب
فإن كنت في سلوٍ عن الأهل فاعلمن	بأني ورب الراقصات الزعالب
بقربك سالٍ عن أمور جليلة	ولست لها تفديك نفسي بغاهب
وفي قُرب ما يُرضي المهيمن رَبنا	لعمرك ما أسلاك عن كل غائب
إذا المرء لم يجعل رضى الله ربه	أمام رضاه خاب من كل جانب
وآب حَسيراً قد تهتَّك ستره	ولم يَنج من مُستفظعات النوائب
لعمرك ما إن عاقني عنك عائق	سوى فرض منشي الرائحات السواكب
فقد عاقني الأمر المؤكد فرضه	فقمت به فعل امرئ غير خائب
جهاد أناسٍ بدّلوا الدين عُنوةً	ودانوا بدين للكتاب مجانب
فأضحوا حروبا عن يمين ويسرة	وخلف وقدام فعال المطالب
وما زلت أغزوهم بحسن بصيرة	ومعرفة مني بحرب المُحارب
وأغشيهم الأنصار في حومة الوغى	يريقون بالبيض الرهاف القواضب
وكل جريء القلب ليث مهاجر	ضروب بنصل السيف في الحق راغب
أغاروا مِنَ افاق البلاد لهجرة	مقدسة يبغون خير المطالب
فجاسوا ديار الناكثين بنية	مقانب حرب عُبيت لمقانب
فأضحى كتاب الله يُرضى بحكمه	وقد كان مسخوطاً بتلك الجوانب
وأوطيت من قد كان ضداً معانداً	قليل التقى في العهد أكذب كاذب
وسرت إلى نجران في كل طالب	بثأر كتاب الله أروع غاضب
جيوشا ليوثا حشوها الخيل والقنا	وبيضٌ تزيل الهام فوق المناكب
وزُور من الشربان [1] صفر متونها	ومن شرقب صاف ونبع وتالب

(١) الزور: القوس. والشربان: شجر تتخذ منه القسي وكذلك بقية الأسماء.

إذا هي في الجيشين حنت وألحنت — سمعت عويلاً من بكاء الكواعب
من العرب الأسد المداعيس بالقنا — ومن عجم حُمر الجمال المصاعب
ومن حيّ هَمدان وخولان جحفل — ومن غيرهم مثل الأسود الغوارب
مَرّا قيل نحو الضرب في حومة الوغى — إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعب
يريدون وجه الله لا شيء غيره — ويبغون ثار المصطفى خير راكب
عليهم من الماذي كل حصينة — على القُرَّح الكمت الجياد الشوارب
بأيديهم الخطيّ تلمع رأسه — كبرق تلألأ أو مصابيح راهب
فقل لابن بسطام وأعور حارث — مكانكما إن كنتما في الكتائب
رؤوساً وقواداً وإلا فأنتما — أراذل كهلان ومجرى الكواكب
لقد دَبَّ بسطام وأكسح مَدحج — لحيهما حقاً وبيتَ العقارب
وأفسده صفحي وإيجاب حقه — وما إن له حق عليَّ بواجب
لأنه ملعون لعين منافق — كفور لآلائي رديء المناصب
جَريٌّ إذا عُوفي ذليلٌ إذا ابتلي — مَهينٌ ضعيفٌ فكره في العواقب
وقد كان أعطي نعمةً وفضيلة — ولم يك أهلاً للعلى والمراتب
تعمَّل في الوغد ابن بسطام أعور — عدوٌ له في الغش غير مُراقب
فأمكنه من نفسه بحماقةٍ — له الويل من فسلٍ ذليل مُقارب
فدلاّه في بئر بعيد قرارها — كذلك من لم ينتفع بالتجارب
وقد كان يبغي قتله وهلاكه — فأنشب فيه كفه بالمخالب
فلا الجوف يُنجيه ولا أرض شارك — ولا سهل سُفيان ولا أرض مارب
سيعلم دجّال وأحمق مَدحج — إذا التقت الأقرانُ حرب الحواجب
ودارت كؤوس الموت بين حُماتها — وضاقت على الأبطال كل المذاهب
وطارت رؤوس ثم أيدٍ وأرجل — وخلّ بأطراف القنا في الترائب

وقَلّ اصطبار القوم حين تَرَاكبت   عليهم لعمري مُقطعات المصائب
بأنّا حُماة الدين آل محمد   ذووا الصبر إذ لا صبر وقت التقارب
وأنّا نكبُّ القرن في حومة الوغى   نمج نجيع الصدر عند المضارب
نذود عُداة الحق عن دين أحمد   ونمنعه من كل باغ وناصب
سأترك إن دارت رَحى الحرب دارهم   خلاء لأذيال الصبا والجنائب
بحوْل إلهي لا بحولي وقُوتي   ونَصر إله الناس رب المغارب
فأبشر هداك الله يا بن مُحمد   بفتح قريب قد دنا مُتقارب
سأنهض في يومين نحوك مُسرعا   بكل كميٍّ قاهرٍ للمُحارب [1]

وقال الهادي إلى الحق لما تجهز وأمر الناس بالأهبة بالخروج إلى نجران، وبعث إلى أبي محمد العلوي بكتاب إلى نجران، وقال في ذلك:

ألحّ العاذلون عليّ لما   رَأوني في المواقف لا أحيدُ
ونار الحرب مسعرة تلظّى   يشبيها التأجج والوقيد
وقد طاحت رؤوس القوم لما   علاها في مفارقها الحديد
وقالوا قد قضيت ذمام حرب   ولستَ سوى تأججها تُريد
وقد أضحت حروبك كل نهج   يُضرَّم نارها لهبٌ جديد
ولم يذر الهدى والحق وداً   لكم يا أيها القرم الشديد
دعوت الناس كلهم لحق   وأكثرهم عن التقوى يحيد
لأنهمُ على فسق توالوا   ويتبع ذلك الكفر العنيد
فقُلت لهم ذروا كفراً وفسقا   وخلوه فقالوا لا نريد
كتاب الله لما أن أتتنا   شرائعه ومَن هذا يحيد

---

(١) سيرة الهادي / ١٥٠ – ١٥٢.

فـإن تأخـذْ بغـير الحـق تُتبـع ... ويصـبحْ كلنـا لـك يستَقيد
وإلا فـاعلمن أنـا حـروب ... كـما فعلـت بجـدَيكِ اليهـود
وأضحى النـاس كلهـم حروبـاً ... ومتبعُـوك لـيس لهـم عَديـد
فقلـت لهـم ألا مهـلاً هُـديتم ... فقـد أعطـاني الله الحميـد
على مـا قـد تَـرون جنـان خُلـد ... ورضِـوانا وفضـلاً لا يبيـد
فلَسـت بتـاركٍ للحـرب حتـى ... يُطـاع الواحـد الفـرد الـودود
ويُحكَـم بالكتـاب بكـل فـجّ ... ويَرجـع عـن تعلّيـه العنيـد
ولسـت بخاشـع يومـاً لحـرب ... وإن خشـعت لهيبتهـا الأسـود
ولسـت بقائـل مـا دُمـت حيـا ... كما قـد قـال في الحـرب الرَّقـود
أخـو الفسـق الـدوانيقيُّ لمـا ... تـداخَل قلبـه الرعـب الشـديد
من الحرب العوان وقـد تلظّـت ... عليـه وهالـه الأمـر العتيـد
«تفرقـت الظبـاء عـلى خـداش ... فـما يـدري خـداش مـا يصـيد»
لحَـاه الله لَمـا قـال قـولا ... ضـعيفاً خانـه الـرأي السـديد
ولكنـي أقـول مقـال صـدق ... لكـل محـارب عنـدي مزيـد
فمـن يبغـي محُـاربتي فـإني ... عـلى حَـدثان مـا يـأتي جَليـد
ومـن يبغـي مسـالمتي فـإني ... لأهـل الـدين والتقـوى مُريـد
فـما مِـثلي يُضـرَّعُ بالمنايـا ... ومـا مـثلي يُنَهنِهـهُ الوعيـد [1]

ولما التحمت المعركة حميس الوطيس، وقاتل الإمام الهادي قتالا شديدا، حتى امتلأ قائم سيفة علقا، ولصقت أنامله على قائم سيفه بالدم، قال في ذلك:

طَرقـت لعمـرك زاهـر مَولاهـا ... والحـرب مُسـعِرة يُشـب لظاهـا

---

(١) سيرة الهادي / ١٥٧ – ١٥٨.

طرقت تبختر في الحليّ وفي الكسا إن الخريـــدة همهـــا وهواهـــا
تكسـو مناكـب زانهـا أعجازهـا عنـــد التعـــانق حِلـــة ورداهـــا
أقنـي حيـال فحلتـي يـوم الوغـا دِرع أعـــانق جيبهـــا وعُراهـــا
نحن الفواطم لهونـا طعـن القنـا ومُـدامُنا حـرب نـدير رحاهـا
هلا سـألت فتخبري إن لم تـري إذ سـار يَطلـب مهجتـي أعـداها
لاح الصـباح وأبرقـوا بكتيبـة شـهباء تـدفق خيلهـا وقَناهـا
والجـيش في أيديـه كـل عقيقـة القـين أحكـم سـنها وجلاهـا
والمَشـــرفية في أكـــف حماتنـــا تحكـي البـوارق لمعهـا وسـناها
والخيل تنحط بـالفوارس والقنـا فوق الفوارس في الوغى أجراهـا
جاش الخميس وحَن في رحراحة صُـفر الـتراس رماتهـا تتراهـا
نـادوا بندبـة خـيلهم فتقاحمـت عنـد اقتحامتهـا عـلى مـا سـاها
ظنـوا غنائمنـا لُقـاً مـا دونهـا عند اصطكاك القدح من أوراهـا
جاشـوا بـأجمعهم لفضـة بيضـة الليـث أعـرض دونهـا وحماهـا
حمـي الـوطيس وفي قنـاتي لهـذم مثـل الشـــرارة ززء في أعلاهـا
يا حسن - كرة - فارسٍ متدجج في الحرب يصدق وقعها ووعاها
لو تشهدين سـمعت فـوق ثيابـه للـدرع خشخشـة تحـت صَـداها
أو مـا يسـركِ أن تـرين عـداتنا والسـمر تَـنْقُشُ فودهـا وكلاهـا
والبـيض تفلـق هامهـا وحماتهم قـتلى سـنابك خيلنـا تَـدراها
غَريَت أنامل راحتـي بصـفيحتي لله در خبعــــــشن أغراهــــــا
مـا كـان إلا نطحـة فتراكبـت أولى كتـائبهم عـلى أخراهـا
وانفض جمع خميسهم عـن وقعـة فيهـا جنـائز ثجحـت أحشـاها

إني بمـــن الله في نصــــري لـــه أرجـو جنانـاً دائـماً مأمواهـا[1]

وقال الإمام الهادي إلى الحق أيضا بعد تلك المعركة الفاصلة:

لائمي في اللقـا في الحـرب مَهـلاً لا تلُمنـي فلسـت للـوم أهـلا
إننـا معشـــر الفــواطم قــوم لا نمـلّ اللقـا إذا الـنِكسُ مَـلا
همُّنا الضرب في اللقاء مع الطعـن وسـفك الـدماء نهـلاً وعـلا
لست عند السُرى وركض المطايا إذ رأيـت النجـوم أفـلاً تـدلا
داعيـاً بالصـبوح هـاتي وغَنـي يـا خلـيلي لا تسـيرا وحُـلا
سُلوتي في الطراد فوق ذرى الخيـل إذا الـنكس بالصـبوح تسـلى
وإذا غَمَـرة المنايـا اقمَطَـرَّت خُضـتها بالقنـاة حتـى تجـلى
لـو تـراني في شِـكتي وسـلاحي فـوق طِـرفي لقلـت ليثـاً مخـلى
وقـد اثخنـتُ عنـد ذاك عُـداتي فهـم في الهـوان أسرى وقـتلى
وبكـى حـامي الحقيقـة ليـث في مكرِّي أو جرت نحره نصلا[2]
وشـفا لي الغليـل صـدرُ قنـاتي لـيس وقـع القنـا يُغـادرُ غِـلا
أنـا يحيـى إذا الـوطيس تلظـى واستعاظت شـمُّ المعـاطس خِـلا
وحنا القِـرن للجـلاد إلى القِـرن وهـامُ الأبطـال بـالبيض تُعـلى
يا بني الحارث بن كعـب هَلمـوا قبـل رقـص النِسـا ورب المصـلى
قد سمعتم قول المهلهل في الشعر ينـادي هنـاك بكـراً وذهـلاً
ذهـب الصـلحُ أو تـردوا كليبـا أو تحلـوا عـلى الحكومـة حَـلا
لسـت مـن هاشـم ذؤابـة مجـدٍ إن لم أرَوِّ السـيوف حتـى تمـلا

---

(١) سيرة الهادي / ١٧٠ – ١٧١.
(٢) في هذا البيت خلل.

وأوطـي أكبـادكم زمـر الخيـل وتجـزون مـا اجـتريم ومـثلا
أحسـبتم قراعنـا بظبُـا البـيض وطعـن الفرسـان زُبـداً مُحـلى
لست بالفاطمي إن حلّت الحرب مـن أوزارهـا قتـيلاً وقـتلا
ولَمّ اشف الغليل من حار كعب وأثـير المغـارات خـيلاً ورجـلا
بخمـيس عرمـرم طهطهـان وبيـض بـروقهن تـلألا
وقـراع بـه عُرِفنـا وطعـن يـترك الخيـل في اللقـاء دعـلا [1]
عنـدها أشـتفي وأشـفي غلـيلي أن تركتُ النساء يرقصن ثكلى [2]

وقال الهادي إلى الحق فيما كان من قتله لبني الحارث القتلة الآخرة شعراً:

ألا إن في هـذا مـن الأمـر مُعتـبر وفيـه وفي تصـريفه تَعمـل الفكـر
نهضـتُ بحـق الله أضرب دونـه بـأبيض مطـرور الظبـا صـارم ذَكـر
وأطعـن بـالرمح الردينـي مُقـدماً نحـور الـذي لا هـمَّ بغصـهم سـقر
وأظهـر عـدلي في المـدائن كلهـا وقمـت بـه حتـى تأثّـلَ وانتشـر
غفـرت لمـن أخطـا وبـيَّن عـذره فأفسـدهم عفـوي فَبُعـداً لمـن كفـر
وما نقموا مني سوى أن دَعَـوتهم إلى كـل تنزيـل مـن الحـق في السـور
وأوليـتهم نُصـحي فلـم يقبلـوا لـه ولم ينظـروا فـيما بـه ربهـم أمـر
وقاموا ليطفوا نور مَن سمك العُلى وذلـك أمـر لـيس يُدركـه البشـر
وأصبح نور الله في الأرض سـاطعاً وأصـبح أمـر الله بـالحق قـد ظهـر
وقـد كـان أقـوام يظنـون غـير ذا ومـا العـز والتمكـين إلا لِمـن صـبر
وأيقـن أن الله يَنصـر دينـه وأن لأهـل الحـق في حقهـم أثـر

---

(١) الدعل: الختل. والداعل: الهارب، والمداعلة: المخاتلة.
(٢) سيرة الهادي / ١٧٦ – ١٧٧.

فمنهم فريق في جهنم فُلِّقت ... جماجمهم بالبيض في قرية الهجر
وآخر منهم هاربٌ بمذلة ... وخِزي وهذاك الجزاء لمن غدر
ولم يك ذا شكر لأيدٍ تقدَّمت ... إليه وأمر بيِّن ماله خطر
جميل وإحسان وشيء فعلته ... إليه وأشياء كباراً فما شكر
ومُنتظر بالحق ضُعفاً وأهله ... فجا غير ما يرجو وقد طال ما انتظر
فإن كنت لم تحضر فأجرك واجبٌ ... بحشدك واستبشار قلبك بالخبر
فأبشر بنصر الله ما ذرَّ شارقٌ ... وما زَعزَعت ريح الصبا ورق الشجر[1]

وعند عودته إلى صعدة بعد تلك المعركة قال:

صعب الزمانُ علي فاستصعبت إذ ... صعب الزمان وليس مثلي يخضع
للدهر لو خضع الأنام بأسرهم ... إن الكريمَ مُصممٌ لا يجزع
إني لهذا الدَّهر قرنٌ قاهرٌ ... لا أستقيد له ولا أتضعضعُ
رام الزمان تضعضعي فمنعته ... ذاك المرام وخاذلي يتوضع
صَبرَ الزمان علي إذ صابرته ... حتى بدت فيه الملالة تسطعُ
والصبر مني ثابتٌ متجددٌ ... ما إن خشعت وما لمثلي يخشع
والله ربي والنبيُّ فوالدي ... والله يحفظني وعني يدفع
حسبي الإله ونيتي وبصيرتي ... والرمح فيه شِبه نارٍ تلمعُ
لدن الكعوب عطفاً متقوِّم ... في رأسهُ سم الجرائش منقع
ومُجرّد ذلقُ الذباب مُهنّدٌ ... يفري الجماجم في اللقاء ويقطع
ماضي الضريبة في الفؤاد مقرُّه ... ليست ضريبته لعمرُك ترجع
ومفاضة مثل الغدير حصينة ... داود قدرُّها الحكيم وتبَّعُ

---

(١) سيرة الهادي / ١٨٧ – ١٨٨.

قد ضاعف الحلق المدار مجيده — فأتت بلطف الله حصناً تمنع
ومجبّب عبل الشوى شنج النسا [1] — عند الطراد مقلص يتجمع
نهد الجرارة والأياطل لاحق — بحوافرٍ تدع الحصى تتقطع
ومُركبٌ في الصدر مني ثابتٌ — مثل الصفاة ممكن لا يفزع
لا يُستطار إذا القلوب تصدَّعت — ماضي العزيمة ثابتٌ لا يهلع
حين المكر يكرُّ غير مكذّبٍ — ولدى الوقوف فلن يرى يتزعزع
إما تؤخرني المنية فينةً — إن المنية قد تغول وتصرع
فلعلني أوطي السنابك عنوة — مدر العِراق ومن بها يترفّع
بمعونة الرحمن أملك أرضهم — وأذِلّ فيها كل من يتجمع
حتى أفضَّ جموعهم بمقانبٍ — تحمي الذمار حُماتها لا تُردَعُ
فيها الصواهل والبواتر والقنا — ومعكفات بالمنايا تشجع
من كل ذي حنقٍ يمانٍ إذا — كعَّ القرون فلن يُرى يتكعكع
من مؤمنٍ وموحّدٍ في دينه — ولدى الحروب فلن يرى يتوضع
وأفض حصن ذوي السفاهة إنهم — فيهم فجور ثابت لا يُقلع
خانوا الإله وعطلوا أحكامه — فمتى أرى البيض البوات ترتعُ
فيهم بتدمر وقعة في وقعها — فيها رؤوسهم تحزُّ وتقطعُ
حتى يُجازوا بالذي قد قدَّموا — مِثلاً بمثلٍ والأنوف تُجدَّعُ [2]

ثم أقام الهادي بصعدة حتى صلحت البلد، ولبس الناس العافية فقال في ذلك:

نام خدن الحرب من بعد الأرق — واستلذ العيش من بعد شرق

---

(١) يقال: فرس شنج النسا. مدح، لأنه إذا شنج لم تسترح رجلاه.

(٢) سيرة الهادي / ١٩١ – ١٩٢.

حين مارَ البيض في هامات مَنْ خـالف الحـق علـيهن العَلـق
ورأى الفرســان في نــاديهم تَـدّعس الأبـدان فالهـام فَلـق
وهـم مـا بـين كلـبٍ هـاربٍ ذاهل العقـل ومرعـوب صـعق
عـاينوا المـوت فحلـوّا دورهـم وعيـالات لهـم عنـد الفـرَق
وزُروعــاً وعنابــاً جمــة وســلاحاً وأثاثــاً وسَرَق
وعبيــداً ودروعــاً غُنِمــت وثيابــا ومتاعــا وَورق
وهـم قـد طرحـوا أسـلابهم ورماحــا وســيوفا ودرق
ثـم طـاروا في جبـال صـعبة وتبعنــا فقتلنــا مــن لحــق
وغشـينا عسـكر الفِسـق فلـم يبـق فيـه مـن جديـد وخلـق
فشـفى غيظـي ووجـدي ذُلهـم حـين زال العِـز عـنهم فـامتحق
شــامهم ذاك الأكــيلي الــذي غـاص في الغـرة في بحـر غمـق
مُعرقــيٌّ عرفــت أشــياعه مـن أكيـل ورعـاع قـد غـرق
عانـدوا الحـق ومـن قـام بـه فتعــدى وتَــولى وفســق
أحكمـو درب عـلاف زعمـوا فاستبحنا الدرب وانـدق الغلـق
أدبــرت دنيــاهم مــن بعــده وتمشــى الــذل فــيهم فاتســق
لــيس للشــيبة تجديــد إذا ودع المــرء شــباباً وانطلــق
فهــو لا يُنجيــه منــي جبــل يعجز النسـر ولا الحرف الأمـق
قد بـذل الـبخس أيعنـت وقـد صارت الأرصاد في كل الطُرق
ليس بالمُفلـت مـن سـيفي ولـو جَرعَ البحر ولـو خـاض الأفـق
ذاك بــالرحمن نِلنــاه ومــن وفــق الله لــه العــز اتفــق
ســوف أجتــث قريبــاً أصــله لـيس أمـر الفسـق يومـا يتفـق
قــد غشــيناهم فولــوا هربــاً وطحنــاهم فــما فــيهم رَمــق

غضبـاً لله في عصيانه … وفجور كان منهم قد سبق
تابع الكذاب في زلته … وخطاه كل ذي رأي شفق
تبعوه فتخطوا رُشدهم … فتق الملعون منهم ما ارتتق
همجُ نوك رَعاع كلهم … وهم أتباع أيضا من نَعق
قد سعى في ذلكم فاستمسكوا … وقد الكل جميعا في وهق
فاستقيموا نصب حربي إنني … مُجهد لله كالليث الحنق
جهلوا حربي فظنوا أنه … أكلهم خبز النصارى بالمَرق
قمتُ بالحق ومن قام معي … فلواء الحق فينا قد خفق
برجالٍ أسد حَربٍ سادة … بهمُ ما دمتُ في الحرب أثق
يقدمون الناس في الحرب إلى … مورد الحرب إذا احمرَّ الحدق
نحنُ جند الله في الأرض فقد … رَعدَ العز علينا وبرق [1]

وكتب إلى بني الحارث كتاباً غليظا، وكتب إليهم في أسفل كتابه:

أنا ابن محمد وأبي عليٌّ … وعمي خير متعل وخالي
بحذوهم لعمركمُ احتذائي … كما يُحذى المثال على المثال
أنا الموت الذي لا بُدّ منه … على من رام خدعي واغتيالي
أخوض إلى عَدُوي كل هول … وأصبر عند معترك النزال
وغيثٌ للوليّ إذا وليّ … أتاني يبتغي مني نوالي
وما إن زلت محتملاً صبورا … وما أنا للفسوق بذي احتمال
وقد كنتم زمانا في فساد … وإدغالٍ وخدعٍ واغتيالِ
وخلتم أنه يخفى علينا … فقد ذقتم به شرّ الوبال

(١) سيرة الهادي / ١٩٨ – ٢٠٠.

فـإن أوفيـتمُ بعقـود عهـدي — وصـيرتم بغـيركم اشـتغالي
سلمتم من صروف سجال حربي — ومـا ذلـل الحـروب بمسـتقال
وإلا فـاثبتوا للحـرب إني — أحـاربكم بقُـدرة ذي الجـلال
فقـد أعطـانيَ الـرحمن نصـرا — وأمـداداً بـإعزازٍ ومـال
وجـيشٍ لا يُـرام إذا التقينـا — شديدِ البأس يزحف ذي احتفال
أضرّ علـيكم وأشـد بأسـا — وأمضـى مـن مُذلقـةِ النصـال
فحـزب الله منصـورٌ قـويٌّ — وحـزب البغـي يـؤذِن بـالزوال
وأمـر الله يفـدح كـل أمـر — ولسـنا أهـل غـدرٍ وانتقـال
إذا مـا قلـت قـولاً كـان حقـا — وقـولي قـد يُصـدقه فعـالي [1]

وقال أيضا عليه السلام:

يا لهف نفسـي وجـوى ضـمائري — عـلى الرمـاح السـمر والبـواتر
وكـل مطـوي الحشـا جنـوب — شـبح النسـاء مشـمّر يعبـوب
صـافي الأديـم حالـك القـذال — مُجـب التحجيـل في اعتـدال
كأنـه في البلـد السـبراح — إذا جـرا الحـذروف في الريـاح
يغـدوا بكـل باسـل قمقـام — ينـير في حنـادس الظـلام
أنـا لعمـري شـيخها المفهـوم — أبـو الحسـين الـدرب المعلـوم
إن نلـت مـا أملـت في حيـاتي — مـن نصـر ربي قبـل مـا وفـاتي
فلسـت مـن أحمـد إن لم تصـدر — عنـي أفاعيـل الهـدى وتـذكر
أنـا الإمـام الأمجـد ابـن الأمجـد — وابـن أمـير المـؤمنين المهتـدي
يـا رب فـارزقني جهـاد الكفّـار — النـاكثين الفاسـقين الفجّـار

---

(١) سيرة الهادي / ٢٠١ – ٢٠٢.

في أمـــة ســـامعةٍ مُطيعـــةٍ مريـــدةٍ للحـــق والـــشريعة
وارزق بنـــيَّ وبنـــي الأعـــمام إقامـــة الحـــق مـــع الإمـــام [1]

وقال أيضا عليه السلام:

كـــريم هاشـــمي فاطـــ ـــمي جـــامع القلـــب
رؤوف أحمـــــــــدي لا يهـــاب المـــوت في الحـــرب
تـــرى أعـــداءه منـــه حـــذ ار الحتـــف في الكـــرب
شـــجاع يتلـــف الأرواح في الهيجـــاء بالضـــرب
رحـــيم بـــأخ التقـــوى شـــديد بـــأخ الـــذيب
حكـــيم أوتي التقـــوى وفصـــل الحكـــم والخطـــب
بعـــدل القـــائم المهـــديِّ غـــوث الشـــرق والغـــرب [2]

* * *

(١) درر الأحاديث النبوية / ١١٢ – ١١٣.
(٢) درر الأحاديث النبوة / ١٩٠.

الكتاب:

إثبات نسبة الكتاب:

كتاب تفسير الإمام الهادي عليه السلام أشهر من نار على علم في أوساط الزيدية، فهو ليس بحاجة إلى توثيق، لأن كل من ترجم للإمام الهادي وذكر كتبه، فلا يكاد يذكرها إلا ويذكر تفسيره.

أولا: الأسانيد

الأولى: عن السيد العلامة مفتي الجمهورية أحمد بن محمد زبارة، عن العلامة علي بن أحمد السدمي (١٢٧١ ـ ١٣٦٤هـ)، عن العلامة عبد الكريم عبد الله أبو طالب (١٢٢٤ ـ ١٣٠٩هـ)، عن العلامة إسماعيل بن أحمد الكبسي (١١٥٠ ـ ١٢٣٣هـ)، عن القاضي محمد بن أحمد مشحم المتوفي سنة (١١٨١هـ)، عن السيد صارم الدين إبراهيم بن القاسم بن محمد بن القاسم المتوفي سنة (١١٥١هـ)، عن القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري (١٠٠٧ ـ ١٠٧٩هـ)، عن الإمام القاسم بن محمد.

ويروي الإمام القاسم بن محمد، عن أمير الدين بن عبد الله بن نهشل، عن أحمد بن عبد الله الوزير، عن الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين، عن الإمام محمد بن علي السراجي، عن الإمام عز الدين بن الحسن، عن الإمام المطهر بن محمد الحمزي، عن الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، عن أخيه السيد الهادي بن يحيى، عن القاسم بن أحمد بن حميد الشهيد، عن أبيه، عن جده الشهيد حميد بن أحمد المحلي، عن الإمام عبد الله بن حمزة، عن العلامة الحسن بن محمد الرصاص، عن القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، عن أحمد بن الحسن الكني.

ويروي الإمام المتوكل على الله شرف الدين عن السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير، عن العلامة عبد الله بن يحيى أبي العطايا، عن أبيه يحيى بن المهدي، عن العلامة المطهر بن محمد بن المطهر بن يحيى، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن أحمد بن أبي الرجال، عن الإمام أحمد بن الحسين، عن الشيخ العالم أحمد بن محمد الأكوع المعروف بشعلة، عن الشيخ محي الدين بن محمد بن أحمد القرشي، عن القاضي جعفر بن أحمد، عن الإمام أحمد بن سليمان، عن الشيخ إسحاق بن أحمد، عن عبد الرزاق بن أحمد، عن الشريف علي بن الحارث، وأبي الهيثم يوسف بن أبي العشيرة، عن الحسن بن أحمد الضهري إمام مسجد الهادي، عن محمد بن أبي الفتوح، عن الإمام المرتضى محمد بن يحيى، عن أبيه الإمام الهادي يحيى بن الحسين.

ويروي أيضا القاضي جعفر بن أحمد، عن القاضي أحمد بن أبي الحسن الكني، عن أبي الفوارس توران شاه، عن أبي علي بن آموج، عن القاضي زيد محمد، عن علي خليل، عن القاضي يوسف الخطيب، عن الإمام المؤيد بالله، والإمام أبي طالب، عن السيد أبي العباس الحسني، عن السيد الإمام علي بن العباس الحسين، عن الإمام الهادي.

ويروي الإمام المؤيد بالله، وأبو طالب، وأبو العباس الحسين، عن السيد الإمام يحيى الهادي بن المرتضى محمد بن يحيى، عن عمه الإمام الناصر أحمد بن يحيى، عن الإمام الهادي.

الثانية: عن السيد العلامة مفتي اليمن أحمد بن محمد بن زبارة، عن حسين بن علي العمري، عن محمد بن محمد الضفري، عن محمد بن علي الشوكاني، عن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر، عن أحمد بن عبد الرحمن الشامي، عن حسين بن أحمد زبارة، عن أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن المؤيد بالله محمد بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد به.

الثالثة: عن السيد العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي عَلَم الزيدية الأكبر، عن أبيه محمد بن منصور المؤيدي، عن الإمام محمد بن القاسم الحوثي، عن الإمام محمد بن عبد الله الوزير، عن أحمد بن يوسف زبارة، عن الحسين بن يوسف زبارة، عن يوسف بن الحسين زبارة، عن الحسين بن أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد به.

الرابعة: عن السيد العلامة حمود بن عباس المؤيد، عن الشيخ عبد الواسع الواسعي، عن القاضي محمد بن عبد الله الغالبي، عن أبيه عبد الله بن علي الغالبي، عن محمد بن عبد الرب بن محمد، عن عمه إسماعيل بن محمد بن زيد، عن أبيه محمد بن زيد المتوكل، عن أبيه زيد المتوكل، عن أبيه المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد به.

الخامسة: عن السيد حمود بن عباس المؤيد، عن محمد بن علي الشرفي، عن الإمام محمد ابن القاسم الحوثي، عن الإمام محمد بن عبد الله الوزير، عن أحمد بن يوسف زبارة، عن الحسين بن يوسف زبارة، عن يوسف بن الحسين زبارة، عن الحسين بن أحمد زبارة، عن أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، عن الإمام القاسم بن محمد.

السادسة: عن السيد العلامة محمد بن الحسن العجري، عن السيد العلامة علي بن محمد العجري، عن السيد العلامة عبد الله بن يحيى العجري، عن الإمام المهدي محمد بن القاسم الحوثي، به.

السابعة: عن السيد العلامة محمد بن الحسن العجري، عن الوالد العلامة علي بن محمد العجري، والوالد العلامة الحسن بن عبد الله القاسمي، عن العلامة يحيى بن صلاح ستين، والعلامة عبد الله بن الحسن القاسمي، عن القاضي محمد بن علي الغالبي، عن أبيه، به.

الثامنة: عن السيد العلامة بدر الدين بن أمير الدين الحوثي، عن العلامة أحمد بن محمد القاسمي، عن الإمام الحسن بن يحيى القاسمي، عن العلامة عبد الله بن أحمد المؤيدي، عن القاضي عبد الله بن علي الغالبي، بإسناده المتقدم إلى الإمام القاسم بن محمد، به.

التاسعة: عن السيد العلامة محمد بن محمد المنصور، عن القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، عن حسين العمري، عن أحمد بن محمد الكبسي، عن القاضي عبد الله بن علي الغالبي به.

العاشرة: عن السيد العلامة محمد بن يحيى بن المطهر، عن الشيخ عبد الواسع الواسعي، عن القاضي العلامة حسين بن محمس المغربي، عن السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله أبي طالب، عن العلامة أحمد بن عبد الله بن الإمام المعروف بصاحب دار سنان، عن شيخه العلامة أحمد بن يوسف زبارة، عن أخيه العلامة الحسين بن يوسف زبارة، عن أبيه يوسف بن الحسين، عن أبيه الحسين بن أحمد زبارة، عن شيخه العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، عن شيخه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد، وأخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، به.

أهمية كتب الإمام الهادي:

تأتي أهمية الكتب والرسائل من نواح عدة:

الأولى: نقاء الفكرة:

وأعني بهذا أنه لم يتأثر بالفلسفة اليونانية، ولا بالفكر الاعتزالي المعتمد على العقل التجريدي، ولم يعرج على تلك الأفكار والمصطلحات المعقدة التي تشوش

ذهن المسلم وتبلبله، ولم يدنس أفكاره بالنظرة الوثنية إلى الإله، التي تشبهه بخلقه وتماثل بينه وبينه في الصفات، كالوجه والعين واليد والرجل... إلخ المفاهيم الوثنية، وتنزه عن خرافات الجبرية القدرية، ومقالات المرجئة، وطلاسم وهرطقات الباطنية، وترهات ومغالات الرافضة، وإسفاف الصوفية، وسذاجة وتخرصات الخوارج، بل اتخذ الوسطية من بين كل هذا الركام الهائل من الإفراط والتفريط والتناقض والسطحية في التفكير، وعمد في الاحتجاج إلى العقل ثم القرآن ثم السنة.

قال الإمام الهادي مبينا عقيدته ووجهته وتميزها عن مقالة الفرق عامة، والتي تمثل عقيدة ووجهة جده: لست بزنديق ولا دهري، ولا ممن يقول بالطبع ولا ثنوي، ولا مجبر قدريّ، ولا حشوي، ولا خارجي، وإلى الله أبرأ من كل رافضي غويٍ، ومن كل حروري ناصبي، ومن كل معتزلي غالٍ، ومن جميع الفرق الشاذة، ونعوذ بالله من كل مقالة غالية، ولا بد من فرقة ناجية عالية، وهذه الفرق كلها عندي حجتهم داحضة. والحمد لله.

وأنا متمسك بأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومعدن العلم، وأهل الذكر، الذين بهم وُحِّد الرحمن، وفي بيتهم نزل القرآن، ولديهم التأويل والبيان، وبمفاتيح منطقهم نطق كل لسان. وبذلك حث عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، مثلهم فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى».

فقد أصبحوا عندي بحمد الله مفاتيح الهدى، ومصابيح الدجا، لو طلبنا شرق الأرض وغربها لم نجد في الشرق مثلهم، فأنا أقفوا آثارهم، وأتمثل مثالهم، وأقول بقولهم، وأدين بدينهم، وأحتذي بفعلهم [١].

---

(١) الجواب لأهل صنعاء، مجموع كتب ورسائل الامام الهادي/ ١٤٤ _ ١٤٥.

الثانية: تناول مواضيع ساخنة:

كما أسلفنا لم يكن التأليف عند الإمام حالة ترف فكري، وتأليف من أجل التأليف، أو أنه كان يتناول مواضيع مألوفة وأفكارا مكرورة، بل إن المواضيع التي طرحها والأفكار التي نقدها وفندها، كانت مواضيع ساخنة وتساؤلات مشروعة، ورؤي معروضة بشكل مستفز، وكانت أكثر المواضيع حساسية في ذلك العصر، ولا زالت إلى عصرنا هذا.

الثالثة: أصالة الحجة:

لم يعتمد الإمام الهادي في استدلالاته على حجج غير ناهضة بالمقصود، ولا على حجج دخيلة على الفكر الإسلامي، وإنما اعتمد الحجج الأصيلة من صريح المعقول وصحيح المنقول.

نظرته للقرآن

القرآن عند الإمام هو ما بقي من وحي في هذه الدنيا، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو محفوظ بحفظ الله، وهو العزاء الوحيد عن ضياع مواريث النبوات الأولى، ففيه الهداية والنور.

نظرته للسنة

السنة عند الإمام الهادي عليه السلام هي ما وافق القرآن، فما خالفه فهو مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال الإمام الهادي: وما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – من الفروع التي جاءته عن الله عز وجل وتبارك وتعالى، حتى يقال إنها من السنة – فَلَمْ يشهد له الكتاب، ولم يوجد فيه ذكرها مفصلاً، أو مجملاً مؤصلاً ثابتاً، فَلَيس هو من الله، وما لم يكن من الله فلم

يقله رسول الله، وما لم يقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكيه عن الله، فهو ضد السنة لا منها، وما لم يكن منها لم يجز في دين الله أن ينسب إليها.

فآيات الكتاب هي الأمهات، لشرائع سنته المفرَّعات، والأمهات فهن المحكمات، وإليهن ترد المفصلات.

ومن الشواهد لما جاء من الروايات، مما حكي من السنن المبينات، وفي ذلك ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سيكذب عليَّ كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فأعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالف كتاب الله فليس مني ولم أقله»، يريد صلى الله عليه وآله وسلم: أن ما وافق الكتاب مما روي عنه من الأحكام، ومن شرائع الإسلام، فإنه منه أخذ، وإنه جاء به عن الله، وما خالف الكتاب فليس من السنة التي جاء بها عن الله، لأن جميع الوحي الذي جاء عن الله سبحانه من السنة والقرآن، فهما شيئان متشابهان متفقان، لا يتضادان أبدا ولا يفترقان [1].

والسنة عند الإمام الهادي عليه السلام نزلت من عند الله وحيا كما نزل القرآن، وهي شارحة ومفصلة لجمل الكتاب العزيز، قال الإمام الهادي: فزعمت هذه الأمة، أو من قال بذلك منها: أن ما كان في الكتاب ناطقاً موصولاً، فهو من الله فرض مفترض، وما كان من تفريع الأصول، وتمييز ما ميز صلى الله عليه وآله وسلم من الفصول، فإنه منه لا من الله، وأنه فعله لا فعل الله، ثم سموا ذلك الفرع سنة، وأخرجوا معنى السنة من الفريضة، وتوهموا أن ذلك كما قالوا، ولم يعلموا ما عليهم في ذلك، حتى حكموا به وسموه كذلك.

---

(١) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٥٦٧ – ٥٦٨.

فلما عظم الأمر، وجل الخطر، ورأينا الهلكة واقعة بهم، والضلالة شاملة لهم، رأينا أن نفسر قول القائل: (سنة)، ونشرح ما السنة؟ وكيف كان تفريع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فرع من الأصول المنزلة، التي جاءت في كتاب الله سبحانه مجملةً.

فقلنا: إن رسول الله عليه السلام لم يكن ليخترع أمراً دون الله سبحانه، وأنه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم حين يقول: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأحقاف:٩]، وكما قال عليه السلام: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص:٨٦].

من ذلك ما قلنا به من قول الله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣ وغيرها]، فنزلت هاتان اللفظتان في القرآن موصلتين، وجاءتا فيه مجملتين، فاحتملت الصلاة أن يصلى كثيراً أو قليلاً، إذ جاء مجملاً، ثم فسر الله ذلك على لسان جبريل، كما نزل على لسانه القرآن الجليل، فجعل الله الظهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، والعتمة أربعاً، والصبح اثنتين، فبيّن لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم تفسير ما جاء في كتابه مجملاً، من أمره بالصلاة جزماً، ولم يكله إلى أن يتكمه في ذلك تكمهاً، ولا أن يتخبط فيه صلى الله عليه وآله وسلم تخبطاً[1].

وقال الإمام الهادي:والكتاب فهو جزء من وحي الله وأحكامه، وسنته جزء آخر من وحي الله وتبيانه. فسمى الوحي الذي فيه أصول المحكمات من الأمهات المنزلات قرآناً، لأنه جعل الأصول إماماً وقواماً، وللفروع المفرعات أصولاً وتبياناً. وسمى الجزء الثاني من وحي الله عز وجل وفرائضه سنة وبرهاناً.

والسنة فهي: سنة الله عز وجل، وإنما نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي/ ٥٥٥ – ٥٥٧.

وسلم على مجاز الكلام، إذ هو المبلغ لها، والآتي عن الله سبحانه بها، كما يقال للقرآن: كتاب محمد، وكما يقال للإنجيل: كتاب عيسى، وكما يقال للتوراة: كتاب موسى، قال الله سبحانه في ذلك، وما كان من الأمر كذلك: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [هود:١٧]، فسماه كتاب موسى ونسبه إليه، وإنما هو كتاب الله عز وجل الذي نزل على موسى. وكذلك مجرى السنة في قول القائل: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يريد: سنة الله، ومعنى سنة الله، فهو فرض الله وحكمه، وتبيانه لدينه وعزمه، قال الله جل جلاله: ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر:٨٥]، يريد سبحانه بقول: ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ ﴾ أي: ذكر الله وفعله، وصنعه في خلقه وأمره[1].

وهناك مفهوم للسنة عند الإمام الهادي، وهو ما كان يراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيا، لا يسنده إلى الله، قال: وليس ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فعل أو اختيار جاء به عن نفسه منسوباً إلى الله ولا عنه، ولا مشابهاً لشيء من أحكام السنن. بل قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى رأياً، وفعل فعلاً مما ليس هو فيه بمخالف لسنة ولا لكتاب، بين ذلك عن نفسه، وأخبر أنه ليس من ربه.

مثل ما كان منه صلى الله عليه في الجَدِّ الذي لقيه بالجحفة راجعا من حجة الوداع، فقال: يا رسول الله، إن ابن ابني مات، فما لي (ميراث) من ماله؟ فقال عليه السلام: لك السدس، فلما أن أبعَد الشيخ رَقَّ عليه رسول الله صلى الله عليه ورحمه، لما بان له من ضعفه وقلة حيلته وكبر سنه، فرده رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٥٦٦ – ٥٦٧.

وسلم، فقال: لك السدس الآخر، فلما أن مضى الشيخ وأبعد رده رسول اللهه صلى الله عليه وآله وسلم ثانية، فقال له: إن السدس الثاني مني طُعمَة لك، فبيَّن صلى الله عليه وآله ما كان منه، وبيَّن ما كان من الله، فلما أن قال: السدس الثاني طعمة مني، علمنا أن السدس الأول حكم من الله.

ومِثْلُ هذا مما كان من رأيه وفعله، ولم يأته في كتاب الله ولا سنته، مما كان يستحبه ويفعله من نوافل صلواته، وتعبده من بعد الفرائض المفروضات لما كان يتعبد من النوافل المعروفات، اللواتي كن منه اختياراً وعبادة، يطلب بذلك من الله الفضيلة والزيادة، كان ذلك منه صلى الله عليه استحساناً لنفسه، ولم يكن فرضاً من الله لا يسع تركه، ولا يجب على من تركه الكفر بربه »[1].

فكل ما ذكرنا من ذلك من الحلال والحرام، وشرائع الدين والأحكام، فهي من الله حقاً حقاً. وليس حالها كحال غيرها مما جعله رسول الله عليه السلام من نفسه واختياره ورآه، مما لم يجعل الله ولا رسوله على تاركه عقاباً؛ مثل ما سنَّ من الوتر، وتقليم الأظفار، وحلق الشعر، والسواك، وتعفية اللحية، وأخذ الشارب، وغير ذلك مما سنَّ وفعل، واختار لنفسه من زيادات العبادة والصلاة[2].

نظرته لأهل البيت

إن الإمام الهادي عليه السلام يعتبر انتسابه إلى أهل البيت عليهم السلام نعمة إلهية تستوجب الشكر، فهو يحمد الله عز وجل وعلى «على ما منَّ به فينا وتفضل به سبحانه علينا، من ولادة النبيين ووراثة علم المرسلين»، وهم أهل الحق واتباعهم

(١) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٥٦٨ – ٥٦٩.
(٢) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٥٦٣.

سبب النجاة والإلفة ومخالفتهم سبب الهلاك والفرقة، فقد وقع الاختلاف في هذه الأمة «لفساد هذه الأمة وافتراقها، وقلة نظرها لأنفسها في أمورها، وتركها لمن أمرها الله باتباعه والاقتباس من علمه، ورفضها لأئمتها وقادتها، الذين أمرت بالتعلم منهم والسؤال لهم، وجعلوا شفاء لداء الأمة، ودليلاً على كل مكرمة، ونهاية لكل فاضلة، وأصلاً لكل خير، وفرعاً لكل بر، وفصلاً لكل خطاب، ودليلاً على كل الأسباب».

وهم ورثة الكتاب المصطفين وأهل الذكر الذين أمرت الأمة بسؤالهم في الحلال والحرام، «لأنهم أهل ذلك وموضعه ومكانه ومركبه الذي ركبه الله عليه وجعله معدناً له وفيه، اختاره لعلمه وفضله على جميع خلقه، نوراً على نور، وهدى على هدى، وحاجزاً من كل ضلال وردى، أئمة هادين، ونخبة مصطفين، لا يخاف من اتبعهم غياً، ولا يخشى عماً ولا ضلالاً، محجة الإيمان، وخلفاء الرحمن، والسبيل إلى الجنان، والحاجز عن النيران، ثقاة أبرار، وسادة أخيار، أولاد النبيين، وعترة المصطفين، وسلالة النبي، ونسل الوصي، وخيرة الواحد العلي، مشرب لا يظمأ من ورده، ودواء لا يسقم من تداوى به، شفاء الأدواء، ووقاية من البلاء، كهف حصين، ودين رصين، وعمود الدين، وأئمة المسلمين، قولهم صواب بلا خطأ، وقربهم شفاء بلا ردى، أعني بذلك الطاهرين المطهرين، والأئمة الهادين، من أهل بيت محمد المصطفى، وموضع الطهر والرضى، الوافين إن وعدوا، والصادقين إن نطقوا، والعادلين إن حكموا»[1].

(١) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ٢٨ – ٢٩.

نظرته للصحابة

ولا أنتقص أحداً من الصحابة الصادقين، والتابعين بإحسان المؤمنات منهم والمؤمنين، أتولى جميع من هاجر، ومن أوى منهم ونصر، فمن سبَّ مؤمنا عندي استحلالاً فقد كفر، ومن سبّه استحراماً فقد ضل عندي وفسق.

ولا أسبّ إلا من نقض العهد والعزيمة، وفي كل وقت له هزيمة، من الذين بالنفاق تفرَّدوا، وعلى الرسول صلى الله عليه مرة بعد مرة تمردوا، وعلى أهل بيته اجترؤا وطعنوا.

وإني أستغفر الله لأمهات المؤمنين، اللواتي خرجن من الدنيا وهن من الدين على يقين، وأجعل لعنة الله على من تناولهن بها لا يستحققن من سائر الناس أجمعين[1].

قال العلامة يحي بن الحسين بن القاسم في كتابه الإيضاح: إن الهادي جلد قوماً بصنعاء سبوا أبا بكر وعمر[2].

نظرته للحجة

الحجة عند الإمام الهادي هي العقل بالدرجة الأولى، ثم القرآن، ثم السنة الصحيحة.



(١) مجموع كتب ورسائل الامام الهادي / ١٤٦.
(٢) الإيضاح لما خفا ص٢١٧.

التحقيق:

مراحل الإعداد:

كانت أولى مراحل التحقيق هو تجميع المخطوطات، ولقد حصلت بحمد الله على ثلاث نسخ من تفسير الإمام الهادي.

ثم دفعت المخطوط إلى الكمبيوتر للصف، ثم استخرجت نسخة وقابلتها مع المخطوطات.

منهج التحقيق:

تصحيح النص وضبطه:

إن أهم عمل ينبغي أن يوليه المحقق الاهتمام الكبير، هو تصحيح النص وتقويمه، حتى يكون أقرب ما يكون من نص المؤلف، خاصة كتب القرون الأولى.

ولقد بذلت جهداً مضنيا في هذا السبيل، وكنت أضطر أحياناً إلى إضافة كلمة لتقويم النص أضعها بين معكوفين [ ].

وكذلك ضبطت كل ما يحتاج إلى ضبط من الكلمات التي قد تختلط مع أمثالها.

توزيع النص:

قطعت النص إلى فقرات، والفقرة إلى جمل، مستخدما علامات الترقيم المتعارف عليها. ولأن كثيرا من مباحث الكتاب شعر منثور أو نثر مشعور فكنت قد أزمعت على الفصل بين كل سجعة وأخرى بنجمة مميزة، ثم أضربتُ عنها واستخدمت الفصلة. ولذلك فالفصلات ليست عشوائية، وإنما وضعتها حسبما أراد الإمام أن يُقرأ كتابه.

ترتيب الكتاب:

كتاب تفسير الإمام الهادي جزء منه تكملة لتفسير جده الإمام القاسم الرسي، وعمه محمد بن القاسم، واللذين بلغا فيه إلى سورة النازعات من بداية سورة الناس.

بلغ فيه إلى سورة المنافقين. وبقيته عبارة عن أسئلة متناثرة غير مرتبة، سأله تلميذه إسحاق بن إبراهيم، وولده محمد المرتضى، وعلي بن محمد بن عبيد الله مؤلف سيرته، وغيرهم. فرتبت ذلك كله حسب ترتيب سور القرآن، ووضعت كل آية في موضعها من السورة، لتقريبه وتسهيله على القارئ، ولينتظم للإمامتفسير مفرد.

قال الامام الهادي: "فابتدأنا بشرح ما نريد بيانه من تفسير القرآن، الذي نزله ذو القوة والبرهان، من حيث أفضى إليه تفسير شيخينا رحمة الله عليهما ورضوانه، جدي وعمي، وهو من أول سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝﴾، وذلك أن جدي صلوات الله عليه بلغ من تفسيره إلى آخر﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝﴾. ومحمد بن القاسم عمي من عند ذلك إلى آخر ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾. فرأينا البناء على أساسها، وإتمام ماقد كانا أمَّلاه من شرح القرآن وتفسيره، وبلوغ الغاية في شرح تأويله، إن أخرني الله سبحانه لذلك وأمهلني، وبلغني فيه أمنيتي، ولم يمنعني من ابتدائه من أوله وتفسيره من أول حرف منه، إلا التبارك بذكرهما، والبناء على تفسيرهما، صلة مني لهما بذلك، وتقربا إلى الله بأن أكون كذلك، لما لهما في ذلك من الأجر، وما يكسبهما ذلك إن شاء الله من الفخر، في الدنيا والآخرة والذكر".

التعليقات:

الآيات:

خرجت جميع الآيات المذكورة في الكتاب.

الحديث:

خرجت جميع الأحاديث المذكورة في الكتاب من كتب الحديث والتفسير.

الغريب:

شرحت الغريب من الألفاظ، والتراكيب، معتمدا على معاجم اللغة وكتب التفسير.

تعليقات:

علقت على كل ما يحتاج إلى تعليق، بالتوضيح أو الاستشهاد بها يؤكد مراد المؤلف.

مقدمة:

وضعت مقدمة للتعريف بالمؤلف، وكلمة عن الكتاب.

الفهرس:

وضعت فهرسا للسور، ولم أضع فهرسا للآيات لكثرتها.

المخطوطات المعتمدة

اعتمدت في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ منه:

الأولى: نسخة خطية بخط حسن أغلبها مهملة من الإعجام، كتب في آخره:

كتبه إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن الهادي إلى الحق عليهم السلام، وكان ذلك بصنعاء اليمن، برجب من سنة ست وستين وثماني مائة. وقد رمزت لها بـ(أ).

الثانية: نسخة خطية بخط واضح حسن، بيد أنها مبتورة من آخرها، فلم أعلم بتاريخ كتابتها، الا ان خطها من الخطوط القديمة جدا، لعلها من القرن الخامس أو السادس. وهي من جمع العلامة أبي العباس منصور بن موسى الخطابي. وقد رمزت لها بـ(ب).

الثالثة: نسخة من المصابيح الساطعة الأنوار في تفسير أهل البيت، للعلامة عبد الله بن أحمد الشرفي المتوفى سنة (١٠٦٢هـ)، غير مؤرخة، ويبدو أنها من عصر المؤلف، وقد جمع فيها من تفسير الهادي شيئا كثيراً بيد أنه موزع في طيات المصابيح. وقد رمزت لها بـ(ج).

وهذه نماذج من المخطوطات:



[illegible]

هذا الكتاب المبارك [illegible]

القرآن العظيم [illegible]

الهادي إلى الحق [illegible]

السلام [illegible]

الحمد لله حسبي الله وحده وصلى الله على محمد وآله
هذا الكتاب مشتمل على جمل من أنباء عن نحو
يثلج أوارها الصدور ويطلع ناظرها
على حقائق مذاهب أئمة العترة وما اختاروه لأنفسهم
لأنفسهم وأبنائهم وشيعتهم المتدينين ولازم
الورود والصدور فيما اتفق على ما أمضاه الأئمة
بزعمهم من علوم الأئمة الأطهار وأوضح ما
اختاروه وهو مختار أبيهم من مختار ومن
حوادث الدهر وعجائبه وعظمائه [illegible]
إن كنت المنزل العتيق صاحبت من زماننا بالمناهل
كماء في الأشواق كالأثمار الباحثة وكل ذلك
محدثات الكتب الأقوال التي تخالم [illegible]
طامسه فإنا لله وإنا إليه راجعون
كتبه إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم
بن علي بن المرتضى [illegible] الهادي [illegible]
وكان ذلك [illegible] اليمن ترجمة [illegible] سنة ثمان
وثمانين [illegible] الله [illegible]

الصفحة الأولى من النسخة (ب)



الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)

الصفحة الأولى من النسخة (ج)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ونعم الوكيل

الحمد لله الذي جعل القرآن نوراً هدانا به من ظلمات الضلالة والجهالة وشفانا من داء كل عمى

وجهالة ونجاة لمن اعتصم به وما أهل الدين [illegible] دلالة وجعله حبلاً [illegible]

وهدى ودليلاً على من إليه هدى ومبيناً لقدرته [illegible] مشاهداً على حكمته [illegible] وأشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في حكمه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه

وعلى آله الذين هم عيبة علمه اصطفاهم لأمته [illegible] خصهم بنعمته

واستودعهم حكمته وجعلهم حفاظ كتابه وأحكامه وخزان [illegible] والمطلعين على

أسراره وغوامضه والتالين [illegible] والعالمين [illegible] فيما اختلف فيه المختلفون

والمبينين للصحيح الذي يعول فيه المعولون إذا [illegible]

المنزل وملجأ التأويل [illegible] **وبعد** فإنه لما كان كتاب الله العزيز

[illegible] اقتضت [illegible] العربية والمعاني اللغوية وفيها العام والخاص

والمجمل والمبين والظاهر والمؤول وما يحتمل وجهاً وما يحتمل وجهين فأكثر وما تتشابه فيه

المعاني وتتعدد فيه الوجوه ولذلك من لم [illegible] أعلام الهدى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بعض المتأولين [illegible] ولا أكثر [illegible]

[illegible]

[illegible]

قال بعض [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)

[illegible] صحته الى التكاليف الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته فاني ادعوكم
الى الإقرار بالله أولاً ثم إني أدعوكم الى تنزيهه وتقديسه عما لا يليق به بقوله ليس
كمثله شيء وأمثاله ثم أدعوكم ثانياً الى الإقرار بكونه موصوفاً بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة
[illegible] ثالثاً الى الإقرار بكونه منزهاً عن الشركاء والأضداد ثم ادعوكم رابعاً الى الإعراض
عن عبادة هذه الأوثان التي هي جمادات خسيسة لا منفعة في عبادتها ولا مضرة في الإعراض عنها
ثم أدعوكم خامساً الى تعظيم الأرواح الطاهرة المقدسة وهم الملائكة والأنبياء ثم ادعوكم
سادساً الى الإقرار بالبعث والقيامة ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى ثم ادعوكم [illegible] سابعاً الى الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة فهذه الأصول
هي الأصول المعتبرة في دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبداية العقول وأول الأفكار ..
[illegible] بصحة هذه الأصول فثبت أني لست من المتكلفين في الشريعة التي ادعو الخلق اليها بل
كل [illegible] سليم وطبع مستقيم فانه شهد بصحتها وجلالها وبعدها عن الباطل والفساد وهو
[illegible] بقوله ﴿إن هو إلا ذكر﴾ أي ما القرآن إلا موعظة وتنبيه ﴿للعالمين﴾ أي الثقلين
[illegible] هذه المقدمات قال تعالى ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي ولتعلمن صحة خبر القرآن وانه الحق ...
﴿بعد حين﴾ أي عند الموت أو يوم القيامة وقال الحسين بن القاسم عليه السلام معنى بعد حين بعد
[illegible] قال الشاعر ؎ الا من لقلب يعرف الناس ما به ؎ ولا يرتجى منه السلو لحين ؎ وفي
[illegible] بعد الموت وقيل لو ظهر الأمر علموه والمعنى انكم ان اصررتم على الجهل والتقليد وابيتم قبول هذه
[illegible] التي ذكرناها فستعلمون بعد حين أنكم كنتم مصيبين في هذه الإعراض او مخطئين وذكر مثل هذه الكلمة
بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه في التخويف والترهيب والله أعلم ؎ تم الكتاب بمن الله العزيز
[illegible] الذي إليه المرجع والمآب وقت الظهر في اليوم الخامس والعشرين او السادس والعشرين من شهر ربيع
[illegible] سنة خمس وسبعين والف سنة وراقمه يطلب ممن اطلع عليه وقرأ فيه ان يدعو بما اقدر عليه
[illegible] واجره على الله سبحانه كتب الفقير الى الله الغني بعون سواده [illegible] محمد بن علي بن محمد الشرفي الهاشمي
[illegible] والزيدي مذهباً والعدلي اعتقاداً رزقه الله بفضله ورحمته ومنه وعفوه رضاه انه جواد كريم
[illegible] رحيم غني حكيم عليم حليم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين
[illegible]

كلمة أخيرة

لا يسعني إلا أن أرفع أيادي الحمد والشكر والاعتراف بالفضل لله سبحانه على توفيقه لإخراج هذه المجموعة الذهبية من تراث الزيدية المطمور.

ولا أدعي أنني قد جئت بما لم تستطعه الأوائل، ولكن حسبي أني قد بذلت وسعي، واستفرغت جهدي وطاقتي، فإن أوفق فذلك من فضل الله علي، وإن يكن غير ذلك فكما قال الأول:

ولكن عذري واضح وهو أنني　　　من الخلق أخطي تارة وأصيب

والحمد لله رب العالمين.

داعيا أبناء الزيدية إلى العمل الجاد لإخراج هذه الكنوز لترى النور، ففيها الخلاص والانعتاق من القيود الفكرية التي كبلت العقول. والعالم الحر ينتظرها بفارغ الصبر، ويتلقاها بالحفاوة والتقدير.

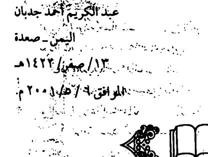
والله أسأل أن يغفر لي ولسائر المؤمنين، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

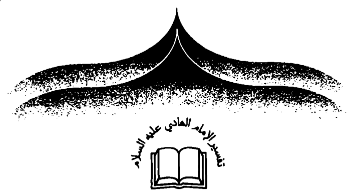
عبد الكريم أحمد جدبان

اليمن ـ صعدة

١٣/صفر/١٤٢٢هـ

الموافق ٦/٥/٢٠٠١م.





مقدمة المؤلف



مقدمة المؤلف

قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تراه عيون الناظرين، ولا يقع عليه فكر المتفكرين، ولا يستدل عليه أحد من المستدلين، إلا بما دل به على نفسه، وأوقفهم عليه سبحانه من صفته، من أنه الفعال لما يريد من الأشياء، وأنه المقتدر الفعال لما يشاء، فدل على نفسه بما أظهر من فطرته، وبيّن البراهين بذلك على ربوبيته، فليس له حد يُنال، ولا مثل يُضرب به له الأمثال، دائم أحد، حي فرد صمد، عزيز قيوم، لا تأخذه سنة ولانوم.

ونشهد أن لا إله إلا هو، وأنه فطر السماء فبناها، وسطح الأرض فدحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعا لخلقه، ورحمة لعباده، وأنه على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار، الصادقين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أرسله بالحق داعيا إلى الحق، وشاهدا على الخلق، فبلغ الرسائل الزاهرة، وأبان الحجج الباهرة، وسطع بالحق معلنا، وجاهد المشركين معلما، وأصلح لله في بلاده، ونصح جاهدا لعباده، صابرا مصطبرا، جاهدا محتسبا، حتى قبضه الله إليه وقد رضي عمله، وتقبل سعيه وشكر فعله، صلى الله عليه وعلى آله.

إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا إلى الأمة بكتاب ناطق، وأمر صادق، فيه شفاء للصدور، وكمال الفرائض والأمور، والهدى والتقوى، والرجوع عن الردى، والنجاة من المهالك، والسبيل إلى أفضل المسالك، ولايظمأ من ورد شرائعه، ولا يجوع من أكل سائغه، ولا يصم من سمع واعظه، ولا يعمى من أبصر سبيله، ولا يضل من اتبع نوره، ولا يغلط من استشهد ناطقه، ولا يهلك من اتبع بيانه، ولا يندم من استمسك بوثيق عروته، ولا يفلج إلا من احتج بمحكم حججه.

نور ساطع، وبرهان لامع، وحق قاطع، كتابا مفصلا، ونورا وهدى، قد ترجم الرسول، وأحكم فيه وثائق الأصول، وفرع فروعه بأحسن القول، فكان في حياته واضحا، وكان به صلَّى الله عليه وآله قائما ناصحا، حتى صار إلى ربه، وتركه من بعده في أمته، استأمن عليه من أمته خلفاءه من بريته، الذين اختارهم الله على علمه، واصطفاهم له دون جميع خليقته، عترة النبي ونسل الوصي، وسلالة المصطفى الطاهر الزكي، الطيب المرضي، الذين مدحهم الله في كتابه، وبيّن أنهم خيرته في قرءانه، فقال في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢][1]، ثم

---

(١) الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا .. ﴾[فاطر/٣٢-٣٣].
نزلت هذه الآية في أهل البيت عليهم السلام.
عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين، قال: إني لجالس عنده إذ جاءه رجلان من أهل العراق، فقالا: يابن رسول الله جئناك كي تخبرنا عن آيات من القرآن. فقال: وما هي؟ قالا: قول الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾. فقال: يا أهل العراق وأيش يقولون؟ قالا: يقولون: إنها نزلت في أمة محمد ﷺ. فقال علي بن الحسين: أمة محمد كلهم إذاً في الجنة. قال: فقلت من بين القوم: يابن رسول الله فيمن نزلت؟ فقال: نزلت والله فينا أهل البيت ـ ثلاث مرات ـ قلت: أخبرنا من فيكم الظالم لنفسه؟ قال: الذي استوت حسناته وسيئاته وهو في الجنة.
فقلت: والمقتصد؟ قال: العابد لله في بيته حتى يأتيه اليقين. فقلت: السابق بالخيرات؟ قال: من شهر سيفه، ودعا إلى سبيل ربه. الحسكاني في شواهد التنزيل ٢/ ١٠٤(٧٨٢).

قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٣٣] [١]، ثم أمر العباد بطاعتهم فقال سبحانه: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ

وروى عن زيد بن علي قال: (الظالم لنفسه) المختلط منا بالناس، (والمقتصد): العابد، (والسابق): الشاهر سيفه يدعو إلى سبيل ربه. الحسكاني ٢/ ١٠٤ (٧٨٣).

وعن علي عليه السلام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير هذه الآية؟ فقال: هم ذريتك وولدك. الحسكاني ٢/ ١٠٤ (٧٨٣).

ورواه فرات الكوفي في تفسيره ٢/ ٣٤٧ (٤٧٣) عن زيد بن علي، وعن محمد بن علي الباقر ٢/ ٣٤٨ (٤٧٤).

وأخرجه محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٢/ ١٦٤ (٦٤٣) عن زيد بن علي عليهما السلام.

(١) نزلت الآية في أهل البيت محمد ـ وعلي ـ وفاطمة ـ والحسن ـ والحسين عليهم السلام. وقد رواه أغلب المحدثين فممن رواه:

مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة في باب فضل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رقم (٤٤٥٠) بسنده عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝﴾).

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٧، والبيهقي في السنن ٢/ ١٤٩، وابن جرير في تفسيره ٢٢/ ٥ عن عائشة. وذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسير الآية. وقال أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن أبي حاتم، وذكره الزمخشري في الكشاف في تفسير آية المباهلة، وكذلك الفخر الرازي، وقال: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث.

وأخرجه الترمذي في السنن ٢/ ٢٠٩، بسنده عن عمر بن أبي سلمة، والطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٣٣٥، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ٢/ ١٢. وابن جرير في تفسيره ٢٢/ ٣١٩ عن أم سلمة. وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٠٦. وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٧، والمحب الطبري في الذخائر/ ٢١.

والترمذي ٢/ ٢٠٩ بسنده عن أنس. والطبري في تفسيره ٢٢/ ٥، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٨، وأحمد في المسند ٣/ ٢٥٢، والجزري في أسد الغابة ٥/ ٥٢١، والمتقي الهندي في كنز العمال ٧/ ١٠٣،

نقلا عن ابن أبي شيبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور وقال: أخرجه ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه. وابن جرير ٢٥/ ٧ بسنده عن حكيم بن سعد.

والحاكم في المستدرك ٢/ ٤١٦، عن أم سلمة، وأيضا في ٣/ ١٤٧، والبيهقي في السنن ٢/ ١٥٠، والطحاوي في المشكل ١/ ٣٣٤، ٣٤، والخطيب في تاريخه ٩/ ١٢٦، وابن جرير ٢٢/ ٧.

وأخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ورواه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٥/ ١٩٨، ١٩٩، قال وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت ...... الحديث.

ورد بألفاظ مختلفة، ومقامات متعددة، والمعنى واحد. فيها أن رسول ﷺ، صلى تسعة أشهر، وفي رواية ثمانية أشهر، وفي رواية ستة أشهر، يأتي كل يوم وقت صلاة الغداة، وفي رواية وقت كل صلاة بيت علي وفاطمة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأخرجه أيضا أحمد في المسند ١/ ٣٣٠ عن عمرو بن ميمون. و٤/ ١٠٧، عن شداد بن أبي عمار. و٦/ ٢٩٢ عن أم سلمة. و٦/ ٢٩٢، عن شهر بن حوشب.

والنسائي في الخصائص/ ٤. والبغدادي في تاريخه ١٠/ ٢٧٨ عن أبي سعيد.

والمحب الطبري في الرياض ٢/ ١٨٨. وابن عبد البر في الإستيعاب ٢/ ٥٩٨ عن أبي الحمراء.

وأبو داود الطيالسي في مسنده ٨/ ٢٧٤، وهو في كنز العمال ٧/ ٩٢.

والطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٨.

وفي مجمع الزوائد ٦/ ١٢١، ١٦، ٢٠٦، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢/ ١. رقم (٦٣٧- ٧٧٤).

ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١/ ١٣٢(٧٣)، ١/ ١٤٨(٨٣)، ١/ ١٥٧(٩٢)، ١/ ٤٠٦(٣٢٤)، ٢/ ١٩(٥٠٨)، ٢/ ١٢٤(٦١٠)، ٢/ ١٣٨(٦٢١)، ٢/ ١٧٤(٦٥٢).

والحبري في تفسيره/ ٢٩٧(٥٠) عن أم سلمة،/ ٢٩٩(٥١) عن شهر بن حوشب،/ ٣٠٠(٥٢) عن أم سلمة،/ ٣٠٢(٥٣) عن أم سلمة،/ ٣٠٤(٥٤) عن أم سلمة،/ ٣٠٦(٥٥) عن أبي سعيد الخدري،/ ٣٠٧(٥٦) عن ابن عباس/ ٣٠٩(٥٧) عن أبي الحمراء،/ ٣١٠(٥٨) عن أنس بن مالك،/ ٣١١(٥٩) عن أبي الحمراء.

وأخرجه فرات الكوفي في تفسيره ١/ ٣٣٢(٤٥١) عن شهر بن حوشب، (٤٥٢) عن أم سلمة، ١/ ٣٣٣(٤٥٣) عن أم سلمة، ١/ ٣٣٤(٤٥٤)عن أم سلمة، ١/ ٣٣٤(٤٥٥) عن أبي عبد الله الجولي، ١/ ٣٣٥(٤٥٦) عن شهر بن حوشب، ١/ ٣٣٦(٤٥٧) عن أم سلمة، ١/ ٣٣٦(٤٥٨) عن

وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩] [(١)]، ثم أمر نبيه صلَّى الله عليه وآله بافتراض محبتهم ومودتهم على الخلق، لما أراد من تثبيت ما أراد تثبيته فيهم من الحق، فقال سبحانه لنبيه أمرا منه له بذلك [(٢)]: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] [(٣)]، فجعل مودتهم فرضا على الخلق من ربهم، وحجة ودلالة

عمرة الهمدانية، ١/٣٣٧(٤٥٩) عن أم سلمة، ١/٣٣٧(٤٦٠) عن أبي جعفر الباقر، ١/٣٣٨(٤٦١) عن أبي سعيد الخدري، ١/٣٣٩(٤٦٢) عن أبي الحمراء، ١/٣٣٩(٤٦٣) عن جعفر الصادق، ١/ ٣٤٠ (٤٦٥) عن ابن عباس، ١/ ٣٤٠(٤٦٦) عن عمرو بن ميمون.

وفي تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٤ ٤٨٦ عند تفسير الآية أورد تسع روايات، عن أنس، وأبي الحمراء، وواثلة بن الأسقع، وأم سلمة بثمان طرق، وعائشة بطريقين، وأبي سعيد الخدري، وسعد، وزيد بن أرقم. وقد تركت ذكر الكثير ممن رواه خشية التطويل.

(١) أولي الأمر هم: أهل البيت. أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/ ١٨٩، ٢٠٢، وفرات الكوفي في تفسيره ١/١٠٨(١٠٤ ـ ١١٢)، والمفيد في أماليه/ ٣٤٩، والطوسي في أماليه: ١٢٢، ١٨٨، والكليني في الكافي ١/ ٢٨٦.

(٢) في (ج): بذلك فقال. لعلها زيادة.

(٣) نزلت في أهل البيت. أخرجه ابن جرير في تفسره ١٦/٢٥ عن سعيد بن جبير، وعن عمرو بن شعيب أيضا ١٧/٢٥.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن جابر ٣/ ٢٠١.

وأخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد، وابن مردويه، عن ابن عباس، وأبو نعيم، والديلمي عن مجاهد عن ابن عباس، وسعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير. وابن جرير، عن علي بن الحسين زين العابدين. الدر المنثور ٧/ ٣٤٧ – ٣٤٨.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٧٢، والقندوزي في ينابيع المودة (الباب ٥٨/ ٣٢٣ ٣٢٤) وقال: أخرجه الطبراني في الكبير، والأوسط، وأخرجه البزار.

وأخرجه الطبراني في الكبير١/ ١٢٦، ٣/ ١٥٥ ١٥٦، ورواه الكنجي في كفاية الطالب عنه، الباب(١١/ ٩١).

وأخرجه ابن المغازلي الشافعي في المناقب/ ٣٠٧ ـ ٣٥٢. والطبري في ذخائر العقبى/ ٢٥، ١٣٨، وقال: أخرجه الدولابي.

و الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٤٦عن أبي الطفيل.وقال أخرجه الطبراني،وأبو يعلى،والبزار، وأحمد.

منه على إمامتهم، فجعل من كان من آل رسول الله منتظماً لشروط الإمامة المعروفة، التي قد ذكرناها وشرحناها ووضعناها في أول كتاب الأحكام في الحلال والحرام[1]،

ورواه ابن حجر في الصواعق المحرقة/ ١٠١، وقال أخرجه البزار والطبراني.

وأخرجه السيد أبو طالب في الأمالي/ ١٢٠، والمرشد بالله في الأمالي ١/ ١٤٨. ورواه في أسد الغابة ٥/ ٣٦٧، والزمخشري في الكشاف عند تفسير الآية. والشبلنجي في نور الأبصار/ ١٠١، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢/ ١٣٠ ١٤٦ برقم (٨٢٢ ٨٤٤)، وأخرجه ابن عساكر ترجمة الإمام علي ٣/ ٤٣(١٨١). ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٩/ ٢٩، ورواه في تاريخ اصبهان ٢/ ١٦٥، ورواه الطوسي في أماليه برقم (٤٠) من المجلس (١٠)، ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ٧٥٤.

(١) قال الإمام الهادي عليه السلام: ... وأن الإمام من بعدهما من ذريتهما من سار بسيرتهما، وكان مثلهما، واحتذا بحذوهما فكان ورعاً تقياً، صحيحاً نقياً، وفي أمر الله سبحانه جاهداً، وفي حطام الدنيا زاهداً، وكان فهماً بما يحتاج إليه، عالماً بتفسر ما يرد عليه، شجاعاً كمياً، بذولا سخيا، رؤوفا بالرعية رحيما، متعطفا متحننا حليما، مواسيا لهم بنفسه، مشركاً لهم في أمره، غير مستأثر عليهم، ولا حاكم بغير حكم الله فيهم، قائما شاهرا لسيفه، داعيا إلى ربه، رافعا لرايته، مجتهدا في دعوته، مفرقا للدعاة في البلاد، غير مقصر في تألف العباد، مخيفاً للظالمين، ومؤمّناً للمؤمنين، لا يأمن الفاسقين ولا يأمنونه، بل يطلبهم ويطلبونه، قد باينهم وباينوه، وناصبهم وناصبوه، فهم له خائفون، وعلى إهلاكه جاهدون، يبغيهم الغوائل، ويدعو إلى جهادهم القبائل، متشردا عنهم، خائفا منهم، لا يردعه عن أمر الله رادع ولا تهوله الأخواف، ولا يمنعه عن الجهاد عليهم كثرة الإرجاف، شمري مشمر، مجتهد غير مقصر.

فمن كان كذلك من ذرية السبطين الحسن والحسين، فهو الإمام المفترضة طاعته، الواجبة على الأمة نصرته، ومن قصر عن ذلك ولم ينصف نفسه لله، ويشهر سيفه له، ويباين اللظالمين ويباينوه، ويبين أمره، ويرفع رايته، ليكمل الحجة لربه على جميع بريته، بما يظهر لهم من حسن سيرته، وطاهر ما يبدو لهم من سريرته، فتجب طاعته على الأمة والمهاجرة إليه والمصابرة معه ولديه، فمن فعل ذلك من الأمة معه من بعد أن قد أبان لهم صاحبهم نفسه، وقصد ربه وشهر سيفه، وشكف بالمباينة للظالمين رأسه، فقد أدى إلى الله فرضه، ومن قصر في ذلك كانت الحجة عليه لله قائمة ساطعة منيرة بينة قاطعة، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال:٤٢]. مثل من قام من ذريتهما من الأئمة الطاهرين، الصابرين لله المحتسبين.

مثل زيد بن علي رضي الله عنه إمام المتقين، والقائم بحجة رب العالمين.

ومثل يحيى ابنه المحتذي بفعله، ومثل محمد بن عبد الله، وإبراهيم أخيه المجتهدين لله، المصممين في أمر الله، الذين لم تأخذهما في الله لومة لائم، للاذين مضيا قدما قدما، صابرين محتسبين، وقد مثل باباتها وعمومتها أقبح المثل، وقتلوا أفحش القتل، فما ردعهما ذلك عن إقامة أمر خالقهما والإجتهاد في رضا ربهما، فصلوات الله على أرواح تلك المشايخ وبركاته، فلقد صبروا لله واحتسبوا وما وهنوا ولا جزعوا، بل كانوا كما قال الله وذكر عمن مضى من آبائهم، حين يقول: ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

ومثل الحسين بن علي الفخي، الشهيد المُحرم المجرد لله سبحانه، المصمم الباذل نفسه لله في عصابة قليلة من المؤمنين، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويضربون ويضربون، حتى لقوا الله على ذلك وقد رضي عنهم، وقبل فعلهم منهم، فرحمة الله وبركاته عليهم.

ويحيى بن عبد الله ابن الحسن القائم لله، المحتسب الصابر لله على الشدة والغضب، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل القائم بحجة الله، الجليل الداعي إلى الحق، والناهي عن الفسق، المتفرد لله، الصابر له في كل أمره، الحاكم في كل الأمور بحقه.

ومثل القاسم بن إبراهيم الفاضل، العالم الكريم، المجرد لسيفه، المصمم الباذل لنفسه، المباين للظالمين، الداعي إلى الحق المبين، صلوات الله عليهم أجمعين ورحمته وبركاته، فمن كان كذلك من ذرية الحسن والحسين، فهو إمام لجميع المسلمين، لا يسعهم عصيانه، ولا يحل لهم خذلانه، بل يجب عليهم طاعته وموالاته، ويعذب ال له من خذله، ويثيب من نصره، ويتولى من تولاه، ويعادي من عاداه.

فأما من عبث بنفسه وتمنى، وأقام في أهله وولده وتلهى، وساير الظالمين وداجاهم، وقضوا حوائجه، وقضى حوائجهم، وعاشروه وعاشرهم، وأمنوه وأمنهم، وكفوا عنه وكف عنهم، وغمد سيفه وطوى رايته، وستر منهم نفسه، وموّه على الجهال، وأهل الغفلة من الضُّلال، وادعى الإمامة، ووهمهم أنه يريد القيام، وهو عند الله من القاعدين النيام، ذوي الفترة والوناء، طلاب الراحة والرخاء، وهو يظهر للرعية ويعرض لهم، ويدخل قلوبهم أنه قائم غير قاعد، وأنه مباين للظالمين مجاهد، يوهمهم ذلك ويعرض لهم أنه كذلك، ليحتلب من دَرّهم حلبا وخيما دويا، ويأكل بذلك من أموالهم حراما دنيا، قد لبَّس عليهم أمورهم بتمويهه عليهم، وقعد لهم بطريق رشدهم، يصدهم بتمويهه عن ربهم، ويمنعهم بتلبيسه عليهم من أداء فرضهم، والقيام بما يجب لخالقهم، فهو دائب في التحيل لأكل أموالهم بما يلبِّس عليهم من أحوالهم، وتمويهه لجاهلهم أنه قائم غير قاعد، وأنه أحد يوميه ناهض على الظالمين مجاهد، والله يعلم من سرائره وباطن أمره غير ما يوهم الجاهلين، ويكتبه

إماما للأمة، وعلما للمحجة، ودليلا على أبواب النجاة، وسببا إلى الجنان، ووصلة بين العباد وبين الرحمن، قلده علم كتابه، وأمره بشرحه وبيانه، ليبين بها يظهر فيه من حكمته، ويلقيه في قلبه من معرفته، ونطق به لسانه في تبيين حجته، ويعقد [1] له بذلك في رقاب المؤمنين عهوده المؤكدات، ويثبت في رقابهم له عقود الإمارات، وليجعل مايوفقه له ويكرمه به من تفهيمه إياه، ويدله به على [2] علم غامض آياته المتشابهات، ويوقفه عليه من فهم حكمه الذي قد بينه في الأمهات المحكمات، دليلا

بذلك عنده أنه من الصادين عن سبيله، الذين يبغونها عوجا، فهو يهلك نفسه عند ربه بفعله وفعل غيره، ويفرق عن الحق والمحقين الأنام، ويجمع بذلك عليه الآثام، ويمكن بذلك دعوة الظالمين، ويقيم عمد ملك الفاسقين، ويوهن دعوة الحق والمحقين بما يموه به على الجاهلين للترؤس عليهم، ولأكل أوساخ أيديهم، يأكل سحتا تافها حراما، ويجترم العظائم بالصد عن الله العظيم اجتراما، يفرق كلمة المؤمنين ويشتت رأي المسلمين، ولا يألوا الحق خبالا، يتأول في ذلك التأويلات ويتقحم على الله فيه بالقحمات ضميره إذا رجع إلى نفسه، وناقشها في كل فعله، وأوقفها على خفي سره، مخالف لظاهره وفعاله في باطنه فغير ما يبديه الناس في ظاهره، يخادع الله والذين آمنوا وما يخادع إلا نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٩-١٠]، كأن لم يسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣﴾ [الملك:١٣]، فهو يمكر بالله وبالمؤمنين، والله يمكر به وهو خير الماكرين. فهو في بلية من نفسه، من تحيله لديناره ودرهمه، والإستدامة لما هو فيه من تافه نعمته، يلبس الحرير والديباج والقز، ويلتحف ويفترش السَّمُّور والفنك والخز، لا يرتمض في أمور الله، ولا يصلح شأن عباد الله، فأين من كان كذلك فقط من الإمامة. كلا لعمره إنه عنها لبعيد مجنب، ومنها غير دان ولا مقرب، وإن لعب بنفسه، وخدع من كان من شكله بزخرف قوله وكذبه واجترائه على الله، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩]، فلعمري إن من كان كذلك فقط لبعيد عما يدعي ويتنحل عما لم يجعله الله له أهلا، ولم يشرع له إليه سبيلا. الأحكام ١/ ٤١ – ٤٥.

(١) في (أ) و (ج): ويعتقد. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في (ج): عن.

على عقده له الإمامة على العالمين، وإيجاب الطاعة له في رقاب المخلوقين.

ويكون ذلك حجة له على الخلق وعلامات، ودليلا على ما أعطاه الله من الكرامات، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

فرأينا عندما خصنا الله به وأعطانا، وفضلنا به على أهل دهرنا وأولانا، أن ننشر فضائل الحكمة التي أوليناها، وأن نبين علامة الإمامة التي أعطيناها، لنخلع الحجة من رقابنا، ونثبتها لله على غيرنا، بما يظهر مما أمرنا الله بإظهاره من شرح غامض الكتاب، وتبيين تفسيره من كل الأسباب، حتى نبين بذلك الحق المبين، ونثبت فيه الصدق اليقين، وننفي عنه تأويل الفاسقين، ونميط عنه تفسير الجاهلين، الذين حملوا تأويله على غير تنزيله، وحكموا على محكمه بمتشابهه، وردوا معاني الآيات المحكمات المبيِّنات، من الآيات اللواتي هن الأمهات على معاني غيرهن من المتشابهات، واستشهدوا المتشابه على المحكم، فأهلكوا بذلك جميع الأمم، شبهوا في تأويلهم وتفسيرهم ربهم بخلقه، فأبطلوا ما نفاه مِن بُعد الشَّبه لهم عن نفسه، فمثلوه تمثيلا، ونقلوه في الصور تنقيلا، وجعلوه بذلك صورة مصورة، محدودة عندهم غير مقدرة، فعبدوا ما وصفوا، ودانوا لهذه الصورة التي ذكروا، فكانوا بالله غير عارفين، ولا مقرين ولا مثبتين، بل كانوا عنه عاندين [1]، وبه في كل الأمور جاهلين، فلما أن جهلوه لم يعبدوه؛ لأنهم عبدوا مجعولا مقدرا، ومعبودا عندهم مصورا.

والله فليس هو كذلك، إذ المعبود الذي هو عندهم كذلك، فكانت عبادتهم لغير الرحمن، وطاعتهم لغير ذي الجلال والسلطان، بل كانوا لله منكرين، وبه غير مقرين.

---

(١) في (ج): عابدين. مصحفة.

فابتدأنا بشرح ما نريد بيانه من تفسير القرآن، الذي نزله ذو القوة والبرهان، من حيث أفضى إليه تفسير شيخينا رحمة الله عليهما ورضوانه، جدي وعمي، وهو من أول سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝﴾، وذلك أن جدي صلوات الله عليه بلغ من تفسيره إلى آخر ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝﴾. ومحمد بن القاسم عمي من عند ذلك إلى آخر ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾. فرأينا البناء على أساسهما، وإتمام ماقد كانا أمّلاه من شرح القرآن وتفسيره، وبلوغ الغاية في شرح تأويله، إن أخرني الله سبحانه لذلك وأمهلني، وبلغني فيه أمنيتي، ولم يمنعني من ابتدائه من أوله وتفسيره من أول حرف منه، إلا التبارك بذكرهما، والبناء على تفسيرهما، صلة مني لهما بذلك، وتقربا إلى الله بأن أكون كذلك، لما لهما في ذلك من الأجر، وما يكسبهما ذلك إن شاء الله من الفخر، في الدنيا والآخرة والذكر؛ لأن يشركهما الله عز وجل وجل في صالح مانضع من ذكر الحق، ونبين من براهين الصدق، التي نهدي بها المسلمين، وننقذ بها جميع المخلوقين، ممن يستحق من الله الهدى، ويستوجب منه المعونة على التقوى.

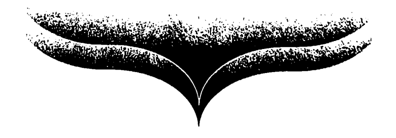
فابتدأت من حيث بلغا مستعينا بالله متوكلا عليه، سائلا له العون في كل أمر من هذا وغيره، فنسأل الله أن يبلغنا في ذلك أملنا، وأن يعظم عليه أجرنا، وحسبي الله فنعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي القدير.





تفسير

سورة الفاتحة



سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله سلم تسليما)[١].

١) وسألت أرشد الله أمرك، ووفق لقصد الحق طريقك، عن [٢] تفسير سورة الحمد؟ وقد كنت سألت عنها أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وسأله بعض أصحابكم أيضا؟

فقال: معنى قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ فهو: بسم الله يبدأ كل شيء.

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ فهو: ذو الرحمة [٣] والإحسان.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو: ذو التعطف بالرحمة والامتنان.

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ معنى ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ [٤] فهو: الشكر لله على نعمه وإحسانه، والتمجيد لله والثناء عليه سبحانه [٥].

﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝﴾ فمعنى ﴿رَبِّ﴾ فهو: سيد العالمين. والعالمون فهم: الخلق أجمعون من إنس وجن [٦].

---

(١) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٢) في (ب): وسألت أرشدك الله عن ...

(٣) في (ب)، (ج): ذو البر.

(٤) سقط من (أ): معنى الحمد. وفي (ج): معنى قول الحمد.

(٥) في (ب)، (ج): والتحميد. وسقط من (أ): سبحانه.

(٦) في (أ)، (ج): إنسي وجني.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ فقد تقدم[١] تفسيرهما.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ معنى ﴿مَٰلِكِ﴾ فهو: مالك أمر يوم الدين، الذي[٢] لا ينفذ أمر في ذلك اليوم غير أمره، ولا يمضي فيه حكم غير حكمه، ويوم الدين فهو: يوم الجزاء والحساب[٣]، والثواب والعقاب، وإنما سمي الدين لما يدان العالمون فيه، ومعنى يدان فهو: يجازى.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ معناها: أنت معبودنا لا غيرك.

ومعنى ﴿نَعۡبُدُ﴾ فهو: نطيع ونتعبد.

﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ معناها: إياك نسأل العون على أمرنا، والتوفيق لما يرضيك عنا.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ فمعنى[٤] ﴿ٱهۡدِنَا﴾ فهو: وفقنا وأرشدنا للصراط المستقيم.

و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فهو: الطريق إلى الطاعة، ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فهو[٥]: الحق الذي افترضه.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، يقول: طريق من أنعمت عليه من عبادك الصالحين، الذين وفقتهم وهديتهم لرشدهم.

---

(١) في (ب): قد.
(٢) سقط من (أ): الذي.
(٣) سقط من (ب)، (ج): والحساب.
(٤) في (ب)، (ج): معنى.
(٥) في (أ): وهو.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، يقول [1]: اهدنا صراطا غير صراط الذين غضبت عليهم.

و﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في هذا الموضع فهم: اليهود.

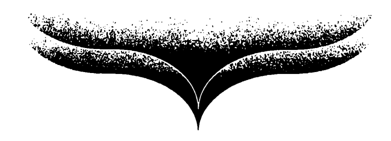
﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾، يقول: ولا صراط الضالين، أي: اهدنا صراطا غير صراط الضالين. والضالون فهم في هذا الموضع: النصارى.



(١) في (أ)، (ج): ويقول. ولعل الصواب حذف الواو.



تفسير
سورة البقرة



ومن سورة البقرة

قال أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل:

٢) وسألت إمام المسلمين في عصره يحيى، بن الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم، بن إسماعيل، بن إبراهيم، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب، عليه وعلى آبائه السلام، عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤]، كيف كان السجود من الملائكة صلوات الله عليهم؟

فقال: معنى قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ إنما أراد بذلك السجود من أجل آدم تعظيما لخالقه، إذ خلقه من أضعف الأشياء وأقلها عنده، وهو الطين، فجاز أن يقال: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ لما أن كان السجود من أجل خلقه، وقوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فإنما جاز أن يجعل معهم إبليس في الأمر وإن لم يكن من جنسهم، إذ كان حاضرا لأمر الله لهم، فأمره بالسجود معهم، وإن لم يكن جنسه من جنسهم، لأن الملائكة صلوات الله عليهم [1] إنما خلقوا من الريح والهواء، وخلقت الجن كلها من مارج النار، ومارج النار فهو: الذي ينقطع منها عند توقدها وتأججها.

٣) قلت: فما الدليل على أن إبليس من الجن؟

فقال: قول الله جل ذكره: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[الكهف:٥٠].

---

(١) سقط من (أ): لأن الملائكة صلوات الله.

٤) قلت: فهل أمرت الجن كلها بالسجود، أم خص الله إبليس بذلك دونهم؟

قال: لم يأمر الله سبحانه أحدا منهم إلا إبليس، فقد أمره الله بالسجود دونهم.

٥) قلت: أفمخصوصا كان بذلك دونهم؟

قال: نعم كان مخصوصا بالأمر.

٦) قلت: فعصيان آدم صلوات الله عليه في أكل الشجرة، كيف كان ذلك منه تعمدا أم نسيانا؟

فقال: قد أعلمك الله ذلك [1] في كتابه في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥]، يقول: لم نجد له عزما على أكلها واعتمادها بعينها.

ولكن سلني فقل لي: فإذا كان آدم في أكل الشجرة ناسيا كيف وجبت عليه العقوبة؟ وقد أجمعت الأمة على أنه إذا نسي الرجل فشرب ماء في رمضان وهو ناسٍ، أو أكل وهو ناسٍ، أو ترك صلاته [2] حتى يخرج وقتها وهو ناسٍ، أو جامع الرجل مَرَتَه [3] في طمثها وهو ناسٍ، لم يجب عليه في ذلك عقوبة عند الله.

فكيف يجب على آدم صلوات الله عليه العقوبة، في أكل الشجرة ناسيا؟! فإن سألتني عن ذلك؟

---

(١) في (ب): قد أعلم الله في كتابه بقوله.

(٢) في (ب): صلاة.

(٣) في (ب): مرءته.

قلت لك: إنما عوقب [١] آدم صلى الله عليه في استعجاله في أكل الشجرة، وذلك أن الله تبارك وتعالى لما [٢] نهاه عن أكل الشجرة وهي البر، وأمره بأكل [٣] الشعير ولم يحظره عليه، فكان يأكل من شجرة الشعير، وهي ورق لم تحمل ثمرا، فلما أن صار فيها الحب والثمر اشتكل عليه أمرهما، فلم يدر أيهما نُهِيَ عنها، فأتاه اللعين إبليس فخدعه وغره، وقاسمه على ما ذكر الله في كتابه، فقال [٤]: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠]، فاستعجل آدم فأكل من هذه [٥] الشجرة ولم ينتظر الوحي في ذلك من عند الله، فعوقب لاستعجاله، وقلة صبره لانتظار أمر ربه.

٧) قلت فكيف كان كلام إبليس وخدعه إياه، هل كان تَصَوَّر له جسما ورءاه عيانا؟

قال: لا [٦]، إنما سمع آدم كلامه ولم يره جسما، وقد رُويت في ذلك روايات [٧]، كَذَّبَ فيها مَن رواها !! وكيف يقدر مخلوق أن يخلق نفسه على غير مُرَكَّب خلقه وفطرة جاعله؟!! هذا ما لا يثبت ولا يصح عند من عقل وعرف الحق.

---

(١) في (أ): عوتب.
(٢) سقط من (ب): لما.
(٣) سقط من (ب): بأكل.
(٤) في (ب): حيث قال.
(٥) سقط من (ب): هذه.
(٦) سقط من (ب): لا.
(٧) أخرج ابن جرير، عن محمد بن قيس قال: نهى الله آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية، فكلم حواء ووسوس إلى آدم، فقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين. الدر المنثور ٤٢٨/٣ – ٤٢٩.

٨) قلت فقد كان النبي[1] محمد صلى الله عليه وآله وسلم يخاطب [2] جبريل ويعاينه، على عظيم خلقه، وجسيم مركبه؟

فقال [3]: إنما كان جبريل عليه السلام ينزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم في صورة لطيفة، يقدر على رؤيتها وعيانها، وقد صح عندنا أن النبي محمدا عليه السلام رأى جبريل في صورة دحية الكلبي، وإنما ذلك خلقٌ أحدثه الله فيه، وركبه عليه، لما علم من ضعف البشر، وأنهم لا يقدرون على النظر إلى خلق الملائكة، لعظيم خلقهم، وجسيم مركبهم، فلما علم الله تبارك وتعالى من محمد عليه السلام ذلك، ولم يكن جبريل عليه السلام يقدر على تحويل صورته ومركبه من حال إلى حال، لضعف المخلوقين، وعجزهم عن ذلك، نقله الله سبحانه على الحالة التي رآه محمد عليه السلام فيها، نظرا منه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وما فعله الله فليس من فعل [4] خلقه، فلك في هذا كفاية إن شاء الله [5].

٩) قلت فهل كان آدم صلوات [6] الله عليه طمع في الخلد، لما قاسمه إبليس على النصح؟

قال: إنما كان ذلك منه صلى الله عليه طمعا أن يبقى لعبادة الله وطاعته، فأراد أن يزداد بذلك قربة من ربه.

---

(١) سقط من (ب): النبي.
(٢) في (أ): خاطب جبريل وعاتبه.
(٣) في (ب): قال.
(٤) في (ب): قبل.
(٥) سقط من (ب): فلك في هذا كفاية إن شاء الله.
(٦) في (ب): صلى.

١٠) قلت فما معنى قوله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ [طه:١٢١]؟

قال: معنى قوله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ فهو: سوء فعلهما، لا كما يقول من جهل العلم وقال بالمحال، إن الله [١] تبارك وتعالى كشف عورة نبيه وهتكه، وكيف يجوز ذلك على الله في أنبيائه؟! والله لا يحب أن يكشف عورة كافر به [٢]! فكيف يكشف عورة نبيه؟!!

١١) قلت: فقوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف:٢٧]؟

فقال: قد اختلف [٣] في ذلك ورويت فيه روايات [٤]، وأصح ما في ذلك عندنا، والذي بلغنا عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أن لباسهما هو لباس التقوى والإيمان، لا ما يقول الجاهلون إنه لباس ثياب، أو ورق من ورق الشجر [٥]، فهذا معنى قوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، وإنما أراد بذلك من قوله: ﴿لِبَاسَهُمَا﴾ أي: لباس التقوى، بما سَوَّف ووسوس لهما من الكذب والمقسامة التي سمعاها [٦].

١٢) قلت: فقوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٢، طه:١٢١]؟

فقال: إنما كانا في الجنة في ظلها وتحت أشجارها، فلما أُخرجا [٧] منها وأصابتهما

---

(١) في (ب): إنه تبارك.

(٢) سقط من (ب): به.

(٣) في (أ): اختلفت.

(٤) أخرج عبد بن حميد، عن ابن منبه ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ قال: النور.
وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن زيد في قوله: ﴿ وقبيله﴾: قال: نسله. الدر المنثور ٣/ ٤٣٦.

(٥) في (ب): الشجرة.

(٦) في (أ): والمقسامة التي سمعتها.

(٧) في (ب): خرجا.

الشمس بحرها، ورمض الأرض، فأرادا أن يجعلا لهما موضعا يكون لهما فيه ظلال، كما يفعله من يخرج من منزله وبلده في سفره إلى غيره من البوادي وغيرها، فلا يجد ظلا ولا مسكنا، ولا يجد بدا من أن يعرش عريشا يكنه ويستره من الحر، ويقيه شدة البرد، فهذا معنى قوله: ﴿يَخْصِفَانِ﴾.

١٣) قلت فالجنة التي كانا فيها أفي السماء كانت أم [١] في الأرض؟

قال: هي جنة من جنان الدنيا، والعرب تسمي ما كان ذا ثمار وأنهار: جنة (كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [الأنعام:٩٩، الرعد:٤]، وقوله: ﴿فَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الكهف:٣٥])[٢].

١٤) قلت فقوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]؟

قال: ذلك جائز في لغة العرب، ألا ترى أنك تقول هبطنا نجران، وهبطنا [٣] من اليمن، ونريد أن نهبط إلى الحجاز، فلما أن كان ذلك معروفا في اللغة، جاز أن يقال: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾.

١٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٣٧]، ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه؟

قال: قد اختلفت فيها [٤]، والصحيح عندنا أن الكلمات هو: ما كان الله تبارك

---

(١) في (أ): في السماء كانت أو.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (أ): نجران وهبطنا.

(٤) أخرج الطبراني في المعجم الصغير، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي كلاهما في الدلائل، وابن عساكر، عن عمر بن الخطاب قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما أذنب آدم الذنب الذي

وتعالى قد أعلمه بخلق من سيخلقه من ذرية آدم ونسله، وأنه سيكون منهم مطيع ويكون منهم عاصي باختيارهم، وأنه سبحانه يقبل التوبة من تائبهم، إذا تاب وأصلح وأخلص التوبة وراجع، فلما كان منه ما كان [1] من أكل الشجرة، ذكر [2] ما كان الله قد أعلمه من القبول للتوبة، فـ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، فهذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه صلوات الله عليه [3].

أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد ألا غفرت لي؟ فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك. لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فعلمت أنه ليس أحد اعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسم. فأوحى الله إليه: يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك، ولولا هو ما خلقتك».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في التوبة،وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قال: أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: أي رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى. قال: أي رب ألم تسبق إلي رحمتك قبل غضبك؟ قال: بلى. قال: أي رب أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم. الدر المنثور ١/ ١٤٢ - ١٤٣.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان، عن قتادة في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قال: ذكر لنا أنه قال: يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت؟ قال: فإني إذن أرجعك إلى الجنة، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فاستغفر آدم ربه وتاب إليه فتاب عليه. وأما عدو الله إبليس فوالله ما تنصل من ذنبه، ولا سأل التوبة حين وقع بما وقع به، ولكنه سأل النظرة إلى يوم الدين، فأعطى الله كل واحد منهما ما سأل.

وأخرج الثعلبي من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قال: قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الدر المنثور ١/ ١٤٤.

(١) سقط من (أ): ما كان.

(٢) في (أ): وذكر.

(٣) سقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

١٦)وسألته عن قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠]؟

قال: أراد بذلك صلى الله عليه: أرني آية أزدد [1] بها علما وبصيرة، وأعرف سرعة الإجابة لي منك، حتى يثبت ذلك عندي، ويقر في قلبي معرفة ذلك، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير، وأن يجعل على كل جبل منها جزأً، ثم أمره يدعهن، ليريه عجيب قدرته، وشواهد حكمته، ما يزداد به معرفة في دينه، ويثبت عنه علم ما سأل عنه من آية ربه، فأراه الله ذلك، فازداد به بصيرة وإيقانا، ومعرفة وتبيانا.

١٧)وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧].

قال هو: الزوج، وليس كما يقول الجهال من هذه العوام: أنه الأب.

قلت: فإن قال لنا قائل: ما الدليل على أن الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح دون الأب والإخوة وبني العم؟

قال: لأن العقدة لا تكون إلا في يد من يحلها، إذا أراد أن يطلق طلق، وإن أحب أن يمسك أمسك.

ألا ترى أن الأب لو كره شيئا من الزوج، فأراد أن يحل عقدة نكاحه، لم يجز له ذلك، ولم يقدر عليه، ولم يمكنه إلا برضاء الزوج، ولو كره الزوج شيئا من خلائق المرأة، ثم أراد أن يطلق جاز له ذلك، دون الأب وغيره؟!

قلت: بلى.

---

(١) في (أ) و (ج): أزداد. ولعل الصواب ما أثبت.

قال: فذلك ثبّت ما قلنا، وأبطل [١] قول غيرنا.

قلت: فأين قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت ومالك لأبيك»[٢]؟

قال: هذا معنى جعله الله ورسوله، تعظيماً وتوقيراً وإجلالاً، وتفضيلا للأب على ولده، أزال به عنه إقامة الحد.

ألا ترى أن رجلاً لو سرق شيئا من مال ابنه، مما يجب في مثله القطع على أخذه، لم يجب عليه فيه قطع بإجماع الأمة كلها، فعلى هذا المعنى يخرج قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت ومالك لأبيك».

قلت: فإن قال قائل: فقد رأينا الأب يجوز له أن يعقد نكاح ابنته إذا كانت صغيرة في حجره، ويدخل بها زوجها؟

قال: العقد للنكاح خلاف عقدة النكاح، وبينهما فرق في القول والمعنى.

ألا ترى أن الأب لو باع شيئا من مال وُلد له صغار أو كبار، ثم أراد أحدهم أن يرجع فيه عند بلوغه، أليس ذلك له؟

قلت: لا أدري.

قال: بلى، له الاختيار عند بلوغه، فكذلك لا يجوز له ولا يمكنه العفو عن شيء لا يملكه، والعفو فهو: إلى الزوج، إما أن يعفو فيدفع الفريضة التي فرض على نفسه لها، وإما أن تعفو هي عن النصف الذي أوجب الله لها، فهذا معنى العفو الذي ذكر الله، وفي ما ذكرنا كفاية، ولو جاز أن يكون قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) في (أ): ويطل. وما أثبت اجتهاد.

(٢) أخرجه أبو داود ٣/ ٢٨٨(٣٥٢٨)، والترمذي ٣/ ٦٣٩(١٣٥٨)، والنسائي في المجتبى ٧/ ٢٤٠(٤٤٤٩)، وابن ماجة ٢/ ٧٢٣(٢١٣٧)، وأحمد ٢/ ٢٠٤(٦٩٠٢).

«أنت ومالك لأبيك»، لأن ما في الحكم لمّا كان للزوج ولا للولد شيء من الميراث مع الأب، إذا هلكت ابنته أو ابنه، ولكان يجوز له حينئذ أخذ جميع ما ترك ولده، فلما أن كان هذا الميراث غير جائز له، ثبت وصح أن ولي العقدة هو الزوج، وبطل قول من قال: إن الأب ولي العقدة.

١٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]؟

قال: معنى قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ هو: في التخفيف والرحمة والحكم، فأما على معنى الإبطال لها، فلا يجوز لأحد أن يقول ذلك، ولو أن أحداً أنكر من القرآن آية، لوجب عليه أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

١٩)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]؟

معنى ذلك [١]: أن الله تبارك وتعالى أخبر عن قسوة قلوبهم، وقلة رجوعه [٢] إلى الحق، حتى إنها في ذلك أشد قسوة من الحجارة، لو كان من الحجارة من الفهم والتمييز ما في قلوبهم.

ثم أخبر أن من الحجارة ما يشقق فيخرج منه الماء، وليس في قلوب هؤلاء المشركين قلب يلين إلى شيء من الحق، فالحجارة [٣] يعمل فيها الماء حتى يشققها ويفلقها، ويخرج الماء منها، وقلوبهم لا تعمل فيها الفكرة، ولا العظة [٤] ولا

---

(١) في (أ): الجواب في ذلك.

(٢) في (أ): رجوعها.

(٣) سقط من (ب): من الحق. وفي (ب): إلى شيء والحجارة.

(٤) في (أ): العظمة.

التذكرة، ولا التخويف ولا الترغيب، فهي على ما يعمل فيها من التذكير، والوعظ والتخويف، أقسا وأشد من الحجارة، على ما يعمل فيها الماء الخارج منها، المشقِّق لها.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لو كان فيها من العقل والتمييز والفهم، لما يراد منها ما فيكم هبطت من خشية الله [1]، وهبوطها فهو: تهدمها وتقطعها[2] وسقوطها، وأنتم فيكم من ذلك ما قد جعل، وليس يصدكم عن معاصي الله، ولا يردكم إلى طاعة الله [3].

٢٠) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]؟

فإبليس لعنه الله أُمر بالسجود، كما أمرت الملائكة فأطاعت وسجدت، وكفر واستكبر على آدم صلى الله عليه، والسجود فإنما كان لله عز وجل لا لآدم، وإنما قال ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ أي: من أجل آدم، وما أظهرت فيه من عجائب الصنع والتدبير، وعظيم الفعل والتقدير.

٢١) وسألت أرشدك الله عن قول الله سبحانه: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٢٢] فقلت: أي موضع أمر أن يؤتين فيه؟

وهو أعانك الله أقبالهن [4] لا أدبارهن، لأن الله سبحانه يقول: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، والحرث الذي أمر الله عز وجل

---

(١) سقط من (أ): الله.
(٢) في (أ): وتقلعها.
(٣) في (ب): الطاعة.
(٤) في (أ): لأقبالهن.

بإتيانه فهو: حيث يكون النسل والمزدرع من النساء [١]، ألا تسمع كيف يقول الله الواحد العلي الأعلى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، يدل بقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ على أن فيهن موضعا عنه نهاكم، ولو لم يكن فيهن موضع [٢] نُهي عنه المأمورون، لما جاز أن يقول: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، إذ هن في كل [٣] ذلك مطلقات، ففي ذلك دلالة شافية، مبينة لما قلنا به والحمد لله كافية، مع ما جاء عن الرسول في ذلك من الأحاديث المؤكدة، المكررة [٤] في النهي عن الأدبار المشدَّدة، من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إتيان النساء في أعجازهن كفر» [٥].

٢٢) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨] فقلت: ما القروء، ومتى أول الثلاثة، ومتى آخرها؟

فالقروء هو المحيض والدم نفسه، لا شيء في المعنى غيره، وإنما سمي قروءا لما تقري المرأة في خرقها منه وتجمع، وكل ما جمع فاجتمع فقد قُرِي فيما يجتمع فيه من خرق أو كرسف، أو إناء أو حوض، أو غير ذلك من الأوعية والأشياء.

ألا ترى أن العرب تقول للمسافر: اقر في الحوض ولا تني، تريد: اجمع الماء ولا تهرقه، واقره في حوضك [٦] ولا تفرقه.

---

(١) سقط من (أ): من النساء.

(٢) في (أ): موضعا.

(٣) سقط من (أ): كل.

(٤) في (أ): المكررة المذكورة.

(٥) رواه الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام ١/ ٤١٠، وأخرجه الترمذي برقم (١٣٥)، وابن ماجة (٦٣٩)، وأحمد ٢/٤٠٨، ٤٧٦، وأبو داود (٣٩٠٤)، والدارمي ١/ ٢٥٩، بلفظ: من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا، فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه سلم.

(٦) في (أ): حوضه.

قال عمرو بن كلثوم:

تريك وقد دخلتَ على خلاء ... وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل أدماء بكر ... هجان اللون لم تقرأ جنينا [١]

أي: لم تضم رحمها على ولد.

وأما أول الأقراء المأمور بها، لمن طلق بها على العدة من النساء، فأول دم تراه من بعد ذلك الطهر الذي طلقها فيه وعلى وجهه بعلها، فأما من طلق منهن حائضا، فإنها لا تعتد بتلك الحيضة في الأقراء، وتبتدأ من بعد ما يأتي بعد تلك من أقرائها، حتى تأتي على ما ذكر من عدتها، وهو عند كمال الثلاثة من حيضها، واغتسالها بالماء وطهرها، ثم هي من بعد ذلك أولى بنفسها.

٢٣) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ...﴾ [البقرة:٨٤] إلى آخر الآيات؟

فقال: نزلت في اليهود، وذلك أن بني القينقاع كانوا حلفاء مع الخزرج، وكان بنوا النظير وقريضة حلفاء للأوس، وكان كلٌّ يقاتل مع حلفائه، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدت اليهود ما في أيدي الأنصار من أُساراها [٢]، وكان في التوراة واجبا فرضا [٣] عليهم أن يفتدوا أساراهم حيث كانوا، وأن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرجه من دياره، فقبلوا بعض الفرض من الافتداء، وسفكوا الدماء

(١) من معلقة عمرو. انظر الديوان. وسقط البيتان من (أ).
(٢) في (أ): أسارى.
(٣) في (أ): واجب فرض.

وأخرجوا من الديار. فأنزل الله سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥][(1)].

٢٤) و[سألت] عن قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥]؟

يريد: بما قدمت أيديهم من كفرهم بك، وجحدهم لك، من بعد علمهم بأمرك الذي وجدوه في التوراة.

٢٥) وسألت عن قوله سبحانه: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]؟

والصيام فهو: صيام ثلاثة أيام، والصدقة فهو: إطعام ستة مساكين، والنسك فهو: شاة، وهو مخير في ذلك، فأي ذلك شاء فعل.

---

(١) أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إن هذا حق من ميثاقي عليكم، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أهل الشرك حتى تسفكوا دماءكم معهم، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ قال: تخرجونهم من ديارهم معهم، ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ فكانوا إذا كان بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، وظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى تسافكوا دماءهم، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة، ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم في دينكم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ في كتابكم ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفراً بذلك.

وأخرج ابن جرير، عن أبي العالية، أن عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة، وهو يفادي من النساء من لم يقع عليهالعرب، ولا يفادي من وقع عليه العرب، فقال له عبد الله بن سلام: أما أنه مكتوب عندك في كتابك أن فادوهن كلهن. الدر المنثور ١/ ٢١١ – ٢١٢.

٢٦) وسألت عن قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤]؟

والمعنى في ذلك فهو: وعلى الذين لا يطيقونه فدية، فطرح لا وهو يريدها، لأنه سبحانه إنما خاطب العرب بلسانها، والعرب تطرح لا وهي تريدها، وتثبتها وهي لا تريدها، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

بيوم جدود لا فضحتم أباكم وسالمتم والخيل تدمى شكيمها[1]

فقال: لا فضحتم، وإنما أراد: فضحتم، فأدخل لا وهو لا يريدها، وشاهد ذلك من كتاب الله، قوله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد:٢٩]، فأدخلها صلة في الكلام، وذلك عند العرب فمن البلاغة والتمام، وهي مثل ما يقول الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القِرى أن تشتمونا [2]

فقال: أن تشتمونا، وإنما أراد: لأن لا تشتمونا، فطرح لا وهو يريدها، والشاهد لذلك في كتاب الله سبحانه، قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝﴾ [القيامة:١]، فقال: لا أقسم، وإنما أراد: أقسم [3]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ [الأنعام:١٢٣] [4]، وإنما أراد: لأن لا يمكروا فيها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (أ): ألا أقسم.

(٤) في (أ): فيها وما وإنما.

٢٧)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٢٢٨]، فقلت: ما ذلك الذي بعولتهن أحق بردهن فيه؟

وهذه الآية نزلت في رجل من الأنصار طلق زوجته، ثم أراد مراجعتها فأبى عليه أولياؤها، فأنزل الله هذه الآية يخبر أنه أحق بها من غيره [1].

وأما قوله: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ فقد يحتمل أن يكون [2] يريد العدة وأيامها، وما دامت في أقرائها، ويحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: بذلك، يريد الأمر الذي يَمُتُّ به زوجها إليها من النكاح والحرمة والمصاحبة، والخلة والولد والرغبة، فيقول: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ لذلك الأمر الذي كان أولا والسبب الذي كان بينهما من المداناة والإفضاء، فليس لكم أن تمنعوهما من التراجع إن أرادا الإصلاح والإتفاق والإئتلاف والاهتداء.

٢٨)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]؟

(والمعنى في هذه الآية والأولى واحد، وإن اختلف التفسير)[3]، ومعناها أنه

---

(١) أخرج ابن المنذر، عن مقاتل بن حبان في قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ يعني: المراجعة في العدة، نزلت في رجل من غفار، طلق امرأته ولم يشعر بحملها، فراجعها وردها إلى بيته فولدت وماتت ومات ولدها، فأنزل الله بعد ذلك بأيام يسيرة ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]، فنسخت الآية التي قبلها، وبين الله للرجال كيف يطلقون النساء وكيف يتربصن. الدر المنثور ١/ ٦٦٠.

(٢) سقط من (ب): يكون.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

يخبر سبحانه أنه لم يفترض على نبيه صلى الله عليه قسر قلوبهم على الهدى، وجبرها حتى تكون مخلصة في أعمالها، كما افترض عليه قسر ألسنتهم على التكلم بالإيمان والنطق به، وكما افترض عليه قسر جوارحهم على ظاهر أعمالهم في أداء فرائضهم كلها، فأخبر الله نبيه أن الذي افترض عليه فيهم أمره [1] بدعائهم وجهادهم، هو الظاهر مما يناله ويقدر عليه منهم، مثل التكلم بالإسلام والإقرار به، واستعمال الجوارح في الصلاة والصيام والحج والجهاد، وما أشبه ذلك من ظاهر الأفعال، التي يحقنون بها دماءهم عن القتل، وحُرمهم عن السبي، وأموالهم عن الأخذ، وأنه لم يفترض عليه ولم يكلفه صلاح قلوبهم وإيمانها، ولا عِلمَ باطنها [2] وضميرها، واستخراج مكنون غيبهم، يكونون بذلك مِن فعل نبيه مهتدين حقا، وينتظمهم اسم الإيمان صدقا، فأخبر جل جلاله بما ذكر من ذلك وفيه، أن عليه صلى الله عليه إصلاح ظاهرهم، والمعاملة منه على ذلك لهم، وأن الله سبحانه معاملُهم على باطن ضمائر القلوب، وأن الله سبحانه العالم بما تنطوي عليه قلوبهم من الغيوب، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۝﴾ [النجم:٣١].

٢٩) و[سئل] عن قول الله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧]؟

فقال: الكلمات هو كلمات الاستغفار والتوبة والإنابة، ذكرهن آدم بعد المعصية، فطَفَّى بهن [3] ما وجب عليه من غضب ربه، فلما أن تكلم بكلمات التوبة وأظهرهن، صرف الله عنه العقاب، وصار حكمه عند الله حكم من أناب وتاب.

---

(١) في (أ): من أمره.

(٢) في (ب): باطن ضميرها.

(٣) في (أ): قطعا لهن. هكذا، والكلمة الأولى مهملة. ولعلها كما أثبت والله أعلم.

قال علي بن محمد بن عبيد الله العلوي رحمة الله عليه.

٣٠) سألت الهادي إلى الحق صلوات الله عليه عن قول الله سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦]؟

فقال: هذا أمر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه، بأن يقول لكفرة قريش وجاهليتها [(١)]، فيما كانوا يفعلون بمن أسلم منهم وآمن، واتبع محمدا صلى الله عليه، وذلك أنهم عاقدوا رسول الله عليه السلام يوم هدنة الحديبية، على أنه يرد إليهم من أتاه من أصحابهم، وعاقدهم على ذلك، وأوجبه صلى الله عليه على نفسه بأمر الله له[(٢)]، وكان يرد إليهم من أتاه راغبا في الإسلام منهم فيكرهونه على ترك الإسلام، وعلى الدخول في دينهم والرجوع، فلما أن انتقض [(٣)] العهد الذي كان بين رسول الله وبينهم، أمره الله ألا يرد إليهم أحدا ممن يهاجر إليه، وأعلمه أن الحق قد بلغ منتهاه، وقامت شرائع الدين، وظهرت أمور الله، وأنه لا سبيل للكفرة إلى إكراه أحد ممن اختار دين محمد صلى الله عليه، ولا رده إلى دينهم، ومنعهم بهذا [(٤)] القول مما كانوا يفعلون بمن هاجر، ومنع الرسول به من رد أحد ممن يهاجر إليه إلى قريش، وأعلمه أن الرشد قد تبين من الغي، والرشد هاهنا فهو: الحق والهدى، وقيام الحجة على الكفرة الأعداء، والغي فهو: الباطل الذي كانوا فيه من كفرهم وغيهم، ثم أذن لرسوله صلى الله عليه في أن يضع عليهم السيف حتى يسلموا، أو يبيدهم بالسيف،

---

(١) في (أ): يقول الحفرة قريش وجاهليها.
(٢) في (أ): لهم.
(٣) في (ب): انقضى.
(٤) في (أ): لهذا.

ومنعه من كل هدنة وموافقة، وأمره بقتلهم إن لم يدخلوا معه [(١)] كافة في الإسلام، ولم يرض في العرب إلا بالقتل أو الإسلام، لا غير ذلك، ولم يجز له أن يقبل منهم جزية كما قَبِلَ من الإسرائيليين من أهل الكتابين، فهذا تفسير ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ يقول: لا ترخيص لكم في (إكراه أحد على دينهم، قد انتقل الأمر الأول، وتبين الرشد الحق من) [(٢)] الباطل. . .

٣١) وإن سأل عن قول الله ذي الجلال: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة:٢٣٦]، فقال: ما [(٣)] معنى قوله: لا جناح على من طلق قبل أن يمس، وقد تعلمون ونعلم أيضا أنه لم يجعل جناحا على من طلق من [(٤)] بعد المس؟!!

قيل له: إن للآية مخرجا بيِّنا، عند من عقل سوى ما ذهبتَ إليه، وتقحمت بسوء نظرك فيه، وإنما المعنى في ذلك: أن [(٥)] الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا إثم ولا حرج في الطلاق، وإنما أراد بالجناح هاهنا: المهر، ومطالبة المرأة له بها تطالب به المطلقة، المفروض لها التي لم يمسها، ولم يدخل عليها زوجها، فأخبر تبارك وتعالى: أنه إذا طلقها، ولم يكن فرض لها صداقا، ولا سمى لها مهرا، أنه لا سبيل لها عليه في مطالبة بمهر، لأنه لم يفرض لها شيئا تطالبه بنصفه، كما تطالب التي

---

(١) سقط من (أ): معه.
(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.
(٣) سقط من (ب): ما.
(٤) سقط من (أ): من.
(٥) في (أ): أنه.

قد فرض لها، ثم طلقها من قبل أن يمسها بنصف ما سمى لها، فهذا هو معنى الجناح هاهنا.

٣٢) وإن سأل عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة:١٧١]، كيف [١] يشبه الذين كفروا بالناعق؟ ثم قال: ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ والناعق سميع بصير، فإن كان مَثَّلهم [٢] بالبهائم فكان مجاز الكلام أن يقول: كمثل الذين نعق به؟

قيل له: يا جاهل ذا ارتيات، ويا جائز عن الصواب [٣]: إن الله تبارك وتعالى إنما [٤] شبَّه الذين كفروا بالبهائم التي تنعق، لقلة اتباعهم وقبولهم، وقلة معرفتهم بما جاءهم من ربهم، فشبههم في قلة استماعهم بالبهائم التي لا تميز لها، فأما قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾، فهو: مثل ضربه الله لهم، فمثلهم بغنم راعي سامت [٥] فظلت، وتتابعت فذهبت، فأزاعها صاحبها فلم يجدها، فعلا شُرفاً [٦] من الأرض لها، وأقبل ينعق بها، وبناديها وهي لا تسمعه، وهو في دعاء ونداء وهي سائمة ترعى، ولا تجيب له صوتا، ولا تألوه فوتا، كذلك الذين كفروا حالهم في ترك الإجابة إلى الحق، كحال هذه الغنم المستعجمة من الخلق.

---

(١) في (أ): فكيف.

(٢) في (ب): شبههم.

(٣) سقط من (ب): يا جاهل ذارتياب ويا جائر عن الصواب.

(٤) سقط من (أ): إنما.

(٥) سقط من (أ): سامت.

(٦) الشرف: المكان العالي.

٣٣) وسألته عن قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠]؟

قال: إنما أراد بذلك صلى الله عليه: أرني آية، أزدد [١] بها علماً وبصيرة، وأعرف سرعة الإجابة لي منك، حتى يثبت ذلك عندي، ويقر في قلبي معرفة من ذلك، فأمره الله سبحانه أن يأخذ أربعة من الطير، وأن يجعل على كل جبل منهن جزءًا، ثم أمره أن يدعوهن، ليريه من عجيب قدرته، وشواهد حكمته، ما يزداد به معرفة في دينه، ويثبت عنده علم ما سأل عنه من آيات ربه، فأراه الله ذلك فازداد بصيرة وإيقاناً، ومعرفة وبياناً.

٣٤) قال يحيى الحسين رضي الله عنه: الجواب لمن سأل عن الأشهر المعلومات؟

أنها: أشهر الحج المفهو: مات، وهي: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة[٢].

---

(١) في المخطوطات: أزداد. ولعل الصواب ما أثبت، لأنها جواب وجزاء لفعل الطلب (أرني).

(٢) أخرج وكيع، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه من طرق عن ابن عمر ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ قال: شوال، وذو القعدة، وعشر ليال من ذي الحجة.

وأخرج وكيع، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن مسعود ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ قال: شوال، وذو القعدة، وعشر ليال من ذي الحجة.

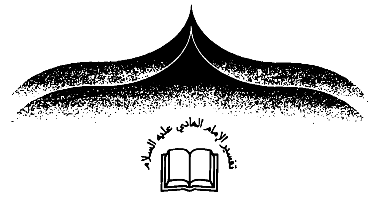
وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي من طرق عن ابن عباس ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ قال: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، لا يفرض الحج إلا فيهن.

وأما الأيام المعدودات، فهي: أيام التشريق، يوم أحد [1] عشر، ويوم إثنى عشر، ويوم ثلاثة عشر من ذي الحجة، فهذه الأيام المعدودات.



وأخرج ابن المنذر، والدارقطني، والطبراني، والبيهقي عن عبد الله بن الزبير ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ قال: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. الدر المنثور ٢/ ٥٢٤ – ٥٢٥.

(١) في (أ): إحدى.



تفسير
سورة آل عمران



ومن سورة آل عمران

٣٥) وسألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝﴾ [آل عمران:٥٤]. فكيف المكر فيهم، وكيف المكر من الله بالماكرين؟

فقال: أما مكر العباد فهو: ما يخفون ويضمرون، من إرادة المكر لمن به يمكرون، وستر ما يريدونه، من الغوائل لمن يغتالونه، فهذا المكر من الآدميين.

وأما المكر من الله فهو: عليه بما يضمرون، والاطلاع على ما يخفون ويعلنون، فأخبر الله أنه يعلم ذلك فيهم من قبل أن يفعلوه، ويطلع على خفي ما يخفونه في أنفسهم قبل أن يبدوه، فليس أحد يعلم علمه، ولا يطلع على شيء من إرادته، تعالى رب العالمين، الذي لا يحتاج إلى النية والضمير، في الصغير ولا في الكبير.

٣٦) وسألت عن قوله سبحانه: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]؟

والملك هاهنا الذي يؤتيه من يشاء فهو: جبايات الدنيا وأموالها، والذين يشاء أن يؤتيه إياهم فهم الأنبياء، ثم الأئمة من بعدهم، والذين يشاء أن ينزعه منهم فهم أعداؤه، من جبابرة أرضه.

ومعنى ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾ فهو: الحكم بالملك لهم صلوات الله عليهم، فمن حَكَّم له بالنبوة أو بالإمامة حكماً، وأوجب له الطاعة على الأمة باستحقاقه لذلك الموضع إيجاباً، فقد آتاه الملك، لأن الملك هو: الأمر والنهي والجبايات والأموال التي تقبض، التي بها قوام العساكر، واتخاذ الخيل والرجال والسلاح، وجميع أداة

الملك، فمن أجاز الله له قبض جبايات الأرض، وإقامة أحكامها وحدودها، وأوجب له الطاعة على أهلها، فقد آتاه الملك حقا، أولئك هم السابقون بالخيرات صلوات الله عليهم، ومن لم يحكم له بشيء من ذلك، ولم يجزه له ويطلق يده فيه، ولم يوجب له الطاعة على أحد من خلقه، فقد نزع الله ملك أرضه منه، وأبعده عنه، أولئك أعداؤه وجبابرة أرضه، الحاكمون بغير حكمه، المغتصبون ما جعل الله سبحانه لأوليائه، المعتدون [1] لما حكم به في خلقه وبلاده، أولئك ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝﴾ [النساء:١٠]، فسبحان من لم يقض بشيء من ذلك لأعدائه، ولم يؤته غير أوليائه.

وفي نفي الحكم منه بشيء من ذلك لأعدائه، ما يقول لإبراهيم صلى الله عليه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝﴾ [البقرة:١٢٤]، والعهد فهو: العقد بالإمامة، والحكم لهم بالطاعة، ومعنى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فهو: لا يُبَلِّغهم ولا يجيزهم.

٣٧) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، ما كان أخذ الميثاق ومتى كان؟

وأخذُ الله سبحانه لميثاق أهل الكتاب، فهو: بلا شك ولا ارتياب، ما أخذ الله منهم على لسان موسى وعيسى صلى الله عليهما، من التصديق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإيمان به والإقرار بما ينزل عليه من وحيه، والنصر له صلى الله عليه وآله وسلم، والقيام معه.

---

(١) في (ب): المتغلبين.

٣٨) وسألت عن قول الله سبحانه، فيما حكي عن المؤمنين من عبيده القائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فقلت: كيف يزيغ قلب من هداه الله، وكيف جاز لهم أن يظنوه بالله سبحانه؟

فهذا دعاء منهم بالتثبيت لهم، بالمعونة والتوفيق والتسديد والإرشاد، يقولون: ربنا زدنا هدى إلى هدانا، ومعونة إلى قوتنا، ولا تتركنا من رحمتك فنهلك، وتزيغ قلوبنا بعد ما نحن عليه من اجتهادنا، في طاعتك، واتباعنا لمرضاتك، لا أنهم يتوهمون على ربهم، أو يظنون [١] بخالقهم ظلما لهم، أو إزاغة عن رشدهم، أو إدخالا [٢] لهم في تقصير إن كان منهم.

٣٩) وعن قول الله سبحانه فيما يحكي عن من قال: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران:٢٤]؟

فقال: نزلت في اليهود، كانوا يقولون: إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وإن الله يعذب أهل النار بدل كل ألف سنة يوماً واحداً، فذلك سبعة أيام، ثم ينقضي عذاب جهنم [٣]، فأنزل الله إكذابهم في ذلك وزور قولهم عنهم.

---

(١) في (ب): ويظنون.

(٢) في (ب): وإدخالا.

(٣) أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والواحدي، عن ابن عباس أن يهود كانوا يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودات ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ ... إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. الدر المنثور ١/ ٢٠٧.

٤٠)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]؟

فصدق الله سبحانه هو المكون لها، والمحدث لما كان من خلقها، وإنما أراد سبحانه بذلك ما يداول بينهم فيها من الغموم والهموم والأحزان، والفرح والسرور الذي تمر به على الإنسان، مما ينزل به السرور، بما يرزقون ويوهبون من الذكور، ويبسط لهم من الأرزاق، ويوسع عليهم من الأرفاق، ويبتلون من الثكل للأحياء، وما ينالهم من زوال السرور والرخاء، فمرة يستغني الفقير المعسر، ومرة يفتقر الغني الموسر، وتارة يفرح هذا بما يولد له من الأولاد، وتارة يغتم ويهتم بما يخافه من الضعة والفساد، والأيام بين المخلوقين، دُولٌ كما ذكر رب العالمين، بما يبسط لهم من الأرزاق، ويمن به عليهم من السعة والأرفاق، لا ما يتوهم الجاهلون، وينسب إلى الله الضالون، من إدالة الله للفاسقين، وتمكينه للفجرة العاصيين، والإدالة فهي نصر وتمكين، والله فلا يُمكِّن إلا لعباده المؤمنين.

٤١)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]؟

والمحكمات - رحمك الله - فهن الآيات اللواتي ظاهرهن [1] كباطنهن، وتأويلهن كتنزيلهن، لا يحتملن معنيين، ولا يقال فيهن بقولين، مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝﴾ [الشورى:١١]، ومثل قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص:١-٤]، ومثل قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

(١) في (أ): ظواهرن.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء:١١١]، ومثل سورة الحمد، ومثل قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ...﴾ [البقرة:٢٥٥] الآية كلها، وغير ذلك مما كان من الآيات المحكمات، اللواتي لا يدخلهن التأويلات، ولا تختلف فيهن القالات، والأمهات فهن: اللواتي ترد (١) إليهن المتشابهات، وأم كل شيء فأصله، وأصله فمحكمه، الذي يرد (٢) إليه الفروع والاختلاف، ويقع بالرجوع إليه بعد التشاجر الإيتلاف، والمتشابهات فهن: ما حجب الله عن الخلق علمه من الآيات، اللواتي لا يعلم تأويلهن غير رب السماوات، كما قال الله: ﴿مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فأخبر أنه لا يعلم تأويله غيره (٣)، وأن الراسخين في العلم إليه يردونه، إذ لم يعلموه، وإذ حجب عنهم تأويله فلم يفهموه، مثل: ﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ [يس:١] و﴿حمٓ﴾، و﴿الٓر﴾، و﴿طسٓمٓ﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾، و﴿الٓمٓ﴾، و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿صٓ﴾.

وما كان من المتشابه مما يحتاج الخلق إلى فهمه، فقد أطلع الله العلماء الذين أمر بسؤالهم على علمه، وهو ما كان تأويله، مخالفا لتنزيله، مثل قوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ومثل قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، (ومثل قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٧٨]، ومثل ما ذكر الله من الضلال والإملاء، وغير ذلك مما ذكر تبارك)(٤) وتعالى، مما

---

(١) في (أ): يرد.

(٢) في (ب): ترد.

(٣) في (ب): تأويله إلا الله.

(٤) سقط من (ب): ما بين القوسين.

يتعلق تنزيله [بتأويل يعرفه العالمون] وينسب فيه إلى الله شبه خلقه الجاهلون، فأبطلوا بذلك ما ذكر الله من الأمهات المحكمات، اللواتي جعلهن بالحق شاهدات، وعن ظاهر المتشابه ناطقات.

٤٢) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]؟

ومعنى ذلك عندنا، وما نتأوله في قولنا: أنه أراد أنه لم يكن ليذر المؤمنين على ما عليه غيرهم من المنافقين، وذلك أن المؤمنين كانوا إذا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء، مما أمره الله أن يأمرهم به من شرائع الإسلام، أذعنوا لذلك وسلَّموا وانقادوا له، وأجابوا بقولهم وألسنتهم، وكان المنافقون إذا أمروا ونهوا أجابوا بألسنتهم وأضمروا في باطنهم خلاف ما أظهروا، وكانوا يحتذون قول المؤمنين، ويذكرون عن أنفسهم ما يذكر المسلمون، من الإجابة والرغبة والصدق والسمع والطاعة والحق، فذكر الله عز وجل أنه لا يذرهم على ذلك حتى يميزهم بالأمر والنهي لهم، والافتراض لما افترض على خلقه من الجهاد في سبيله، والإنفاق في طاعته، والإتباع لرسوله فيما أُمروا به من الجهاد، والصبر مع الرسول في البلاء، حتى يتبين للرسول الصادقُ في فعله وقوله، والكاذبُ فيما يظهر من نفسه للرسول، فلما افترض ذلك عليهم، وجعله حجة له باقية فيهم، لا يسعهم تركها، ولا يجوز لهم رفضها، لهج[1] لذلك المؤمنون، وبَسَمَ له المتقون، وقولَهم بفعلهم صدَّقوا، ونكل المنافقون ورضوا بالتخلف عن رسول الله وعصوا، فبان بذلك المؤمنون من الفاسقين، والصادقون من المنافقين، ومازهم بذلك رب العالمين، فوقف الرسول

(١) لهج: اللهج بالشيء الولوع به، ولهج به: إذا أغري به فثابر عليه.

ومن معه على ذلك من فعلهم، وعرَّفوهم بما كان من عملهم، وقد يكون الميزُ من الله لهم، بما حكم به في الآخرة عليهم ولهم، من الثواب للمتقين، والعذاب للفاسقين.

٤٣) وسألني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فقال: ما معنى ﴿كُتِبَ﴾ وما الكتاب؟

فقلت: الكتاب يكون على ثلاثة معاني: وكلها - والحمد لله - بيِّنٌ مبين، عند من رزقه الله المعرفة بالكتاب والتفسير:

فمنها: العلم، وهو ما سألت عنه، وما كان في الكتاب، مثل قول الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء:٩٤]، يريد: بكاتبين عالمين، ومثل قوله في آخر الحج [1]: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠]، يريد سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، بقوله ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ أي: في علم معلوم، عند الله غير مكتوم.

والثاني: معنى الحكم من الرحمن، وفي ذلك ما يقول في واضح الفرقان: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ... إلى قوله: كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب:٦]، فقال: في كتاب، وإنما أراد: في حكم الله. وكذلك قوله: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ [الطور:١-٢] [2]، يقول: في الحكم مثبتا [3]

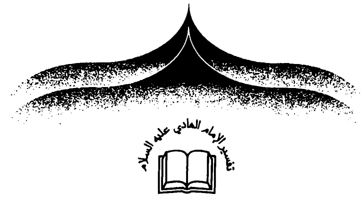
(١) سقط من (أ): في آخر الحج.
(٢) في (أ): وذلك قوله في الطور.
(٣) في (ب): متقنا.

مفروضا. ومن ذلك قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥]، وقال: ﴿كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ يريد: وحكمنا عليهم فيها، فذكر أنه حكم على بني إسرآئيل، بما ذكر من النفس بالنفس، ومعنى قوله: ﴿فِيهَآ﴾ في التوراة التي أنزلها على موسى صلى الله عليه، وما أشبه ذلك في القرآن، مما أراد به الحكم على الإنسان.

والمعنى الثالث فهو: اسم الكتاب المنزل نفسه، مثل قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩]، فأراد بذلك: هذا الكتاب الكريم، الذي يخط [١] في الصحف والدفاتر، وتعيه وتنطوي [٢] عليه الصدور والضمائر. ومثل ذلك قوله، وما أقسم به في [٣] كتابه وتنزيله، حين يقول: ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝﴾ وما كان في الكتاب مثل هذا وغيره، مما أراد به تفسير تنزيله ووحيه، فعلى هذه الثلاثة معاني [٤] يخرج معنى الكتاب، ولن يوجد معنى رابع [٥] بسبب من الأسباب.

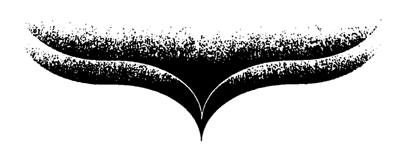


(١) في (أ): يحصى. مصحفة.
(٢) في (أ): وتتطمئن.
(٣) في (أ): من.
(٤) في (أ): فعلى هذا. وفي (ب): الثلاثة معان.
(٥) في (ب): الرابع.



تفسير

سورة النساء



ومن سورة النساء

٤٤) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ...﴾ [النساء:١٥٩] الآية؟

وهذا فإخبار عن عيسى بن مريم صلى الله عليه، وعن أهل الكتاب الذين كفروا به من اليهود والنصارى، وقد قيل: إنه صلى الله عليه [1] حي إلى ساعة الناس هذه [2]، وإنه يصلي وراء المهدي [3]، ويظهر ويأمر وينهى، ويؤمن به جميع أهل

---

(١) سقط من (ب): صلى الله عليه.

(٢) أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن شهر بن حوشب في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ عن محمد بن علي بن أبي طالب هو ابن الحنفية، قال: ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره، ثم يقال: يا عدو الله إن عيسى روح الله وكلمته، كذبت على الله وزعمت أنه الله، إن عيسى لم يمت وإنه رفع إلى السماء، وهو نازل قبل أن تقوم الساعة فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا آمن به.

وأخرج ابن جرير، عن الحسن ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى، والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن. أن رجلا سأله عن قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى، وإن الله رفع إليه عيسى، وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما، يؤمن به البر والفاجر. الدر المنثور ٢/ ٧٣٤ – ٧٣٥.

(٣) قال ابن حجر الهيثمي: وأخرج الطبراني مرفوعا: يلتفت المهدي عليه السلام وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي عليه السلام: تقدم فصل بالناس، فيقول: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلي خلف رجل من ولدي. الحديث.

قال: وفي صحيح ابن حبان في إمامة المهدي عليه السلام نحوه. الصواعق المحرقة/ ٩٨.

الكتاب [1]، ثم يموت من بعد ذلك عليه السلام.

وفي كنز العمال ٧/ ١٨٧ بلفظ: منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه، قال: أخرجه أبو نعيم في كتاب المهدي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وذكره المناوي أيضا في فيض القدير ٦/ ١٧ في المتن، وقال في الشرح بعد لفظة: «خلفه» فإنه ينزل عند صلاة الصبح على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة فيحس به فيتأخر ليتقدم فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه.

وأخرج أحمد بن حنبل ٣/ ٣٤٥ عن جابر، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعالى صل فيقول: لا غن بعضكم على بعض أمير ليكرم الله هذه الأمة. وهو أيضا في ٣/ ٣٨٤ بطريق آخر.

وأخرج أحمد أيضا ٣/ ٣٦٧ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم ... إلى أن قال: فإذا هم بعيسى بن مريم فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم... الحديث.

ويؤيد هذا المعنى ما في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق في باب نزول عيسى بن مريم مما رواه بسنده عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري: إن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم، وقد رواه مسلم أيضا في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان نزول عيسى، وأخرجه أحمد أيضا ٢/ ٣٣٦.

(١) أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرا من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾».

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، يقتل الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويفيض المال، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين، واقرأوا إن شئتم ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ موت عيسى بن مريم، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات».

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾، فهو: شهيد عليهم بما ألقى إليهم وأمرهم به، وأدى إليهم من كتاب الله وأمره ونهيه، فخالفوا إلى غيره وكفروا به، ومما يشهد به عليهم يوم القيامة صلى الله عليه فيما أدى إليهم من الله سبحانه، من ذكر محمد صلى الله عليه والتبشير به، والإخبار بصفته ووقته، وما أمرهم به عن الله من طاعته، فخالفوا ذلك كله وصاروا إلى ضده، من الكفر بنبيه [1]، فبذلك يشهد عليهم المسيح صلوات الله عليه يوم القيامة: إني قد أمرتكم بأمر الله فكفرتم، وأوقفتكم على الحق فخالفتم.

٤٥) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ [النساء:٤٣]؟

فالسكر الذي نهى عن الصلاة معه وفيه، فهو: سكر النوم وغلبته وغشيانه لعقل من ينزل به، فنهى الله [2] المؤمنين عن الصلاة حتى يزول عنهم اسم النوم، ويصيروا إلى حد المتيقظين من الأنام، وترجع إليهم عقولهم فيعرفون ما يقولون، وما يقرأون [3] في الصلاة فيفعلون.

وأخرج أحمد، وابن جرير، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويجمع له الصلاة، ويعطي المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما. قال: وتلا أبو هريرة ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ قال أبو هريرة: يؤمن به قبل موت عيسى». الدر المنثور ٢/ ٧٣٥.

(١) سقط من (ب): بنبيه.

(٢) سقط من (ب): الله.

(٣) في (ب): ما يقرأون وما يقولون.

وأما قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ فعابر السبيل: مجيز الطريق من أبناء السبيل، الذين قد وقع عليهم اسم السفر، وجاز لهم عند الله عز وجل القصر [١].

٤٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤]؟

ومعنى قوله: ﴿كَلَّمَ﴾ فهو: ألقى في أذن موسى عليه السلام ما ألقى من الكلام، ولم يكن بينه وبين موسى رسول كما كان بينه وبين سائر الأنبياء، وإنما كان من الله خلق الكلام، وإيقاعه في أذن موسى عليه السلام، فلما أن كان ذلك كذلك، قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾، إذ لم يكن بينه وبينه رسول، ولم يكن المؤدي الكلام إلى موسى إلا الله سبحانه، فجاز إذ كان ذلك كذلك، أن يقول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾، إذ لم يكن بينه وبينه مؤدي غير الله سبحانه، ولا مُسمِع[٢] سواه.

٤٧) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١]؟

وإنما ألقاها على لسان روحه إليها، وهي [٣] التبشير بعيسى صلى الله عليه، ومعنى الكلمة فهي: الحكم من الله سبحانه لها بعيسى، وأن يجعله في بطنها من غير ذكر، فسماه كلمته، إذ كان بقضائه وقدرته، وإيجاده وفعله، فعيسى صلى الله عليه كلمته، وكلمته فهي: فعله وفطرته وقضاؤه وجِبِلُّه ومجعوله وأمره، الذي ألقاه في مريم وخلقه، وأوجده في الرحم من غير نطفة بذكر، ولا مداناة من ذكر، فتعالى الله العلي الأعلى، الفعال لما يشاء.

---

(١) في (أ): الفرض. مصحفة.
(٢) في (ب): وبين موسى مؤدي غيره ولا يسمع.
(٣) في (أ): وهو.

٤٨) وعن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١]؟

فقال: الجبت هو كل ما صد عن أمر الله وألها عن دينه، والطاغوت فهو: كل ما أطغى وجَبَتَ عن دين الله، وحمل أحدا من عباد الله على معصية الله، من طواغيت جبابرة أرضه، وملاعين كفرة عباده.

٤٩) وسألته عن قول الله سبحانه عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]؟

يقول سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: مخبرا له عن أصحابه، مقسِما بنفسه، أن أصحابه لا يؤمنون على حقيقة الإيمان، حتى يردوا إليه عليه السلام ما تشاجروا فيه، وهو ما اختلفوا فيه، ثم يرضوا بحكمه في ذلك، ولا يجدوا في صدورهم شيئا فيه، ولا غضبا منه، ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ أي: ينفذوا حكمه ويسلموا له، ويرضوا به ولا يردوه.

٥٠) وإن سأل عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء:٥٦]، فقال: كيف يعذب الله جلودا لم تعصه كلما نضج منها جلد بُدِّل جلدا غيره؟

قلنا له: إن الله عدل لا يجور، ولا يعذب إلا من عصاه؛ ولم يكن ليعذب جلودا لم تعصه بذنبٍ من قد عصاه، وأنى يكون ذلك؟! وهو يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤، الإسراء:١٥، فاطر:١٨، الزمر:٧]، وإنما الجلود التي يبدل

الله[١] هي الجلود التي عصت، وفي النار أوّلا أُحرقت [٢]، وإنما معنى قوله: ﴿بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أي: رددنا خلقها وأحييناها[٣] بعد مماتها، وصورناها جلودا بعد إحراقها، وهي هي بعينها، تحرق وترد وتحرق وترد، كما كانت أوّلا عند مماتها، ودخولها في أجداثها، تمزقت[٤] وبليت، واضمحلت وفنيت، ثم ردت فعذبت، وخلقت خلقا جديدا بعد امتحاقها، وإنما معنى قوله سبحانه: ﴿بَدَّلْنَا﴾، يريد: غير الصفة التي كانت عليها، وهي هي على حالها، فتبدل وتنقل وتغير وهي في أنفسها، ومثلها في ذلك: كمثل رطل من فضة صنعت كوزا [٥]، ثم كسرت فجعلت [٦] حليا، ثم كسرت فصنعت نعلا، ثم كسرت فرجعت [٧] عقودا، فالفضة هي الفضة بعينها، وأنت تبدلها في الصور والحالات، وتقلبها إلى ما تريد من الصناعات، فهي كوز مرة، وهي حلي تارة، فعلى هذا يخرج معنى ما ذكر الله من تبديل جلود العباد، فتبارك الواحد ذو الأياد[٨].

---

(١) في (ب): تبدل هي.
(٢) في (ب): حرقت.
(٣) في (أ): وأجساما. مصحفة.
(٤) في (أ): فمزقت.
(٥) في (أ): كوبا.
(٦) سقط من (أ): فجعلت.
(٧) في (ب): فجعلت.
(٨) سقط من (ب): فتبارك الواحد ذو الأياد.

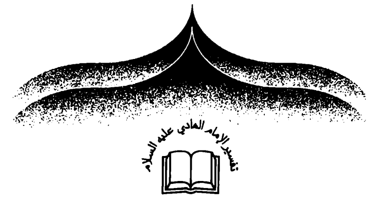
٥١) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، فقلت: كيف كان الكلام من الله عز وجل لموسى عليه السلام؟ وما معنى قوله: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾؟

واعلم - هداك الله - أن الله تبارك وتعالى لم يوح إلى أحد من الأنبياء إلا على لسان الملك الكريم جبريل عليه السلام، وكذلك إلى موسى صلى الله عليه، فقد كان منه الإيحاء إليه على لسان جبريل، حتى كان في هذا الوقت الذي ذكره الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، فكان من الله إليه ما ذكره الله سبحانه من الكلام له عليه السلام.

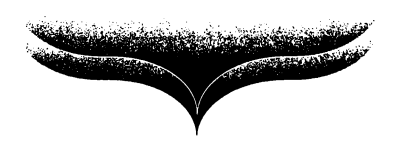
وكان معنى ذلك أن الله سبحانه خلق له كلاماً في الشجرة سمعه موسى بإذنه، كما كان يسمع ما يأتي به الملك إليه من وحي ربه، فكان فهم موسى - وسماعه لذلك الكلام الذي شاء الله إسماعه إياه، لما أراد من كرامته واجتبائه - كفهمه لما به كان يأتيه جبريل عن الله من وحيه سواء سواء. فلما أن لم يكن بين الله سبحانه وبين موسى صلى الله عليه - لهذا الكلام المخلوق في الشجرة - مُؤدٍّ يؤديه إليه، كما كان يكون فعله في غيره مما ينزله عليه، جاز أن يقول: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، يريد: أسمع موسى وأبلغه ما كان يريد من الكلام والوحي إسماعاً، بلا مؤد لذلك إليه. فَلَمَّا أن لم يكن بين الله وبين موسى مؤد للكلام إلى موسى - وكان المتولي لجعل الكلام وفعله وخلقه على ما سمعه موسى من البيان، والكفاية والتبيان - قال الله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، معنى ﴿تَكۡلِيمٗا﴾، هو: تأكيد للإخبار منه عز وجل بما كان من عجيب فعله، وعظيم قدرته، وظاهر برهانه، وما ازداد موسى به بصيرة إلى بصيرته، من خلقه لكلام ينطق من غير لسان، كما ينطق به ذووا اللهوات والأدوات، واللسان والآلات.

فهذا معنى قوله: ﴿تَكْلِيمًا﴾، لا كما يقول به الجاهلون، وينسب إلى الله الضالون، من تشبيهه لخلقه، ونَسْبِ الكلام إليه على طريق التكلم به، كما يعقلون من كلام الآدميين، ويعرفون من كلام المخلوقين، تعالى عن ذلك أرحم الراحمين! وجل أن يكون كذلك رب العالمين!!





تفسير
سورة المائدة



ومن سورة المائدة

٥٢)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فقلت: ما الشرعة وما المنهاج، وما الجعل في الشرعة؟

هي: الفرائض المفروضات، والأحكام المجعولات، المأمور الخلق بفعلهن، والمحكوم عليهم بأداء فرضهن، والمنهاج فهو: الطريق الواضح الدآل على ما ذكرنا من الشرعة، الناطقة بها [1] السنة المتبعة، والجعل فلا يكون إلا فعلا لله تبارك وتعالى. من ذلك ما جعل من الليل والنهار، وذلك في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء:١٢]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢]، يريد: جعلنا وفعلنا، وقدرنا ورفعنا، وقد يكون الجعل من الله، على طريق الفرض والحكم، مثل قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، يريد: ما حكم عليكم في دينكم بضيق من أمركم، ولا كلفكم إلا دون طاقتكم.

٥٣)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣]؟

فالبحيرة: هي الناقة تنتج خمسة أبطن، فإن نتجت [2] في الخامس سقبا، أهدوه للقوام على آلهتهم من الأصنام، وإن نتجت قلوصا استحيوها وخلوا عن أمها،

---

(١) في المخطوطتين: لها. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في (ب): فإن كان الخامس.

وشرموا أذنها وسموها بحيرة، ثم لم [1] ينتفعوا منها بلبن ولا وبر، ولم يحلبوها إلا في البطحاء، ولم يجزوا لها وبرا إلا ذروه في الرياح [2].

وأما السائبة فكانوا يسيبون من أموالهم ما شاءوا، على طريق الشكر لله، إن كان غائبا لهم [3] فقدم، أو مريضا فشفي، ويسمون ذلك سايبة، ويُخَلَّى فلا يُحمى حِمى [4]، ولا يمنع ماء.

والوصيلة فهي: من النعم، وهي الشاة إذا ولدت خمسة بطون أيضا، فكان الخامس جديا أهدوه لخدام الأصنام، وإن كان [5] عناقا استحيوها، فإن تؤمت فولدت جديا وعناقا، تركوا الجدي واستحيوه، وقالوا قد وصلته أخته [6]، فلا يجوز عندهم ذبحه، وهذه العناق عندهم فهي الوصيلة، لما وصلت من أخيها.

وأما الحام فهو: الجمل يرسل في الإبل، فيضرب عشر سنين، فإذا ضرب عشر سنين، ولحقت أولاده وضربت في الإبل، (قالوا: هذا قد حمى ظهره فلا يجوز عندهم بعد ذلك أن يحملوا عليه شيئا)[7] ولا يخرجوه في دية، ولا يستعان به في نازلة، ويسمونه حاميا، ويخلون سبيله، ثم لا يُحمى حمى، ولا يمنع ماء. وكان الذي

(١) في (ب): ولم.
(٢) في (ب): مع الرياح.
(٣) سقط من (أ): لهم.
(٤) سقط من (أ): حما.
(٥) في (أ): كانت.
(٦) في (ب): وصلت أخاها.
(٧) سقط من (ب): ما بين القوسين.

سن لهم ذلك وجعله، فاتبعوه في ذلك، قصي بن كلاب [١].

---

(١) أخرج البخاري، ومسلم، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة. التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء. قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبة في النار، كان أول من سيب السوائب»، قال ابن المسيب: والوصيلة، الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحامي: فحل الإبل، يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت واعفوه من الحمل فلم يحمل شيء، وسموه: الحامي.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خلقان من الثياب، فقال لي: هل لك من مال؟ قلت: نعم. قال: من أي المال؟ قلت: من كل المال، من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: فإذا آتاك الله مالا فَلْيُرَ عليك، ثم قال: تنتج إبلك رافية آذانها؟ قلت: نعم، وهل تنتج الإبل إلا كذلك ! قال: فلعلك تأخذ موسى فتقطع آذان طائفة منها وتقول: هذه بحر، وتشق آذان طائفة منها وتقول: هذه الصرم، قلت: نعم. قال: فلا تفعل، إن كل ما آتاك الله لك حل، ثم قال: ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ قال أبو الأحوص: أما البحيرة فهي: التي يجدعون آذانها، فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها، ولا أوبارها، ولا أشعارها، ولا ألبانها، فإذا ماتت اشتركوا فيها. وأما السائبة فهي: التي يسيبون لآلهتهم. وأما الوصيلة: فالشاة تلد ستة أبطن، وتلد السابع جديا وعناقا، فيقولون: قد وصلت فلا يذبحونها، ولا تضرب، ولا تمنع مهما وردت على حوض، وإذا ماتت كانوا فيها سواء. والحام: من الإبل إذا أدرك له عشرة من صلبه كلها تضرب حتى ظهره فسمي الحام، فلا ينتفع له بوبر، ولا ينحر، ولا يركب له ظهر، فإذا مات كانوا فيه سواء.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: البحيرة هي: الناقة، إذا انتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكرا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جدعوا آذانها. فقالوا: هذه بحيرة. وأما السائبة: فكانوا يسيبون من أنعامهم لآلهتهم لا يركبون لها ظهرا، ولا يحلبون لها لبنا، ولا يجزون لها وبرا، ولا يحملون عليها

٥٤)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]؟

فهؤلاء قوم من بني إسرآئيل مسخوا حين عتوا [١] واجترؤا، فجُعلوا صورَ ما ذكر الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، من القردة والخنازير، فجعلُ الله لهم، هو: تحويلهُ لصورهم، وإحلاله لنقمة الله سبحانه بهم [٢]، على ما كان من فعلهم، وما استوجبوا بجرمهم.

وأما قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ فإنما هو منه على التقديم والتأخير، أراد سبحانه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]، فجعلها في اللفظ مؤخرة وهي في المعنى مقدمة، وفعل الطاغوت فليس من فعل الله، لأن الطاغوت هو ما أطغى من الفعل، وأفسد من العمل [٣]، وخالف من [٤] الحق، وجنب عن الصدق.

شيئاً. وأما الوصيلة: فالشاة، إذا انتجت سبعة أبطن نظروا السابع، فإن كان ذكرا أو أنثى وهو ميت، اشترك فيه الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى استحيوها، وإن كان ذكرا وأنثى في بطن استحيوهما، وقالوا: وصلته أخته فحرمته علينا. وأما الحام: فالفحل من الإبل إذا ولد لولده قالوا: حمى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئا، ولا يجزون له وبرا، ولا يمنعونه من حمى رعي، ولا من حوض يشرب منه، وإن كان الحوض لغير صاحبه. الدر المنثور ٣/ ٢١١ – ٢١٢.

(١) في (أ): مسخوا عن عتوا.

(٢) في (أ): لهم.

(٣) في (ب): العقل.

(٤) سقط من (أ): من.

٥٥)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[المائدة:١٣]؟

فقال: معنى قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ هو: فبنقضهم ميثاقهم لعناهم إذ نقضوه وتركوه، و ﴿مَا﴾ هاهنا: فإنما هي صلة للكلام لا أصل لها في هذا الموضع. والعرب تزيد (مَا) و(لا) في كلامها وهي لا تريدهما، ولا أصل لهما في الكلام، وهذا كثير في لغة العرب موجود.

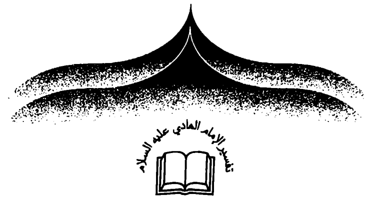
٥٦)وسألته عن قوله الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة:٢]؟

فقال: هذا نهي من الله سبحانه للمؤمنين أن يحلوا شيئا مما حرم الله من هذا الأشياء، والشعائر فهي: الإبل التي تُشعر عند الإحرام، وإشعارها فهو: شق أسنمتها، والهدي فهو: ما أهداه المحرمون إلى مكة، والقلائد فهي: الإبل أيضا المقلدة التي يقلدها الحاج بعد إحرامهم، ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ فهو: القاصدون له المتوجهون نحوه، من حاج كان أو معتمر، فنهى الله تبارك وتعالى عن إباحة ما ذكر، والشهر الحرام الذي حرم الله فيه عليهم القتال، ومعنى ﴿ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ فهو: الأشهر الحرام، فقال: ﴿ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ وهو يريد الشهور، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝﴾ [الانفطار:٦]، وهو يريد الناس.

والأشهر الحرم التي نهوا عن الإحداث فيها، فهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، وهن اللواتي ذكر الله تبارك وتعالى حين يقول: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾

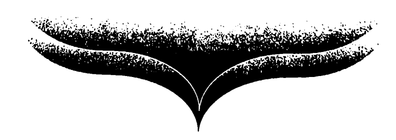
[التوبة:٣٦]، وهذا كان من قبل ظهور محمد عليه السلام، وحقُّ هذه الشهور فواجب إلى يوم القيامة، ولكل محق أن يقاتل فيهن على الحق وبالحق، وإنما مُنعوا من القتال فيهن ذا كان قتال فتنة وعصبية وباطل، فأمروا بإجلال هذا الأشهر عن المكافاة بباطل على باطل.





تفسير

سورة الأنعام



ومن سورة الأنعام

٥٧) قلت فمعنى قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام:٧٧]، وكذلك قوله في النجم والشمس حين قال: ﴿هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام:٧٨]؟

قال: معنى ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم هو على معنى الذم لهم، والعيب لفعلهم، يريد: أهذا ربي الذي يزول، ويتنقل ويحول؟! وهو على معنى الاستفهام، وذلك موجود في القرآن، من [ذلك] قوله سبحانه: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝﴾ [القيامة:١]، ومعنى ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ فهو: ألا أقسم فطرح الألف وهو يريدها، ومن ذلك قوله في سورة المنافقين: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝﴾ [المنافقون:١٠]، ومعنى ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ هو: لو أخرتني.

وفي ذلك ما يقول الشاعر:

بيوم جدود لا فضحتم أباكم وسالمتم والخيل تدمى شكيمها [1]

فقال: لا فضحتم أباكم، وأراد: فضحتم أباكم، فأدخل الألف هو ولا يريدها صلة في الكلام.

ومن ذلك قول الله سبحانه في يونس صلوات الله عليه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝﴾ [الصافات:١٤٧]، ومعناها: ويزيدون، فطرح الألف وهو يريدها،

---

(١) سبق تخريجه.

وأثبتها في الشيء وهو لا يريدها، ومن ذلك ما قال شاعر العرب:

نزلتم منـزل الأضياف منا فعجلنا القِرى أن تشتمونا[1]

فقال: أن تشتموناـ وإنما أراد: لأن لا تشتمونا، ولا نُذم، فجاز ذلك من قوله في العربية والبيان، فعلى هذا يخرج معنى قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦-٧٨].

٥٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:١٠٧، الزمر:٤١، الشورى:٦]، فقلت: أو ليس قد كان صلى الله عليه وكيلا عليهم، ومأمورا بهم وبجاهدا لمن عَنَدَ منهم؟

فقال: معنى ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: ما أنت على إخلاص ضمائرهم بوكيل، إذ أنت غير عالم بذلك ولا محيط به، وإنما أنت وكيل على ظاهرهم، معامل لهم عليه، فأما الضمير فالله الحافظ له عليهم، والعالم به منهم، وإنما [2] كلفناك ما تقدر على القيام به، ولم نكلفك ما لا تستطيع [3]، مما لا تقدر عليه من علم ضمائرهم، لو فعلنا ذلك بك لكلفناك إذاً شرا، ولافترضنا عليك عسرا، ألا تسمع كيف بيَّن في أول الآية وفي وسطها [4]، ما قلنا من أنه سبحانه الحافظ لسرائرهم، المعامل لهم عليها دون نبيه، وذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الزمر:٣، الشورى:٦]، في السرائر، وأعطوك يا محمد غير ذلك في الظاهر، الله يحفظ ذلك

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ب): فإنما.

(٣) في (ب): لم تستطع.

(٤) في (ب): وسط الآية.

عليهم ويعلمه منهم، إذ لا تعلمه أنت من فعلهم، حتى يجازيهم عليه عنك [١] في يوم حشرهم، ويبدي عليهم [٢] فضائح ما كان من ضمائرهم.

٥٩) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥]؟

الجواب في ذلك: أن هذا إخبار من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه السلام عن الاقتدار على ما يشاء من خلقه، وأن ارادته فيهم نافذة، ومشيئته ماضية، وأنه لو جمعهم لم يجب ثواب لمثاب، ولا عقاب على معاقب، والله بريء عن جبر الخلق على المعصية، وإخراجهم من طاعة.

٦٠) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦] فقلت: ما معنى دعاء من لا يسمع؟

المعنى في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ هو: يطيعون ويقبلون ما يأتيهم به من ربهم، فيستبصرون بنور الله ويهتدون، لا أنهم صم لا يسمعون، ألا ترى كيف تقول العرب لمن كان منها ذا عصيان: ألا تسمع يا هذا قول فلان، فإنه ناصح [٣] شفيق، حريص عليك رفيق، تريد: اقبل قوله وصر [٤] إليه، ولا تخالفن بعملك عليه.

٦١) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ - سبحانه - يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩]؟

---

(١) سقط من (أ): عنك.
(٢) سقط من (ب): عليهم.
(٣) سقط من (ب): ناصح.
(٤) في (أ): تقبل قوله وتصير.

وهذا - يرحمك الله - فمثّل مثّله الله [١] وضربه لهم، إذ كانوا عن آياته معرضين، وعن قبول ما أمروا به صآدين، فأخبر سبحانه أنهم في ترك الإستماع للحق، وعن [٢] قبول ما جاء به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من الصدق، وقد يرون ما يأتي به [٣] من البراهين والدلالات والعلامات، كالصم البكم الذين لا يسمعون، ولا يعقلون فيأتمرون، ألا ترى أن العرب تقول لمن لم يسمع ويستمع [٤] ويقبل ما يُؤمر به فينتفع: ما أنت إلا أصم، وتقول: فلان أصم أبكم عما يلقى إليه، وإن كان حديد السمع، تريد بذلك: قلة الإئتمار بما به يُؤمر، وطول الغفلة عما منه يُحذَّر.

وأما قوله: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾، فهي: ظلمات الكفر والعصيان، والبعد من الواحد ذي الجلال والسلطان.

وأما قوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، فقد تقدم منا شرح [٥] معنى إرادته لإضلال الضآلين، وهدايته لمن اهتدى من المهتدين، ومعنى الضلال والهدى هاهنا: كمعناه فيما [٦] تقدم أولا من موضعه من هذا الكتاب [٧].

٦٢) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام:١٢٥]؟

---

(١) سقط من (ب): مثله الله.

(٢) سقط من (أ): وعن.

(٣) سقط من (أ): به.

(٤) في (ب): لمن لا يسمع ويقبل.

(٥) في (ب): فسيأتي شرح معنى...

(٦) في (ب): فيما يأتي.

(٧) سقط من (أ): في موضعه من هذا الكتاب.

فمعنى قوله [١]: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ فهو: يوفق ويسدد وينور الحق له وفيه، (ويهديه ويعينه على طاعته)[٢]، حتى يتضاعف فيه الهدى، ويدخله معرفة [٣] التقوى، ولا يكون ذلك إلا لمن قبل من الله سبحانه الهدى [٤] المبتدأ، (فإذا أطاع العبد الله وَأْتَمَرَ بأمره، وانتهى عن نهيه، وقبل ذلك شرح الله صدره، وأعانه على نيته)[٥]، فزاده عند قبوله له هدى، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]، فهذا معنى الشرح من الله لصدور مَن آمن به واتقاه، (وأما تضيق الصدر الذي ذكر الله سبحانه أنه يفعله بعبده، فإنما ذلك خذلان من الله لأهل المعاصي، على ما يكون من جزأتهم على الله عز وجل، وإقدامهم على معاصيه، فإذا حآدوا الله وخالفوه، وبإظهار المعصية باينوه، خذلهم وتبرأ منهم، فعدموا التوفيق فضاقت صدورهم، واختلطت عليهم أمورهم، بما استجلبوه في معصيتهم، جزاء على فعلهم، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، والله تعالى فليس يظلم عبيده، ولا يخرجهم من طاعته، ولا يدخلهم في معصيته، بل طريق الرشد هداهم، وسبيل نجاتهم آتاهم، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:٤٤]، فلو كان الظلم بقضاء من الله ما قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، ولكن الظلم منهم لأنفسهم، والتعدي بأفعالهم، والله بريء من أعمالهم.

ومن الدليل على أن أفعال المخلوقين منهم، ما يذكر الله سبحانه عن الظالم

---

(١) في (ب): قال محمد بن يحيى بن الحسين. .. وليس في (أ) شيء من هذا.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٣) في (ب): معرفته.

(٤) في (ب): من الله إلا لمن قبل أمر الله سبحانه الهدى.

(٥) سقط من (ب): ما بين القوسين.

إذ يقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩]، فأقر بالضلال على نفسه، واعترف به من فعله، ونسبه إلى قرينه، وبالمجير له، والمانع من طاعة ربه، وفي ذلك ما يذكر الله سبحانه عن موسى عليه السلام، وإذ يقول: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝﴾[القصص:١٥]، ولو كان فعل موسى صلى الله عليه من الله، لقال: هذا من قضاء ربي، ولم يقل: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، ولأن ما قضى الله به فليس هو من الشيطان، ولم ينسبه إلى الله ذي العزة والسلطان.

وكيف ينسب إلى الله سبحانه ما ليس من فعله؟! لقد افترى القائلون بذلك على الله، وقالوا بهتانا مبينا، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝﴾ [النجم:٢٣]، فأخبر عز وجل عنهم أنهم يتبعون الظن وهوى الأنفس، ولو كان منه ذلك بقضاء عليهم وتقدير، لكان من عنده، ولم يقل يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، وكيف يتبع هوى نفسه من قد منع من فعله، وإنما هو يتقلب في قضاء ربه، والله سبحانه فلا يقول إلا الحق، فهل يحل لمسلم أن ينسب فعلهم الذي نسبه الله إليهم، ويبرئ نفسه منه إلى الله. فإن قال بذلك قائل فقد رد كتاب الله وعانده، وخالف حكمه، تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا.

ومن الدليل على أن أفعال العباد منهم اختيارا، وتعديا على أنفسهم، ما قال الله سبحانه: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾

[الكهف:٤-٥]، فلو كانت هذه الكلمة حقا لله وقضاء قضى به عليهم، ما نفاها عن نفسه، ولا أكذبهم فيها، كما لم ينف عز وجل عن نفسه خلق السماوات والأرضين، وخلق جميع المخلوقين، فلما كانت أفعالا المخلوقين وكلامهم، وظلمهم لنفوسهم منهم، نسبها الله إليهم، وذمهم فيها، وعاقبهم عليها، جزاء على فعلهم، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران:١٨٢].

وأما جعله لصدر الفاسق ضيقا حرجا، فهو: بالخذلان منه له، وترك التوفيق والتسديد، وبما يزيد أولياءه في كل يوم برهانا، من الحجة النيرة والبيان، بما يقيم لهم به حقهم، ويثبت لهم به دعوتهم، فكلما زاد الله أولياءه نورا وظهورَ حجةٍ، ازدادت صدور أعدائه حرجا بذلك وضيقا، فهذا معنى جَعلِه لصدر عدوه ضيقا حرجا)[1].

٦٣) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ... إلى قوله: لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨] [2]؟

فقال: معنى [3] إتيان الملائكة فهو: حضورها لقبض أرواحهم عند الموت، ومعنى قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ فهو: يأتي حكم ربك عليهم بذلك، ومعنى قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ يقول: يأتيهم بعض آيات الله وغِيَرِه وانتقامه لأهل معصيته، والآيات فكثيرة، منها: الجوع، ومنها: العطش، ومنها: ذهاب الأموال، ومنها: نزول بعض نقمه عليهم من هلكة أو غيرها، ومنها: تسليط بعضهم على

(١) سقط من (أ): ما بين القوسين.
(٢) كمال الآية: ﴿...أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا...﴾.
(٣) سقط من (أ): معنى.

بعض، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝﴾ [الأنعام:١٢٩]، وما أشبه ذلك من آيات الله ونقمه وفعاله، بمن اجترأ عليه من خلقه.

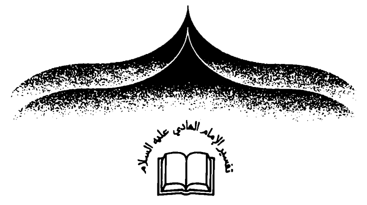
٦٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الأنعام:١٥٤]؟

فقال: معنى قوله: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا﴾ يقول: آتيناه التوراة تماما، لإحساننا إليه الأول، من إرسالنا له إلى فرعون وملائه بالآيات، والدلائل والعلامات، فأخبر [١] سبحانه أنه قد أتم له كل إحسان كان منه إليه، بما أعطاه من الكتاب، ومعنى ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ فهو: تماما للذي أحسنا به أوّلا، فقامت ﴿عَلَى﴾ مقام ﴿اللام﴾ إذ هي من أخواتها [٢] من حروف الصفات، ومعنى ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ فهو: تبينانا لكل شيء افترضه عليهم، فأخبر أن الكتاب الذي آتاه موسى صلى الله عليه وهو التوارة، تبين كل شيء افترضه على أهلها، مما أمرهم به ونهاهم عنه.



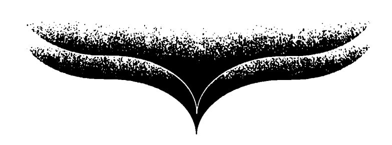
(١) في (ب): فأخبره.

(٢) سقط من (ب): من أخواتها.



تفسير

سورة الأعراف



ومن سورة الأعراف

٦٥)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف:٤٦]؟

الجواب في ذلك: أن ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ هو: ما ارتفع من الأرض وعلا، وشمخ منها في الهوى.

فتلك أعراف الأرض ومعارفها.

والرجال التي عليها في يوم الدين، فقد قيل: إنها رجال من المؤمنين.

وقيل: إنها الحفظة التي كانت من الملائكة المقربين، حفظة في الدنيا على العالمين، التي قال الله في كتابه وذكرهم، وما أخبر من حفظهم لمن كان من الخلق معهم، حين يقول: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾[ق:١٧-١٨]، وهذا فأشبه المعنيين عندي والله أعلم وأحكم.

ومعنى ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فهو: معرفة أولئك الحفظة لمن كانوا يحفظون.

ومعنى ﴿يَعْرِفُونَ﴾ فهو: يتعرفون ويتفهمون، حتى يوقنوا بهم، ويعرفوهم ويقفوا عليهم ويثبتوهم معرفة. ومعنى ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ فهو: بحليتهم التي كانوا يعرفونها في الدنيا، ومعناهم في صفاتهم وخلقهم، وبنيتهم المعروفة من صورهم.

٦٦)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف:١٦٤] فقلت: هل دخلت هذه الأمة القائلة ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ في الهلكة، أم هي من الهلكة ناجية؟

وكيف تدخل في العذاب والنقم، وهي منكرة على أهل العصيان من الأمم.

٦٧)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣]، فقلت: ما هذا التأويل، وعلى ما يخرج من الأقاويل؟

واعلم أنه تأويل ما كان يأتي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من الوعد والوعيد من ذي الجلال والإكرام [١]، مما كانت قريش ومن معها [٢] من المشركين، وكثير ممن كان معه صلى الله عليه وآله وسلم من المنافقين يكذبونه ويجحدونه [٣]، ويأبون التصديق به ويبطلونه، من الحشر والميعاد، وما أعد الله سبحانه للعباد، من الثواب الذي أعده للمحسنين، والعقاب الذي جعله سبحانه جزاء للفاسقين، ألا تسمع كيف حكى ذلك عنهم الرحمن، حين [٤] يقول في واضح ما نزل من الفرقان، من قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝﴾ [المؤمنون:٨٢-٨٣] [٥]،

(١) في (ب): من الله سبحانه.

(٢) في (ب): ومن تبعها.

(٣) في (أ): يكذبون به ويجحدون.

(٤) في (ب): حيث.

(٥) في (أ) أثبت الآية هكذا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۝﴾ والآية الثانية مختلفة كما ترى، فهي من سورة النمل:﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾ [النمل:٦٧-٦٨].

فأخبر سبحانه عن مجيء تأويل [١] ما كانوا يوعدون، مما [٢] كانوا به يكذبون، من يوم حشرهم وعقابهم، وما يعاينونه [٣] من حسابهم.

٦٨) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩]، فقلت: إذا كان الله قد ذرأهم لها، فكيف يقدرون على المخلص منها؟

واعلم أن الذَّروَ الذي ذكر الله هو الذرو الثاني في الحشر، حشر المؤمنين إلى النعيم المقيم، وحشر المنافقين الفاسقين إلى العذاب الأليم، لا ما يتوهم الجهلة العَمُون، على رب العالمين، من خلق الفاسق فاسقا، والمنافق منافقا، والصالح صالحا، والطالح طالحا.

ولو كان ذلك كذلك لما أرسل إليهم المرسلين، ولما أمرهم بأن يكونوا من المؤمنين، ولكان في أمره إياهم بذلك داعيالهم إلى مغالبته، آمرا لهم بالخروج من جنته، ولم يكن المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولم يكن المذنب أولى بعقوبة المذنب من المحسن، و﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

٦٩) وسألت عن قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ﴾ [الأعراف:١٤٣]؟

فلم يرد موسى عليه السلام ما يتوهم الجاهلون، من أن يكون سأل أن يَرى ما لا يُرى، وموسى عليه السلام أعرف بالله من أن يجعله محدودا.

---

(١) سقط من (أ): تأويل.

(٢) في (ب): وما.

(٣) في (أ): يعاينون.

وإنما معنى قوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ هو: أرني آية من كبار آياتك، أنظر بها إلى عجائب قدرتك، وإلى ما لا أشك فيه من عجائب فعلك، الذي لا يناله غيرك، ولا يقدر عليه سواك، فأوحى الله إليه أنك: قال تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يقول: إنك لن ترى مني تلك الآية، لضعف بنيتك عما طلبت من عظيم آياتي، التي لا يقوم لها فِطَرُ الآدميين، ولا يقدر على تأملها أحد من الآدميين، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الذي هو أشد منك بُنية، وأقوى منك فطرة، فإني سأهبط عليه بعض ما سألتني أن تراه من عظيم آياتي، فإن استقر هذا الذي هو أشد منك بنية، عند تجلي الآية عليه، ووقوعها به [1]، فسوف أريكها أو مثلها، وإن لم يستقر ولم يطقها، فكيف تسألني أنت أن أريكها أو مثلها؟!! بل كيف تقوى بنيتك الضعيفة لها، ولم يقم لها جسم الجبل العظيم، الصخر الصلد الجسيم [2]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾، يقول: فلما تجلت آية ربه للجبل ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ فقال: تجلى ربه، وإنما معناها: تجلت آية ربه، وهذا من العربية فكثير، أن تقيم الشيء مقام ما هو منه، مثل ذلك قول الله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ [يوسف:٨٢]، فقال: العير والقرية، وإنما القرية: الجدر [3] والأرض، فلم يُرد ذلك، وإنما أراد: أهل القرية، فطرح أهل وأقام القرية مقام أهلها، ﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ والعير فهي: الإبل، وليس تُسأل الإبل، وإنما أراد: أهل العير، فطرح الأهل وأقام العير مقامهم، فعلى ذلك يخرج معنى [4] قول الله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ ولله المثل الأعلى،

---

(١) سقط من (ب): به.
(٢) سقط من (ب): الصخر الصلد الجسيم.
(٣) في (ب): والقرية: الجدر.
(٤) سقط من (أ): معنى.

ومعنى قوله: ﴿لِلْجَبَلِ﴾ فهو: على الجبل، غير أن حروف الصفات[1] يقوم بعضها مقام بعض، ويجزي بعضها عن بعض.

ومن الحجة في أن العرب تطرح الشيء وتقيم ما كان من سببه مقامه، قول الشاعر:

ألا إنني أسقيت أسود حالكا   الأبجلي من الشراب الأبجلي [2]

والأسود لا يشربه أحد ولا يُسقاه، وإنما هي الحية السوداء، وإنما أراد: إني سقيت سم أسود، فطرح السم وأقام الأسود مقامه.

٧٠) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢]؟

فأخذُ الله سبحانه على بني آدم، فهو: أخذه على أولهم، ما أخذ من الإقرار به وبوحدانيته وربوبيته، والإقرار بفرائضه وكتبه ورسله، لا يزيله عنهم شيء إلى أن تقوم الساعة، فرضا لازما في الأولين والآخرين، فهذا معنى: أخذ الله من بني آدم، ومعنى ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ فهو: أخذه على نسلهم نسلا بعد نسل، والظهور ما يخرج من الظهور من النسول، وعلى ما يخرج منها، كان الأخذ عليها، ألا تسمع كيف

---

(١) يعني: حروف الجر.

(٢) البيت لطرفة بن العبد من قصيدة مطلعها:

لخولة بالأجزاع من إضم طلل   وبالسفح من قوّ مقام ومحتمل

بلفظ:

ألا إنني شربت أسود حالكا   ألا بجلي من الشراب ألا بَجَلْ

يقول: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فأخبر بذلك أنه عنى الذرية التي تخرج من الظهور، ومعنى ﴿أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فهو: بما جعل من حجج العقل، الشاهدة لهم وفيهم، هذه بحقائق ما أخذ الله من الإقرار بربوبيته ووحدانيته عليهم [1].

٧١) وسألت عن قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩]؟

فمعنى قوله: ﴿ذَرَأْنَا﴾ هو: أنشأنا وجعلنا، وهو الذرو الآخر، والنشأة الآخرة في يوم القيامة، عند خروج الناس من قبورهم، فيساق أهل كل دار إلى دارهم، من عمل في الدنيا خيرا حُشر إلى الجنة وذُري لها، ومن عمل في الدنيا شرا حُشر إلى النار وأنشئ لها وإليها، جزاء على عمله، وإعطاء لما أسلف من فعله، وأما ما ذكر الله من القلوب والأعين والآذان، فإنه أخبر بذلك أنهم كانوا لا ينتفعون بها في الدنيا، كانوا لا يميزون بقلوبهم ما أمروا بتمييزه، ولا يعتبرون بما يرونه من أثر صنعة الله لغيرهم، ولا يقبلون عن الله ما يسمعونه بآذانهم، فهم في قلة القبول والاهتداء [2]، وترك الانتفاع بما يُسمع ويُرى، كالأنعام بل هم أضل من الأنعام، لأن معهم من التمييز ما ليس معها، ثم هم في الإعراض وقلة الانتفاع كهن [3] سواء، فهم بذلك

---

(١) سقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

(٢) في (أ): والاقتداء.

(٣) في (أ): هي في الإعراض وقلة الانتفاع كهم.

وشبهه أشر منها وأردى، وآفك عن الحقيقة وأبلى، فنعوذ بالله من الحيرة والعمى، والهلكة باتباع الهوى[١].

قال أبو القاسم الإمام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى.

٧٢) سألت أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه [٢] ورحمته، عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]؟

فقال: يعني سبحانه أنه أخذ على آدم صلى الله عليه وعلى ذريته العهد، بما ذكر من[٣] المعرفة والإقرار بربوبيته، والتوحيد له والقول بالحق فيه، وألزمه وإياهم الإقرار بذلك، فكان ذلك عهدا أخذه من آدم في عصره، وحينه [٤] عقدا باقيا، وفرضا على ذريته لازما لهم، إلى يوم الدين، وحشر العالمين، فلما أن كان سبحانه قد أخذ العهد على آدم بذلك، وجعله فرضا ثابتا على ذريته، لا يتغير حاله، ولا يزول فرضه، وإيجابه له على الخلائق أبدا، وكان ذلك عهدا عقده الله عز وجل على آدم وذريته إلى يوم الدين، جاز أن يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ومعنى ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ يقول: من نسولهم وعقبهم، نسلا فنسلا، وعقبا بعد عقب.

---

(١) في (أ): الهواء وسا. وكتب على الكلمة الأخيرة (كذا).
(٢) في (أ): عليهما. وما أثبت اجتهاد.
(٣) في (أ) و (ب): عن.
(٤) في (أ): من بني آدم في عصره وذريته.

وأما قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ فهو: بما جعل وركب من العقول لهم، فكانت العقول [١] تشهد لمن أنصفها، بأثر الصنع فيها لخالقها، وتدل بذلك على الله صاحبها، فهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، وقد يكون الإشهاد يخرج على معنى الشهادة منهم على أنفسهم، والإقرار بما أخذ سبحانه من العهد [٢] عليهم، فكل ذلك حسن في [٣] معناه، جائز لمن احتذاه، فافهم [٤] هُديت ما عنه سألت، نسأل الله لنا ولكم التوفيق والتسديد.

٧٣) و[سئل] عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]؟

فقال: إن آدم وحواء صلى الله عليهما لما أسكنهما الله الجنة التي ذكر في كتابه، نظر آدم صلى الله عليه إلى خلقه ونظر إلى خلق حواء عليهما السلام، فقال: لئن آتيتنا ولدا على مثل خلق آدم لنجلسه لعبادتك وطاعتك، فلما أن رزقهما الله تبارك وتعالى ولدا ذكرا، وشب ذلك الغلام وكبر، لم يستغن عنه أبوه في معونته، في حرثه وزرعه وجميع مرافقه، فاستخدمه يوما، وخلاه لعبادة ربه يوما، فكان على ذلك فعله، فأنزل الله

---

(١) سقط من (أ): العقول.

(٢) في (أ): العهود.

(٣) سقط من (أ): في.

(٤) في (ب): فافهم ذلك. وسقط ما بعده.

تباك وتعالى قرآنا، وهو قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، لا ما يقول به الجاهلون، القائلون على الله ما لا يعلمون [1].

٧٤)وسئل عن قول الله سبحانه في ما يحكي عن موسى عليه السلام إذ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف:١٢٨]، قال: كيف يستعان بالله، وما يقول المستعين؟

قيل له: الاستعانة بالله هي: العمل لا المقال، من كل مستعين من النساء والرجال، والاستعانة بالله هي العمل بطاعة الله، والأمر بأمره، والنهي عن نهيه،

---

(١) أخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه والحاكم وصححه، عن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش له ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبير قال: لما أهبط الله آدم وحواء ألقى في نفسه الشهوة لامرأته، فتحرك ذلك منه فأصابها، فليس إلا أن أصابها حملت، فليس إلا أن حملت تحرك ولدها في بطنها، فقال: ما هذا؟ فجاءها إبليس فقال لها: إنك حملت فتلدين. قال: ما ألد؟ قال: ما هل ترين إلا ناقة أو بقرة أو ماعزة أو ضانية هو بعض ذلك، ويخرج من أنفك أو من عينك أو من أذنك. قالت: والله ما نمي من شيء إلا وهو يضيق عن ذلك ! قال: فاطيعيني وسميه عبد الحارث – وكان اسمه في الملائكة الحارث – تلدي مثلك، فذكرت ذلك لآدم فقال: هو صاحبنا الذي قد علمت. فمات ثم حملت بآخر، فجاءها فقال: أطيعيني أو قتلته فإني أنا قتلت الأول، فذكرت ذلك لآدم فقال مثل قوله الأول، ثم حملت بالثالث فجاءها فقال لها مثل ما قال، فذكرت ذلك لآدم فكأنه لم يكره ذلك، فسمته عبد الحارث، فلذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾. الدر المنثور ٣/ ٦٢٣ – ٦٢٤.

والوقوف عن معاصيه، فمن عمل ذلك من الناس، فقد استعان بالله [١] الواحد الرحمن.

وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝﴾ [النحل:١٢٨]، ومن كان الله معه، فقد قهر أمرُه وقوي، ومن لم يكن الله معه فقد عجز في أموره وغوي، والله سبحانه فلا يكون إلا مع مَن ذكر من المتقين المحسنين[٢]، وإذا لم يكن إلا مع المتقين فهو: لا شك خاذل للفاسقين، ومن خذله الله فقد هلك وهوى، ومن وفقه الله وأعانه قهر أمره وعلا، ألا ترى كيف [٣] يدل آخر الآية التي سألت عن تفسير أولها، على جميع ما عنه[٤] سألت، منها حين يقول: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، فأخبرهم سبحانه أن استعانتهم به لا تنجح إلا [٥] للمتقين، وفي هذا[٦] دليل لمن عقل وفهم، واستضاء بنور كتاب الله فعمل، على ما قلنا به من تفسير الآية وشرحنا.

٧٥) وسألته عن قول موسى صلى الله عليه: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]؟

قال: معنى قوله: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، فهو: أرني آية من عظيم آياتك، أنظر بها إلى قدرتك، وأزدد بها بصيرة في عظمتك وقدرتك، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، يقول: لن تقدر على نظر شيء من عظيم الآيات، التي لو رأيتها لضعف جسمك، ولطف

---

(١) سقط من (ب): بالله.

(٢) في (ب): والمحسنين.

(٣) في (أ): أمره ألا ترى يدل.

(٤) في (أ): عليه.

(٥) سقط من (أ): إلا. ومن (ب): به.

(٦) في (ب): فهذا.

مركبك ولأهلكتك، ولما قدرت على النظر إليها لعجزك وضعف مركبك، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى﴾ هذا ﴿ٱلْجَبَلِ﴾، الذي هو أعظم منك خلقا، وأكبر منك جسما، ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ إذا أريته بعض ما سألتني أن أريكه، ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، يقول: فسوف ترى ما سألت من عظيم الآية، ولن تقدر على ذلك أبداً، ولا تقوم له أصلا، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، معنى ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾، أي: أظهر آيته، وأبان قدرته، ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، يقول: مغشيا ميتا، لما رأى من الهول العظيم الذي لا يقدر على رؤيته لعجزه وضعفه، وإن كان الذي أظهره الله وأبانه من لطيف آياته، فجاز أن يقول: ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾، لما كان ذلك من فعله وتدبيره، وأمره وإرادته. وهو كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، يقول: تأتيهم الآيات، وما يريد أن يحل بهم من العذاب والنقم والآفات. وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، يقول: نضرة مشرقة حسنة، وهذا معروف في اللغة والبيان، تقول العرب للرجل إذا أرادت له خيراً: نضَّر الله وجهك، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، أي: ناظرة لثوابه، وما يأتيهم من خيره وفوائده، ومن ذلك ما تقول العرب: قد نظر الله إلينا، وقد نظر الله إلى بني فلان إذا أصابهم الخصب بعد الجدب، والرخاء بعد الشدة. وإنما أراد بذلك: أن الله قد رحمهم وأتاهم بالنعمة، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ موسى صلى الله عليه، ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾، يقول: لو ابتليتني وأريتني وأظهرت لي من بعض ما سألتك، مما أهلكت به الجبال الراسية لما قام لها جسمي، ولأهلكتني بقليلها، ولما احتمل ذلك لطيف خلقي، وضعف مركبي، أنظر إلى عظيم ما ذهبت به الجبال الراسية، فلك الحمد

على ما صرفت عني من ذلك، رحمة منك بي، وتفضلاً علي، وزيادة وإحساناً إلي.

فهذا معنى قوله: ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، لا ما ذهب إليه من جهل وزعم أن الله يرى، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيرا. كيف وهو يقول في كتابه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣] .



تفسير الإمام الهادي عليه السلام

تفسير

سورة الأنفال



ومن سورة الأنفال

٧٦) وسألته عن قوله سبحانه: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ... إلى قوله: وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝﴾ [الأنفال:٥-٦] [(١)]؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى بما كان من خيرته لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في خروجه إلى أحد، وتبرزه عن المدينة حتى كان الحرب بأحد، ولم يكن على أبواب المدينة، فكان ذلك خيرة من الله لنبيه، فأما قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝﴾ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاورهم أين يكون قتالهم، أترون أن نثبت حتى يأتونا المدينة فنقاتلهم على دروبها؟ أو نخرج فنقاتلهم ناحية منها؟ فأشاروا عليه بالقتال في المدينة فأطاعهم، ثم بدا لهم فأشاروا بالخروج فأطاعهم، فدخل منزله ولبس لامته، ثم ركب وخرج، فلما أن خرج قالوا: يا رسول الله ارجع بنا إلى الرأي الأول، إلى القتال على أبواب المدينة، نبيت لهم حتى يأتونا إلى هاهنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما كان لنبي إذا لبس لامته - يعني درعه - أن يفسخها حتى يقاتل. ومضى صلى الله عليه وآله وسلم نحو أحد، فكرهوا ذلك وجادلوه فيه، وثقل عليهم الخروج إلى قريش، ورجع من الطريق عبد الله بن أبي الأنصاري في ثلاث مائة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في باقي الناس، وبهم من الهيبة والفَرَق ما قال عز وجل: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ

---

(١) كمال الآية: ﴿...وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ...﴾.

يَنظُرُونَ﴾، من لقاء القوم، وحاربهم وكان من الأمر ما كان (١).

---

(١) قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قا: «رأيت بقرا لي تُذبح؟ قال: فأما البقر، فهي ناس من أصحابي يقتلون، وأما الثَّلم الذي رأيت في ذباب سيفي، فهو رجل من أهل بيتي يقتل.

قال ابن إسحاق: فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يرى رأيه في ذلك، وألا يخرج إليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره، ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبُنا عنهم وضعُفنا؟ فقال عبد الله ابن أبي بن سلول: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قطُّ إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين كان من أمرهم حبُّ لقاء القوم، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيته، فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار، يقال له: مالك بن عمرو، أحد بني النجار، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: يا رسول الله، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ألف من أصحابه.

قال ابن هشام: واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأُحد، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوّهم، فقالوا: لو نعلم أنك

٧٧) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٢]، فقلت: ما هذا الأمر الذي يقضيه الله وما قضاؤه؟

وهذا فإخبار من الله للمؤمنين بما وفق لهم من المعونة والنصر، ومنَّ به في ذلك عليهم من الظفر.

والأمر المقضي فهو: النصر من الله للمؤمنين، على من ناصبهم من الكافرين، وقوله: ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ يريد: كان لله [1] حكما وفعلا مفعولا، في قديم الدهر وحديثه، وقبل إيجاد يوم بدر وتكوينه، لأن الله لم يزل منذ خلق الدنيا، حاكما بالنصر منه لأهل التقوى، فمن اتقاه ونصره، أعانه وأيده ونصره، وذلك قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، وقوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

وقلت: ما قضاؤه له؟

فهو: إيجاده له وفعله.

٧٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:١]؟

فقال: الأنفال فهي: الغنائم التي نفلها الله المسلمين وجعلها لهم وأطلقها، ولم

تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيُغني الله عنكم نبيه. سيرة ابن هشام ٣/ ٦٧ – ٦٨.

(١) في (ب): له.

يكن أطلقها لأحد قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم [(١)]، فأخبرهم الله أنه لا يجوز لهم فيها هبة ولا قبض ولا انبساط، وأعلمهم أن الحكم فيها إلى الله ورسوله، فحكم الله عز وجل فيها ورسوله بما قد علمتم [(٢)] من خمسها، وقسم الأربعة الأخماس على من[(٣)] حضرها من الرجال والفرسان، على الأسهم المعروفة، «للراجل سهم وللفارس سهمان»[(٤)].

٧٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝﴾ [الأنفال:٢٣]؟

فقال: معنى قوله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ فهو: لوفَّقهم، ولسددهم فهداهم، وأرشدهم إلى صواب ما يسمعون، وإليه من الحق يُدعون، ولكن لم يَعلمهم ممن يريد الحق، ولا يصدِّق فيستأهل منه ما ذكر من الإسماع، الذي هو الهداية والتوفيق والتسديد، بل علم أنه لو فعل ذلك بهم ما قبلوه ولتركوه، وتولوا عنه وهم معرضون عن قبوله، وعن الإقرار به.

---

(١) أخرج البخاري برقم (٣٢٣) عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً.

(٢) في (أ): علمته.

(٣) في (أ): ما.

(٤) أخرج أبو داود في السنن ٣/ ١٦٠ (٣٠١٥)، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٤٣ (٢٥٦٣)، والبيهقي في الكبرى ٦/ ٣٢٥ (١٢٦٤٨)، وأحمد ٣/ ٤٢٠ (١٥٥٠٨)، كلهم (فأعطى الفارس سهمين والراجل سهما). ومثله في البخاري في غزوة خيبر ٦/ ٥٠- ٥٢، ٧/ ٤٧١، ومسلم بشرح النووي ١٢/ ٨٢- ٨٣.

٨٠)وسألته عن قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[الأنفال:٧]؟

فقال: الطائفتان فهم [١] عسكر قريش الذي لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببدر، والطائفة الأخرى فهي العير التي أقبلت من الشام إلى مكة تحمل الطعام، فلما أن[٢] وعدهم الله أ ن يظفرهم بإحدهما [٣]، أحب المسلمون وودوا أن تكون طائفة العير والطعام، الذي ليس فيه إلا الجمالون [٤] الذي لا يحاربون ولا يدافعون عنها، ولا شوكة فيها، وأشفقوا من طائفة العسكر والجيش الذي فيها السلاح والخيل والقتال، فأحبوا أن يلقوا غير هذه الطائفة فيكون أهون عليهم في المعاناة وأسلم لهم، وكان الله يريد غير ذلك من إذلال العسكر ومن فيه، وقتل أعداء نبيه، وإظهار النصرة على عدوه، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل [٥].



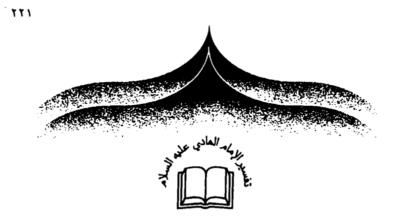
(١) في (ب): فهو.

(٢) سقط من (ب): أن.

(٣) في (أ): بإحديها.

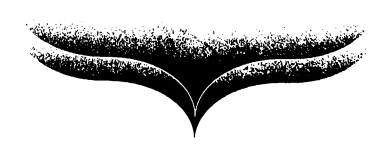
(٤) سفي (أ): الحمالين.

(٥) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ قال: الطائفتان إحداهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام، والطائفة الأخرى أبو جهل بن هشام معه نفر من قريش، فكره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا أن يلتقوا العير، وأراد الله ما أراد. الدر المنثور ٤/ ٢٧ – ٢٨.



تفسير

سورة التوبة



ومن سورة التوبة

٨١)وسألته عن قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة:٤٩]؟

فقال: نزلت هذه الآية في جد بن قيس وذلك أنه أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج معه في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله قد علمت إعجابي بالنساء ومحبتي لهن، وأنا أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر، وافتتن بهن، فأنزل الله سبحانه: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ (١)، يقول سبحانه: ألا في العذاب وقع وسقط(٢)، والفتنة فمعناها: العذاب، فأخبر سبحانه أنه حاد وتعلل، بمعنى قد وقع فيه، بتخلفه عن رسول الله.

---

(١) أخرج ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، أبو نعيم في المعرفة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد بن قيس: ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟ فقال: إني أخشى أن رأيت نساء بني الأصفر أن افتتن فائذن لي ولا تفتني، فأنزل الله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ... ﴾ الآية ».
وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لجد بن قيس: يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر؟ قال جد: أتأذن لي يا رسول الله؟ فإني رجل أحب النساء، وإني أخشى إن أنا رأيت نساء بني الأصفر أن افتتن. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو معرض عنه: قد أذنت لك. فأنزل الله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ...الآية». الدر المنثور ٤/ ٢١٣.
(٢) سقط من (ب): وسقط.

٨٢) وسألت عن سورة براءة، لِمَ لَمْ يكتب في أولها: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟

واعلم - هداك الله ووفقك، وأعانك على نجاتك وبَصَّرك - أن بسم الله الرحمن الرحيم، مفتاح خير وبركة، ورضا وتزكية، أثبتها الله فيما كان نزله على نبيه وعلى المؤمنين من القرآن، وأن براءة نزل أولها مفتاح حرب وإنذار، ونبذا [(١)] للعهد الذي كان بين الرسول وبين المشركين، وإنذارا وإيعادا لهم من ذي الجلال والإكرام، عن المسجد المطهر والبيت الحرام، وإخبارا لهم بأن ما كانوا يفهمون ويعرفون قد زال وتصرَّم وحال، وأنهم إن ثبتوا على شركهم قتلوا حيث ما ثقفوا، إشادة من الله سبحانه بذكر الإسلام، وإظهارا وإعزازا لدعوة نبيه عليه السلام، فلذلك لم يثبت فيها بسم الله الرحمن الرحيم.

٨٣) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]؟

وكلام الله فهو: وحي الله وقوله، وإنما قيل: كلام الله، لأنه من فعل الله، وما كان من فعل الله، فهو: منسوب إلى الله.

لأن هذا الكلام خلق الله، فلما أن كان من الله وفعل الله، نسب إليه، كما يقال: سماء الله، وأرض الله، وعبيد الله.

٨٤) وسألت عن من فعل مثل فعل الثلاثة الذين خلفوا، هل يجوز أن يفعل فيهم مثل ما فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المنع لهم من أهلهم، والنهي عن معاشرتهم؟

---

(١) في المخطوطتين: ونبذ. وما أثبت اجتهاد.

فاعلم – هداك الله وأعانك – أن ذلك كان فعلا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فَعَلَه بهم لما أراد من توبة الله عليهم، وشاء من صفحه عنهم، فأحب صلى الله عليه وآله وسلم إذ صدقوه ولم يكذبوه، أن يفعل ذلك بهم استدعاء لرحمة [1] الله لهم، وحسن جزائه على صدقهم [2]، وإن ذلك لا يجوز لأحد من العباد، أن يفعله لمن تخلف عن الجهاد، ولكن له أن يفعل بهم غير ذلك من الإخزاء والفضيحة والإبعاد، وطرح شهادتهم، وإزالة عدالتهم، عند حكام المؤمنين.

٨٥) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾[التوبة:٣٧]؟

فالنسيء هي: الأشهر التي كان أهل الجاهلية يُنسونها، ومعنى يُنسونها فهو: يبدلونها ويتركونها، كانوا يجعلونها هي، ويعصون في الأشهر التي أبدلوا عن التظالم، فهذا معنى ﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾، يُنسون هذا ليتركوه مرة، ثم يأخذونه وينسون غيره، مرة يحرمون التظالم في شهر، ومرة يحلونه فيه ولا يحرمونه في غيره، فأخبر الله تبارك وتعالى أن هذا من فعلهم، زيادةٌ في ما هم عليه من كفرهم، وتمردا على خالقهم، فضلَّ به الكافرون من فعلهم، يحلونه عاما ويحرمونه عاما، ويطلقونه وقتا ويحرمونه وقتا، فأخبر الله بفضائحهم في ذلك، وأعلم أنهم في الكفر كذلك.

٨٦) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة:١٠٢]؟

---

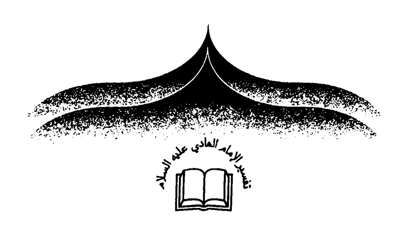
(١) في (ب): للرحمة.

(٢) القصة مذكورة في كتب السير، وهي أيضا في الدر المنثور ٤/ ٣٠٩، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ...﴾.

فقال: هؤلاء أهل التوبة إلى الله من بعد المعصية، فذكر الله سبحانه أنهم عملوا عملا سيئا، ثم خلطوا أعمالهم بالصالحات، فعملوا بها من بعد التوبة وبعد العمل الرديء، ومعنى ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ فهو: إيجاب لقبول التوبة عن التائبين من بعد الإخلاص لله بالتوبة، وليس كما يقول الجهال: إنهم يعملون قبيحا وحسنا في حالة واحدة، ويقبل منهم الحسن، هذا ما لا يكون، لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧] ومن كان في معصية ربه فليس بمتقي، ومن لم يكن بمتقي فليس يقبل عمله منه (١).



(١) سقط من (ب): هذا السؤال وخمسة عشر سؤالا قبله.



تفسير
سورة يونس



ومن سورة يونس

٨٧) قلت فما معنى قوله في فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝﴾ [يونس:٩٠]، فهل قبل الله ذلك منه؟

قال: لا، ألا تسمع كيف يقول الله: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝﴾ [يونس:٩١]، وقوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ [يونس:٩٢]، وإنما أمر الله البحر فألقاه على جانبه شلوا ميتا، وقوله: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ فالبدن هو: الدرع، وإنما كانت درعا [1] من جوهر وياقوت قد اتخذها، وكان لا يلبسها إلا في عظائم أموره الجسيمة الفادحة، فأراد سبحانه أن ينجيه بها ليعرفه [2] من رآه من قومه فيعتبرون به، ويعلمون أن الله تباركت أسماؤه، هو الذي أهلكه، وأنه لا مغالب لحكمه، وهو السميع العليم.

٨٨) قلت: فما الدليل على ما قلت في البدن من أنها الدرع، بيِّنه لي من لغة العرب حتى أفهمه؟

قال: الدليل على ذلك ما يقول الشاعر:

.... تَحبونَ للركبات في الأبـدان [3]

(١) في (أ): درع.

(٢) في (أ): لمعرفه. لعلها مصحفة.

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص من قصيدة له مطلعها:

لمن الديار ببرقة الروحان ... درست وغيَّرها صروف زمان

إلى أن قال: أما إذا دُعيت نَزالِ فإنهم ... يحبون للركبات بالأبدان

وذلك عندما يكون من تنبذ الحرب بينهم، وهذا دليل على ما سألت عنه، وذلك فيه كفاية إن شاء الله [(١)].

٨٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:٤٦]؟

فقال: الذي نعدهم فهو [(٢)]: الانتقام منهم، فقال سبحانه: إن أريناك ذلك فبفضل منا، وإن لم نرك إياه في الدنيا فستراه وتعلمه في الآخرة، عند رجوعهم إلينا، ونزول العذاب بهم في يوم الدين.

٩٠) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس:٨٨]؟

معنى ﴿ءَاتَيْتَ﴾ فهو: أعطيت فرعون وقومه هذه الأموال والزينة. ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ معناه [(٣)]: لأن لا يضلوا، ولأن يشكروا ويؤمنوا، فلم يفعلوا ولم يهتدوا، بل عصوا فطغوا وخالفوا، فقال: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾، وإنما أراد: لأن لا يضلوا، فطرح الألِفَ استخفافا لها، والعرب تفعل ذلك [(٤)]، تطرحها وهي تريدها، وتثبتها وهي لا تريدها، فبقيت ﴿لِيُضِلُّواْ﴾، فدخلت النون في أدراج الكلام، فبقيت ﴿لِيُضِلُّواْ﴾، والمعنى فيها: لأن لا يضلوا، فلما أن طرح الألف جار كما ذكرنا.

---

(١) سقط هذا السؤال والذي قبله من: (ب) و(ج).
(٢) في (أ): هو.
(٣) في (أ): معنا.
(٤) في (أ): كذلك.

وطرحُ الألف في القرآن كثير، وفي لغة العرب وأشعارها، من ذلك قول الله سبحانه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝﴾ [القيامة:١]، و﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝﴾ [البلد:١]، المعنى فيها: معنى قَسَم، أراد الله سبحانه ألا أقسم، فطرحها استخفافا لها، فمخرج اللفظ معنى نَفْي، وإنما معناه معنى إيجاب، ألا أقسم.

وقد تثبتها العرب في كلامها وهي لا تريدها، فيخرج معنى اللفظ معنى نفي، وإنما معناه معنى إيجاب. من ذلك قول الله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ﴾ [الحديد:٢٩]، فقال: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾، وإنما المعنى فيها: ليعلم. فأثبت فيها وهو لا يريدها، وقد تفعل ذلك العرب تثبت (لا) [(١)] وهي لا تريدها، وتطرحها وهي تريدها، فأما إثباتها وهو لا يريدها فقوله [(٢)]: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، فأثبتها وهو لا يريدها، وأما طرح الألف [(٣)] وهو يريدها فهو: ما ذكرنا من قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ [(٤)]، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝﴾ [القيامة:١]، و﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝﴾ [البلد:١]، ومثله: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝﴾ [الصافات:١٤٧]، فقال: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾، فأدخل الألف هاهنا وهو لا يريدها، وإنما معناه: يزيدون على المائة الألف، فخرج المعنى حين أثبت الألف معنى شك، وإنما المعنى: معنى إيجاب، ونَسَقَ بالواو للزيادة على المائة الألف، غير أن الألف دخلت وليس لها هاهنا معنى، فاختلف الظاهر والمعنى.

---

(١) في (أ): تثبتها.

(٢) في (أ): في قوله.

(٣) في (أ): وأما طرح الألف وهو يريدها فقوله: . . .

(٤) في (أ) و(ب) و(ج): أثبتت الآية هكذا: لئلا يضلوا. والآية كما أثبت.

٩١)وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:١٩]؟

المعنى في ذلك: أن الله سبحانه أخبر أن الناس في الحق كانوا أمة واحدة، في الإقرار بالله وما أمروا به من طاعة الله، وأن الحكم من الله والأمر لهم في ذلك وله، لم يزل واحدا حتى اختلف أهل العصيان والخلاف، فعصوا وخالفوا ما جعل الله لهم من الأصل في الدين، وثبّت لهم من اليقين، بغيا وضلالا، وكفرا بالله وطغيانا، ومعنى قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: لولا حكم من ربك سبق بالتأخير لهم إلى يوم القيامة، لقضي بين المحقين والمبطلين، ولكن سبقت هذه الكلمة، وهي الحكم من الله بالتأخير، لمن خالف الحق إلى عقوبة الآخرة بالنار وبئس المصير، وربما أذاقهم سبحانه من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر[1].

٩٢)وسألت عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩]، وعن قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ [النحل:٩]؟

فمعنى هاتين الآيتين وتفسيرهما، كمعنى قوله في سورة الجرز[2]: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة:١٣]، سواء سواء، لا فرق بينهما في سبب ولا

(١) سقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

(٢) سقط من (أ): في سورة الجرز، والجرز هي سورة السجدة..

معنى، والجواب في ذلك أوّلا، يجزي عن شرح هاتين أيضا [١].

٩٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس:٨٧]؟

فقال: أمرهما أن يتبوءا لقومهما بمصر [٢] بيوتا، وهي القرى والأمصار، ومعنى قوله: ﴿بِمِصْرَ﴾ أي: بمصر من الأمصار، فقد قيل: إنها مصر هذه المعروفة [٣]، ومعنى ﴿قِبْلَةً﴾ فقد قيل: إنها مواجهة أبوابها للقبلة [٤]، وقد قيل: إن معنى ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: اجعلوا جميع قراكم أهل ملة ودعوة وصلاة إلى بيت المقدس وصلة، والمعنى الآخر أحبها إلي وأحسنها عندي.



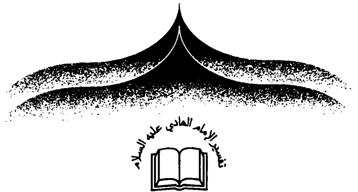
---

(١) في (ب): وقد ذكرنا ذلك في تلك السورة وهو يجزي عن ذكره هاهنا.

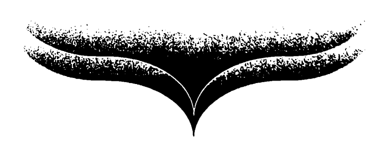
(٢) سقط من (ب): بمصر.

(٣) أخرج ابن جرير، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ قال: مصر الإسكندرية. الدر المنثور ٤/ ٣٨٣.

(٤) أخرج أبو الشيخ، عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ قال: ذلك حين منعهم فرعون الصلاة، وأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم، وأن يوجهوها نحو القبلة. الدر المنثور ٨/ ٣٨٣.



تفسير
سورة هود



ومن سورة هود

٩٤) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥] فقلت: فإن قال قائل من المجبرة: فإذا [1] كان هو الموفي ذلك إليهم، أليس ذلك فعله بهم؟! فما المعنى في ذلك؟ ثم قال [2]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٦]؟!

وكذلك الله الصادق في قوله، العادل في فعله، يفعل بمن أراد الحياة الدنيا، ولَهَا [3] عن الآخرة التي تبقى، فإنه يوفي إليه عمله.

ومعنى ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ هو يوفي [4] إليهم في الآخرة جزاء أعمالهم، وما حكمنا به من العقاب على مَن فعل مثل أفعالهم.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ يريد: وهم [5] لا يظلمون.

وأما معنى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا

---

(١) في (ب): إذا.

(٢) في (ب): وفي قوله.

(٣) لها، من اللهو.

(٤) في (أ): ﴿ يوفي إليهم ...﴾. وفي (ب): يوف.

(٥) في (ب): فهم.

﴿صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ فهم الأولون من المذكورين بالميل إلى الدنيا وزينتها، والرضى بها فيها من زخرفها دون ما هو خير منها، فأخبر الله سبحانه أنه لا نصيب لهم في الآخرة، إذ لم يعملوا لها بعملها، وينصبوا في طلبها، إلا النار التي خلقت مقرا ودارا للعاصين، ومحلا لهم وموئلا في يوم الدين.

وقوله: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٦﴾، هو إخبار من الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، أن ما كانوا يعملون في الدنيا حابط، والحابط: الباطل، الذي لا منفعة له ولا حاصل، فأخبر سبحانه أن أعمالهم حابطة، إذ لم ينفعهم منها في الآخرة نافعة، كما نفع المؤمنين ما عملوا [1]، وأحلهم دار الخلد بما صنعوا، وليس بحمد الله للمشبهين ولا للمجبرين، في هذا حجة على رب العالمين.

٩٥) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ١٠٥﴾ [هود:١٠٥]؟

فهذا: إخبار من الله سبحانه بسعادة من سعد بفعله، وشقاء من شقي بصنعه، وليس لله في سبب سعادتهم فعل، ولا له في شقائهم قضاء.

٩٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]؟

وقد قيل في ذلك: إن معناها للرحمة خلقهم، والذي أراه أنا في ذلك، ويتوجه لي

(١) في (أ): على ما عملوا.

من القول فيه (١)، أنه سبحانه أراد به: خلق المؤمنين لمخالفة الكافرين، لأن مخالفة الكافرين في كفرهم أعظم الطاعة لرب العالمين، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات:٥٦]، فأخبر أنه لم يخلق الخلق إلا لعبادته، فمن خالف عبادته وطاعته، فمخالفته في ذلك من (٢) فرض الله على من يخالفه، ولا مخالفة لأعداء الله ولا مفارقة، أكبر من ضرب وجوههم بالسيف وسفك دمائهم، ومجاهدتهم على مخالفة الحق، وهذا فهو: أكبر فرائض الله على خلقه، وأعظم ما افترض الله على عباده، ولهذا خلق الخلق لأنه أفضل عبادته، فإذ (٣) قد صح فرض المخالفة للفاسقين على المؤمنين والجهاد، فقد صح إن لتلك المخالفة التي افترضها عليهم خلقهم، وإليها دعاهم، وبها في أعدائه أمرهم.

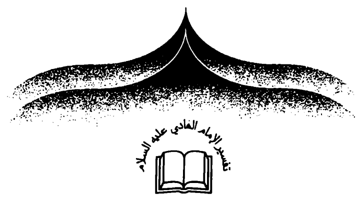


---

(١) سقط من (ب): ويتوجه لي من القول فيه.

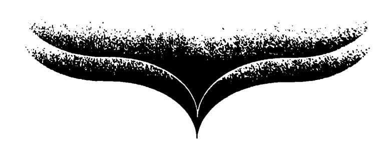
(٢) سقط من (ب): من.

(٣) في (ب): فإذا.



تفسير

سورة يوسف



ومن سورة يوسف

٩٧) وسألته عن قول الله تبارك وتعالى في يوسف صلوات الله عليه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]، كيف كان همها به وكيف همه بها؟

فقال: كان همها هي هم شهوة ومراودة، وكان همه هو بها صلى الله عليه هم طباع النفس والتركيب، ألا ترى أنك إذا رأيت شيئا حسنا أعجبك، وحسن في عينك، وإن لم تهم به لتظلمه وتأخذه غصبا من أهله، وكذلك إذا رأيت طعاما طيبا، أو لباسا حسنا أعجبك، وتمنيت أن يكون لك مثله، وأنت لا تريد بإعجابك به أخذه ولا أكله، إلا على أحل ما يكون وأطيبه، (ولم ترد بقولك أنك تأكله أو تلبسه أو تنكحه إلا حلالا)[1].

قلت بلى.

قال: كذلك كان هم يوسف صلى الله عليه في زوجة الملك.

٩٨) قلت فقد سمعنا بعض الرواة يذكر: أنه إنما منع يوسف عليه السلام من إتيانها أنه رأى يعقوب صلى الله عليه، كأنه يزجره عنها ويخوفه[2]؟

---

(١) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٢) أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما همت به، تزينت ثم استلقت على فراشها، وهم بها وجلس بين رجليها يحل تبانه، نودي من السماء: يا بن يعقوب، لا تكن كطائر ينتف ريشه، فبقي لا ريش له، فلم يتعظ على النداء شيئا حتى رأى برهان ربه جبريل عليه السلام في صورة يعقوب عاضاً على أصبعيه، ففزع فخرجت شهوته من أنامله، فوثب إلى الباب فوجده مغلقا،

قال: قد قيل فيه شبيه من ذلك، وليس القول فيه كذلك، وحاش لله أن ينسب ذلك إلى نبي الله.

فرفع يوسف رجله فضرب بها الأدنى فانفرج له، واتبعته فادركته، فوضعت يديها في قميصه فشقته حتى بلغت عضلة ساقه، فألفيا سيدها لدى الباب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاضاً على إبهامه، فأدبر هاربا وقال:وحقك يا أبت لا أعود أبدا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن عكرمة، وسعيد بن جبير في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: حل السراويل وجلس منها مجلس الخاتن، فرأى صورة فيها وجه يعقوب عاضاً على أصابعه، فدفع صدره فخرجت الشهوة من أنامله، فكل ولد يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولدا، إلا يوسف عليه السلام فإنه نقص بتلك الشهوة ولدا ولم يولد له غير أحد عشر ولدا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: تمثل له يعقوب عليه السلام فضرب في صدر يوسف عليه السلام، فطارت شهوته من أطراف أنامله، فولد لكل ولد يعقوب اثنا عشر ذكرا، غير يوسف لم يولد له إلا غلامان.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن رضي الله عنه في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: رأى يعقوب عاضاً على أصابعه يقول: يوسف يوسف.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة رضي الله عنه في الآية قال: رأى آية من آيات ربه حجره الله بها عن معصيته. ذكر لنا أنه مثل له يعقوب عاضاً على أصبعيه وهو يقول له: يا يوسف، أتهم بعمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فذلك البرهان، فانتزع الله كل شهوة كانت في مفاصله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن محمد بن سيرين رضي الله عنه في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: مثل له يعقوب عليه السلام عاضاً على أصبعيه يقول: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، اسمك في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء؟!..

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد رضي الله عنه قال: رأى صورة يعقوب عليه السلام في الجدار.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن الحسن رضي الله عنه قال: زعموا أن سقف البيت انفرج، فرأى يعقوب عاضاً على أصبعيه. الدر المنثور ٤/ ٥٢٠ – ٥٢٢.

٩٩) قلت فقد كان ذلك يُروى لنا بين الملأ ويُتحدث به في المساجد؟

قال: قد ذكر ذلك، جل الله وتعالى عن كل ما يقول فيه الملحدون، وينسب [1] إليه الضالون، وليس قولهم هذا في أنبياء الله، ورواياتهم الكاذبة عليهم، بأعظم من كذبهم وجرأتهم على الله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ألا ترى كيف شبهوه بالأشباه من خلقه، وجعلوه جسما ذا أعضاء وأجزاء مختلفة، فتعالى عن[2] ذلك من ليس كمثله شيء.

ولقد ناظرت رجلا ممن ينتحل التشبيه، فألزمته أن يقول: إن الله مخلوق، أو ينفي عنه التشبيه، فاختار أن يجعله مخلوقا، وكره أن ينفي عنه التشبيه، فهذا أعظمَ الأمور، وأقبح الأقاويل كلها [3].

١٠٠) قلت فالبرهان الذي رآه يوسف صلى الله عليه ما هو؟

قال: ما جعل الله فيه من علمه، وخصه به من المعرفة والخوف له، في علانيته وسره، وإنما كان ذلك ابتداء منها ومراودة له على نفسه، كان من قولها له: أن يا يوسف إن لم تأتني أتيت أنا إليك، فقال: معاذ الله من ذلك، فقامت فأرخت سترا كان على البيت، وكان في البيت صنم لها تعبده من الذهب، له عينان من ياقوتتين حمراوين، فكانت تستحييه وتعبده، فقال لها يوسف صلى الله عليه: لِمَ أرخيت هذا الستر؟! فقالت: إني أخاف أن يراني هذا الذي في البيت، فأرخيته حياء منه وإجلالا

(١) في (أ): ونسب.
(٢) في (أ): فتعالى الله.
(٣) سقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

له، فقال لها: فإذا [١] كنت تستحيين أنت من صنم لا يبصر ولا يسمع ، ولا يضر ولا ينفع، فكيف لا أستحيي أنا من الذي خلقني وخلقك وخلق هذا الذي تخافين، ومنه تستحيين، بل أخاف وأستحيي، من الذي خلقني وخلقكم، وهو [٢] خالق السماوات والأرض [٣].

ثم نهض منها هاربا بنفسه، فلحقته إلى باب الدار فقدت قميصه، ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾، وهو زوجها الملك، وذلك أنهم كانوا يسمونه السيد، لموضعه عندهم، ورفعته فيهم، فقالت له: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف:٢٥]، قال يوسف: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف:٢٦]، فتحير الملك واشتبه عليه الأمر، وكثر فيه القول، فذكر بعض الرواة، أن الذي حكم في ذلك صبي صغير كان في المهد [٤]، واختلف فيه، والذي صح في ذلك عندنا أنه كان صبيا قد عقل، وهو من

(١) في (ب): فإن.

(٢) في (ب): فهو.

(٣) أخرج أبو نعيم في الحلية، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان من الطمع أن هم بحل التكة، فقامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيتن فسترته بثوب أبيض بينها وبينه، فقال: أي شيء تصنعين؟! فقالت: استحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة. فقال يوسف عليه السلام: تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب، ولا استحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت؟!... ثم قال: لا تنالينها مني أبدا. وهو البرهان الذي رأى. الدر المنثور ٤/ ٢٢١.

(٤) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ قال: صبي في المهد.

أبناء خمس سنين أو شبيه بها، فأُتي به إلى الملك، فقال: إن كان قميصه قد من قبل فصدقت - هي فيما ذكرت من مراودته لها على نفسها - وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت - فيما ادعت - وهو من الصادقين في قوله، ومراودتها له على نفسه، فأُتي بالقميص إلى الملك، فنظر إليه فإذا هو مقدود من دبره، فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ۝﴾ [يوسف:٢٨]، ثم بدا لهم من بعد ذلك فألقي في السجن، وكان في السجن رجلان من خدم الملك، فلما كان من إعلامه لهما بتأويل رؤياهما على الحقيقة بعينها، فلما رأى الملك رؤياه، أتى أحد الرجلين إلى يوسف فقص عليه ذلك، فأخبره بتأويله فلما انتهى ذلك إلى الملك، بعث إلى النسوة يسألهن عن خبره، فـ ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝﴾ - فيما تبرأ منه وانكره - ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝﴾ [يوسف:٥١-٥٣]، فهذا ما كان من خبره عليه السلام.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن الضحاك رضي الله عنه ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ قال: صبي، أنطقه الله كان في الدار.

وأخرج أحمد، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم».

وأخرج ابن جرير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «عيسى، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، تكلموا في المهد».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جريج، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ قال: كان صبيا في المهد. الدر المنثور ٤/ ٥٢٥ - ٥٢٦.

١٠١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝﴾ [يوسف:٤٢]؟

قال: هذا خبر عن يوسف صلى الله عليه وآله، وصاحبيه المسجونين معه، حين رأيا الرؤيا، وقصاها [١] عليه فعبرها لهما، فكانت كما قال صلى الله عليه وآله [٢]، فكان منه تقدمه إلى الذي علم أنه ينجو منهما من القتل، أمره أن يذكره عند ملكهم بحسن تعبير الرؤيا، والفهم بما يأتي من الأمور ويذر [٣].

فلما أن كان من رؤيا الملك ما كان، وسأل قومه وأهل مملكته أن يفسروها له، فلم يجد ذلك عندهم، ذكر الناجي من الحبيسين يوسف وبصره بالتعبير، فأخبر به الملك، فأحضره وسأله عن تعبير رؤياه؟ فعبرها فتمكن عنده بذلك، وعظم قدره.

فأما قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ فهو: أنساه الشيطان أن يذكر أمر يوسف لربه، قبل رؤيا الملك، وربه فهو: سيده وكبيره. وقوله: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يعني: يوسف، والبضع فهو: ما بين الست إلى السبع سنين.

١٠٢) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف:٧٠]؟

ومعنى ذلك - رحمك الله - أنه يقول: كدنا لمعاقبته على احتياله لأخذ أخيه، وادعائه من السرقة لما ادعى عليه، بدسه الصواع في رحاله، حتى أخذه بذلك من

(١) في (ب): فقصاها.
(٢) سقط من (أ): وآله. في الموضعين.
(٣) سقط من (ب): ويذر.

إخوته، فكره الله لنبيه صلى الله عليه الظلم والزلل، ولم يرض بذلك من أحد من أهل الملل، فهذا معنى قوله: ﴿كِذْبًا﴾، فكان من يوسف صلى الله عليه الزلل والنسيان، وكان من الله سبحانه العفو والمن والإحسان.

وأما تأويل قوله: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠]، فهي: ما كان من رؤياه في أول أمره، وقيل: فعل إخوته ما فعلوا به من سجود الكواكب والشمس والقمر، فكان تأويل ذلك أبويه وإخوته، وإتيانهم إياه في مملكته، فخروا له سجدا كما قال الله سبحانه، ومعنى ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ فهو: خروا لله من أجل ما أنعم عليهم به فيه، كما كان سجود الملائكة لآدم، وإنما معنى قول الله سبحانه: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة:٣٤]، أي: اسجدوا لله من أجل آدم عليه السلام، لعجيب ما ترون من قدرته فيه وابتداعه له وخلقه.

فأما قوله: ﴿جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ فإنما يقول: قد حققها ربي بما مَنَّ به من إتيانه بكم، وتفضل بذلك علي وعليكم.

١٠٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ...﴾ [يوسف:٦٧]؟

هذا من يعقوب صلى الله عليه لجماعة بنيه، حين خرجوا عنه مسافرين، فخاف عليهم من النفس وعيون الناظرين، فأمرهم عند دخول القرية بأن لا يدخلوا جملة واحدة، لما كانوا عليه من جمالهم، وكثرتهم وكمالهم، وكانوا أحد عشر رجلاً، لم يُر مثلهم جمالا ولا كمالا، فخاف عليهم وأشفق صلى الله عليه من أن يراهم أهل تلك البلدة، مجتمعين جماعة واحدة على ما هم عليه من كمالهم وحسنهم وجمالهم، فأمرهم

أن يتفرقوا، وأن يدخلوا من أبوبا متفرقة، شفقة عليهم من الغيرة والنفس، قال الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يوسف:٦٨]، يخبر سبحانه أن الحذر للنفس والعيون لا ينفع إلا بدفاع الله وتوفيقه ولطفه وحفظه [١].

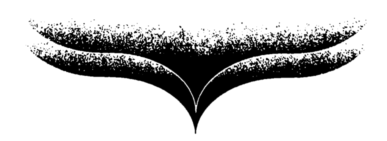


(١) في (أ): فكان أمرهم أن يدخلوا من أبواب معروفة، ونهاهم أن يدخلوا من باب معا، لأنه خشي عليهم عند اجتماعهم العين، لما كانوا عليه من الهيئة والجمال، والكثرة والكمال، فأخبر الله تبارك الله وتعالى أنه لو لا دفاعه عنهم لم ينفعهم ما أوصاهم به، وأخبر تبارك وتعالى أن يعقوب صلى الله عليه كان عالما بأن ذلك الذي أمرهم به لا يغني عنهم شيئا، إلا بمدافعة الله عنهم، وإحسانه إليه فيهم، غير أنها حاجة في نفسه قضاها، يريد: شيئا كان في نفسه أن يلقيه إليهم، فألقاه احتياطا وشفقة، وعالم أنه لا ينفعهم إلا بالله سبحانه، ولا يدفع عنهم ما كره إلا بدفعه عز ذِكْرُه.



تفسير

سورة الرعد



ومن سورة الرعد

١٠٤) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ - ثم قال -: بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١] فقلت: ما معنى هذا وهو لا يجري في نظمه؟

فأما قول ذي الجلال ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ فإنما يريد: لو أنا جعلنا قرءانا تسير به الجبال المرسية، أو تقطع به الأرض المدحية، أو تنطق به الجثث الفانية، والمتمزقة في الأجداث البالية، لكان هذا القرآن، الذي نزله الرحمن، على محمد المصطفى، وأمينه المرتضى، فطرح سبحانه: لَكَانَ هذا القرآن. لعلمه بفهم المخاطبين، بما نزل في القرآن المبين، إذ [١] كان ذلك في لغة العرب الذي نزل عليها، وجعل وحيا باقيا أبدا فيها، وشأن العرب أبدا الاختصار، فيما تنصه وتذكره من الأخبار، ومثل هذا وشبهه، فموجود في كتاب الله ووحيه، من ذلك قوله: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣] فقال: العجل، والعجل فالقلوب [٢] لا تشربه، وإنما أراد سبحانه إجلاله وحبه، أراد: وأشربوا في قلوبهم حب العجل، فطرح للاختصار وعلم المخاطب الحب، وأثبت العجل، وقال في ذلك الشاعر:

ألا أنني سقيت أسود حالكا ... الأبجلي من ذا الشراب الأبجلي [٣]

فقال: سقيت أسود حالكا، والأسود لا يشرب، وإنما أراد سقيت سم أسود

---

(١) في (أ): إنما.

(٢) في (أ): والقلوب.

(٣) سبق تخريجه.

حالكا، وهذا فكثير في اللسان، موجود في اللغة والبيان، وفي غير ذلك ما نزل الله من القرآن، وعلى ذلك مخرج قول الله: ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ثم ابتدأ فأخبر أن له الأمر جميعا، في كل الأشياء، إظهارا منه لقدرته، واحتجاجا على بريَّته، وتثبيتا فيهم لحجته.

١٠٥) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]؟

غيضها هو: ما ينقص منها، مما هو فيها من الأولاد دون غيرها، وزيادتها فهو: ما يحدث فيها ومنها.

١٠٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ... إلى قوله: لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد:١٧-١٨] (١)؟

فقال: هذا مثلٌ ضربه الله للحق والباطل، فجعل الباطل كزبد السيل يذهب فلا يبقى، وجعل الحق كالذي يبقى مما يوقدونه مما يحمله (٢) السيل من الحطب، ويأتي به من عيدان الأشجار التي ينتفع بها، ويوقدونه في تسوية الحلية وغيرها، ومعنى قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ فهو: على قدرها، وما تحتمل من الماء وما يسعها منه، ومعنى قوله: ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ فهو: زبدا منتفخا مجتمعا متكاثفا (٣)، وكذلك تسمي العرب كل منتفخ: مجتمعا متكاثفا رابيا.



---

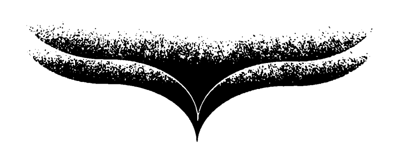
(١) كمال الآية: ﴿ ... فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

(٢) في (أ): يحمل.

(٣) في (ب): متكثفا.

تفسير الإمام الهادي عليه السلام

تفسير
سورة إبراهيم



ومن سورة إبراهيم

١٠٧) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨]؟

فقال: هم قوم أنعم الله عليهم، وكفروا أنعمَ الله ولم يشكروه، وبدلوا مكان الشكر كفرا، فاتبعهم بكفرهم على ذلك، فهلكوا كلهم بأسباب رؤسائهم.

١٠٨) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]؟

تأويل ﴿تُبَدَّلُ﴾ هو: تُغَيَّر، وتغييرها هو: نسف ما على وجهها من الجبال، وبعثرة ما فيها من القبور، وبعثرة القبول فهو: إخراج ما فيها من الموتى، وردهم بعد الفناء أجساماً وأحياءً، وتسوية تفاوتها ودكها دكاً، كما قال الله العلي الأعلى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...﴾ إلى آخر الآية، وتبديل حالها: تسوية خلقها، وعدل متفاوتها، وقشع أوساخها، وتجديد بهجتها، واستواء أقطارها، حتى تكون الأرض مستوية فيحاء [1]، معتدلة الأرجاء، لا تفاوت فيها ولا اختلاف، بل تكون في ذلك اليوم كلها على غاية الاستواء والإئتلاف، لا يرى شيء من آلة الدنيا فيها ولا أثر فعل من أفاعيل الدهر عليها، فهذا تبديلها وتغييرها. وكذلك تبديل السماوات فهو: رد الله لها إلى ما كانت عليه في الإبتداء، ثم يردها على ما هي عليه

(١) الفيحاء: الواسعة.

اليوم من الإستواء من بعد أن تصير كالمهل، والمهل فهو: شيء يكون كالدهن يخرج من صفو القطران، فذكر الرحمن أنها تكون في يوم الدين كالمهل السائل، بعد التجسُّم الهائل، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان:١٠]، يريد: أنها تعود إلى ما كانت عليه من الدخان، ثم ترد السماوات مطبقات [1]، كما خلقت من الدخان أولاً سماوات مقدرات مجعولات، تبييناً منه سبحانه لقدرته، وإظهاراً لنفاذ أمره فيما افتطره من فطرته.

فهذا معنى ما ذكره الله من تبديل الأرض والسماء، لا أنه يذهب بهما ويخلق سواهما من غيرهما.

وإنما تبديله لهما وتغييره: نقلهما من حال إلى حال، والأصل واحد مستقيم، غير فانٍ ولا معدوم.

مثل ذلك: مثل خلخال من ذهب أو فضة كُسِر؛ فصير خلخالاً أوسع منه قدراً؛ فكأن قد بدلت خلقته، وغيّرت صيغته، ونقلت حالته من حال إلى حال، ومن مثال إلى مثال، فبدل تصويره وأصل فضته ثابت لم يبدل ولم يغير، وإنما غير منها خلقها وتقديرها، وصورتها وتمثيلها، والأصل ثابت قائم، موجود من العدم سالم.

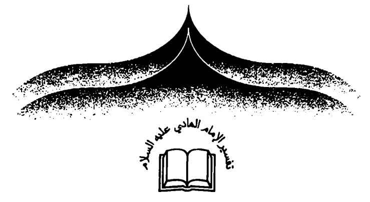
وكذلك تبديل ما يبدل من الحديد؛ فيكون أولاً سيفاً، ثم يرد خنجراً، ثم يجعل الخنجر سكيناً، ثم تنقل السكين فتجعل أوتاداً وسككاً، وهو ينقل من حال إلى حال، وهو الحديد الأول لم يتغير ولم يبدل، وإنما التغيير منه تصاويره وتقاديره، ونقل أحواله ومقاديره، فهو الحديث الثابت يجعل مرة سيفاً كما ذكرنا، ويقلب ثانية

(١) يعني: طباقا.

صنفاً من الصنوف التي ذكرنا، فهو وإن تغيرت أحواله، واختلفت مجعولاته، فهي الحديدة المعروفة، الأولة الأصلية المفهومة.

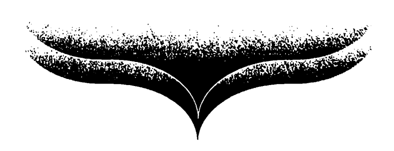
وكذلك ما ذكر رب العالمين؛ في تبديل السماوات والأرضين؛ فهو نقله لهما من حالة في التصوير إلى حالة، ومن صفة في التقدير إلى صفة، وهن في أصلهن اللواتي كن، لم يبدل أصلهن ولم يحل، ولم ينقل عما كان ولم يزل، فافهم ما أجبناك به فيما عنه سألت، وفسرناه لك فيما شرحت وقلت.





تفسير

سورة الحِجْر



ومن سورة الحجر

١٠٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [الحجر:١٢]؟

فهو: يدخله ويبينه في قلوبهم حتى يوقنوا به، وتبيينه في قلوبهم فهو: بالحجج النيرة البالغة، التي نزلها مع نبيه صلى الله عليه، حتى يثبت بها الحق عليهم، وتشهد عقولهم أنه حق، فإذا كابروا بعد ثبات الحق نزل بهم العذاب، وذلك قوله سبحانه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، وأما قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝﴾ [الحجر:١٣] فهو: منهاجهم وسبيلهم، والمعنى الذي هلكوا به فهو: التكذيب بآيات الله.

١١٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝﴾ [الحجر:٩٠-٩١]؟

فقال: معنى قوله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ يريد: أنا ننزل بهؤلاء من اللعنة والفضيحة، والحكم بالكفر، والوعيد بالنار في الآخرة، من بعد الهتك لهم في الدنيا، مثل ما أنزلنا بالمقتسمين، فقامت ﴿عَلَى﴾ مقام (الباء)، والمقتسمون فهم: الذين كانوا يقتسمون بالأزلام من قريش وأتباعها، وهؤلاء الذين مُثِّلوا بالمقتسمين، فهم من عصى الله ورسوله وبغى وطغى، ممن عصى بعد أولئك وأساء، واجترأ على الله ورسوله، واستهزأ بدينه، وأحسب - والله أعلم - أنهم النفر الذين

استهزؤا بأمر الله وبرسوله في غزوة تبوك، وهم الذين [١] قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]، فأكذبهم الله وأنزل فيهم: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:٧٤]، فدعاهم بذلك كافرين، ومعنى قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ فهي كلمة كانت قريش تقولها، وتهزؤا فيها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن، كانوا [٢] إذا قرأ عليهم القرآن ووعظهم، قالوا يعضنا بقرآنه، فيقلبون الظاء ضادا، استهزاء وعبثا وجرأة على الله وكفرا، فأخبر الله سبحانه بما أنزل عليهم وفيهم من السخط والغضب، وأبدا [٣] من فضيحتهم، وأطلع عليه نبيهم من سرهم، وأنزل فيهم هذا العيب في القرآن، فهذا معنى قوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾.

١١١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۝﴾ [الحجر:٢٦-٢٧]؟

فقال: الصلصال هو: الطين اليابس الذي يتصلصل، ويتقعقع إذا أصاب بعضه بعضا، والحمأ المسنون فهو: الطين المتغير اللون والريح، يقول سبحانه: خلقنا الإنسان من طين هذه خلقته، وأما الجآن فهم الجن، فذكر سبحانه [٤] أنه خلقهم من نار السموم، ونار السموم فهي: مارج النار، ومارجها فهو: اللهب المتقطع في الهواء، الذي ينفصل ويخرج من لسان النار عند تأججها. ومعنى قوله: ﴿السَّمُومِ﴾ فهو:

---

(١) سقط من (أ): وهم الذين.

(٢) في (ب): كان.

(٣) في (ب): فأبدا.

(٤) سقط من (ب): سبحانه.

الهائل المسموم، والمسموم فهو: الذي فيه التلف لمن قاربه وداناه، لما فيه من الحر والإحراق، ومن ذلك اشتق للريح التي تضرب بمثل النار اسم السموم، فسميت: سموما، اشتق لها هذا [١] الاسم من نار السموم، لما فيها من الأذى، والحرارة والقذاء، حتى ربما قتلت من تصيبه هذه الريح - ريح السموم - فأهلكته.

١١٢) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢]؟

فقال: معنى قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾ فهو: رفعت [٢] السحاب وأقلته، ومعنى ﴿لَوَٰقِحَ﴾ فهي [٣]: القوية ذات السلطان الشديد، المنفذة ما تريد، والعرب تسمي كلما نفذ لقاح [٤]، تقول: لقد ألقح فلان ما يريد، أي: أنفذه وأمضاه، فلما أن كانت السحاب منفذة لما أمرت به، سميت لواقح، ومعنى قوله: ﴿بِخَٰزِنِينَ﴾ أي: لستم [٥] له بحافظين، ولا ممسكين في الأرض، ولولا لزوم الله له، وإثباته إياه في الأرض، وخزنه إياه لكم في بطنها، إذاً لأصبح غورا، ولما وجد إذاً في الأرض منه شيء.

١١٣) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]؟

معنى ذلك: إنه ليس من شيء إلا وهو مقتدر عليه، يفعل ما يشاء ويبسط

---

(١) سقط من (أ): هذا.
(٢) في (أ): ﴿الرياح﴾ لرفعت.
(٣) في (ب): فهو.
(٤) كذا في المخطوطتين.
(٥) في (أ): أي: يريد لستم.

للخلق من أرزاقه كلما يريد، وإنه لا يعجزه ولا يمتنع منه شيء، وعنده أصل كل شيء وفرعه، والإمداد لمن يشاء ما يشاء، وأنه لو شاء لبسط للخلق كلما يحبون، وأعطاهم أضعاف ما يريدون، لكنه سبحانه ينزل بقدر معلوم في الحكمة، والتقدير الحسن الذين لا يصلح لخلقه غيره، ولا ينفع فيهم ولا يغنيهم سواه، ولا يلزم عنهم كل اللزوم فيهلكوا ويموتوا، ولا يبسط لهم كل البسط فيأشروا [1] ويفسدوا.

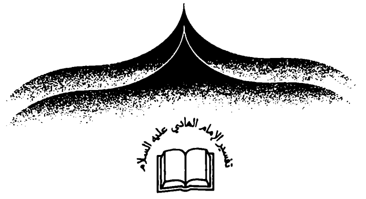
١١٤) وسألني عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩]؟

فقلت: هما قريتان أُهلكتا ودمرتا لما طغتا وعصتا، فكانتا على طريق قريش في الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، والإمام فهو: الطريق الواضح، والأعلام التي يستدل بها على مسالكها ومياهها [2]، فذكر الله أمرهما احتجاجا على من خالفه ممن يفعل كفعلهما، من عصيان ربه، ومخالفة خالقه، فقال: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ترونهما، وترون في كل رحلة آثار قدرتنا عليهما، وأخذنا لهما بما كان منهما من البغي والعصيان، من مثل ما أنتم عليه من مخالفة الرحمن.



(١) من الأشر، وهو البطر.

(٢) في (أ): يستدل بهما على مسالكهما ومياههما.



تفسير

سورة النحل



ومن سورة النحل

١١٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [النحل:٦٧]؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى عن ما رزقهم من ثمرات الأشجار، التي[1] يتخذون منها[2] الأرزاق ويدخرونها، من التمر والزبيب، وغير ذلك من الحبوب، التي هي معيشة لهم وحياة، ويتخذون منها أيضا السكر الذي نهاهم عنه وحرمه عليهم، فوقفهم هاهنا في هذه الآية على كفر من فعل ذلك لنعمه، إذ صرفوا رزقه في السكر الذي حرمه، ثم أخبر أن فيها جعل[3]، وفعلوا من حسن رزقه لهم، وجميل فعله بهم، واتخاذهم له سكرا، وصرفهم له عن الطاعة إلى المعصية، لآية لقوم يعقلون.

١١٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل:٣٦]؟

الجواب في ذلك: أن[4] الله سبحانه قد هدى كل الخلق إلى الهدى المبتدأ، فمنهم

---

(١) في (أ): الذي.
(٢) في (أ): منه.
(٣) في (ب): فعل.
(٤) في (ب): المعنى: أن الله...

مَن قَبِلَ الهدى فحقت له على الله سبحانه الزيادة في هداه [١] والتوفيق والتسديد في أفعاله، ومنهم من أبى الهدى فحق عليه الضلال بفعله، ووجب عليه الخذلان بكسب يده، حتى حق عليه الخذلان من ربه، فالخذلان من الله تبارك وتعالى نازل به، والضلال فمن نفسه لا من ربه.

١١٧) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًا ... إلى قوله: وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل:٧٥-٧٦] [٢]؟

فقال: هذا مثل ضربه الله لأهل الشك والارتياب، ممن كان يعبد الأصنام من دون الله، فأخبره الله أن مثل ما هو فيه من الشك في الله، والعبادة لمن دون الله كهذا المثل، وإنما تعبدون من دون الله كهذا الضعيف الذي لا يقدر على شيء.

وكذلك ضرب مثل هذا العبد الأبكم الذي لا يأتي بخير، فجعله شبها لأصنامهم التي يعبدونها من دون الله، وجعل الأمر بالعدل والحق مثلا للحق.

١١٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]؟

فقال: كانت قريش ومن معهم من المشركين يتكلمون في رسول الله صلى الله

(١) في (أ): هدائه.

(٢) كمال الآيتين: ﴿...هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ...﴾.

عليه وآله وسلم، ويقولون إن رجلا كان ينزل بالطائف أعجمي اللسان يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يأتي به عن الله [(١)]، فأكذبهم الله واحتج عليهم، وبيَّن فضيحتهم بما ذكر من عجمة الذي يلحدون إليه أنه يُعَلِّم النبي صلى الله عليه، فـ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾، يقول: هذا القرآن الذي جاء به والذكر عن الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بلسان العربي المبين لا بلسان العجم.

١١٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل:٧١]؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى لانبساط رزقه لعباده، وتفضيلِ مَن فضل فيه بالسعة والإتساع، وأن الذين فُضلوا بالرزق غير مستطيعين أن يرزقوا ما ملكت أيمانهم، ولا أن يردوا لهم خيرا، وأنهم في الرزق سواء (يريد سبحانه بقوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أي: في اجتلاب الرزق إلى أنفسهم)[(٢)] المالك والمملوك، كلهم لا يقدر

---

(١) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام، وكان عجمي اللسان. فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ...﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير، عن عكرمة قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرئ غلاما لبني المغيرة أعجميا، يقال له: مقيس. وأنزل الله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ...﴾ الآية. الدر المنثور ٥/١٦٧.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

أن يرزق نفسه، إذ كانوا كلهم لا ينبتون زرعا، ولا يفلقون في الأرض نوى، ولا ينزلون عينا، ولا يخلقون أنعاما، فلما أن كانوا كذلك في الضعف عما ذكرنا، كان المالك والمملوك في اجتلاب الرزق إلى نفسه من دون الله سواء.

١٢٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل:٤٨]؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن عظيم الآية التي جعل، وكثير دلائله التي أنزل، في الضلال، من تفيئها بالغدو والآصال، فيكون القمر بالغدو شرقا وبالعشي غربا[١]، ينقلب بقدرة الله وبما [٢] جعل من مسير الشمس في فلكها، وتقلبها بقدرة الله في حورها [٣]، ومعنى ﴿سُجَّدًا﴾ فهو: مُسجدا [٤] لمن اعتبر به (من المؤمنين، وعقل ما فيه من آيات رب العالمين) [٥]، وقد تقدم شرح [٦] سجود الأشياء في غير هذه المسألة، ومعنى ﴿دَٰخِرُونَ﴾ فهو: صاغرون مضطرون بما في الذي [٧] أسجدهم من الحجج لله والدلائل عليه، لا يجدون بدا من الإقرار به والمعرفة له.

قال الهادي إلى الحق صلوات الله عليه. سألني ابني محمد رضي الله عنه عن هذا المسائل فأحببت أن أثبتها في هذا الكتاب.

---

(١) في (ب): بالعشي غربا.
(٢) في (أ): فيما.
(٣) الحور: الرجوع.
(٤) في (ب): سجدا.
(٥) سقط من (ب): ما بين القوسين.
(٦) في (ب): وقد تقدم شرح السجود في سورة البقرة.
(٧) في (ب) فهو: صاغرون لما في. ..

١٢١) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ... إلى قوله: فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ﴾ [النحل:٦٨-٦٩] [(١)]، قال: كيف كان وحيه إليها؟

فقلت له: الوحي يخرج على وجوه أربعة:

منهن: وحي إلهام، وإلقاء في القلوب من ذي الجلال والإكرام، مثل ما ذكر عن النبي عليه السلام أنه سأل جبريل الروح الأمين، فقال: كيف تأخذ الوحي من رب العالمين؟ قال: آخذه من إسرآفيل. قال: فكيف يأخذه إسرآفيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه. قال: فكيف يأخذه [(٢)] الملك؟ قال: يلقى في قلبه إلقاء، ويلهمه إلهاما. وعلى ذلك يخرج معنى الوحي إلى النحل، ألهمها إلهاما ما ذَكَر أنه ألقاه إليها.

والمعنى الثاني: فوحيه إلى أنبيائه المصطفين، بالمشافهة والمكالمة لهم من الملائكة المقربين، وذلك قوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ... إلى قوله: دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:١٦٣] [(٣)].

والوجه الثالث فهو: الجعل والتقدير، للصلاح والتدبير، وذلك قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ ...﴾ [فصلت:١٢] إلى آخر الآية.

والوجه الرابع: فوحي الله عز وجل فيما يراه الأنبياء عليهم السلام في منامهم،

---

(١) كمال الآية: ﴿ ... أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ...﴾.

(٢) في (أ): يأخذه من.

(٣) كمال الآية: ﴿ ... وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا ...﴾.

من ذلك قول إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢]، فكان في ذلك وحي من الله وأمر، والدليل على ذلك قول إسماعيل: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فدل بذلك على أنه وحي من الله وأمر، وما قيل وروي في وحي الله إلى أم موسى أنه كان في المنام أريته [1]، فإن يكن ذلك كذلك، فهو: داخل في ذلك، وإن لم يكن ذلك كان من الله سبحانه إلهاما ألهمها إياه، فذلك ما يشك فيه بأن الله على كل شيء قدير، ولا أحسب - والله أعلم - إلا أنه كان وحيا في منامها، لأنه عز وجل يقول: ﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾ [طه:٣٩]، وهذا القول فلا يكون إلهاما، إلا أنه خبر وقصص وقول، وإنما يلهم من الأشياء ما كان فعلا يدرك بالعقول، وتميز بالمعقول[2].

١٢٢) و[سألت] عن قول الله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]؟

فقال: الإكراه بالقول، وفي القول لا في الفعل، وهذه نزلت في عمار بن ياسر وصاحبه [3].

---

(١) في (أ): أوريته. وفي (ب): أويته. لعلهما مصحفتان.

(٢) في (ب): وتمييز المعقول.

(٣) أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: «لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يهاجر إلى المدينة، قال لأصحابه: تفرقوا عني، فمن كانت به قوة فليتأخر إلى آخر الليل، ومن لم تكن به قوة فليذهب في أول الليل، فإذا سمعتم بي قد استقرت بي الأرض، فالحقوا بي. فأصبح بلال المؤذن وخباب وعمار وجارية من قريش كانت أسلمت، فأصبحوا بمكة فأخذهم المشركون وأبو جهل، فعرضوا على بلال أن يكفر فأبى، فجعلوا يضعون درعا من حديد في الشمس ثم يلبسونها إياه، فإذا ألبسوه إياه قال: أحد .. أحد.. وأما خباب، فجعلوا يجرونه في الشوك، وأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقيةً، وأما الجارية فوتد لها أبو جهل أربعة أوتاد ثم مدها فأدخل

١٢٣) و[سئل] عن قول الله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]؟

فقال: العلامات فهي الدلالات من كل شيء، من دليل على الله، أو دليل على دين الله، أو دليل على سبيل من السبل، ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ والنجم هو: النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر والطرق والسبل، ومن الاهتداء بالنجوم أيضا هو: الاهتداء إلى معرفة الله تبارك وتعالى، بما في النجوم من أثر صنعه، والدليل على قدرته ووحدانيته.

١٢٤) وسأله ابنه أبو القاسم أعزه الله عن قول الله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥]؟

الحربة في قبلها حتى قتلها، ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بالذي كان من أمرهم، واشتد على عمار الذي كان تكلم به. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف كان قلبك حين قلت الذي قلت، أكان منشرحا بالذي قلت أم لا؟ قال: لا. قال: وأنزل الله ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار، عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير. قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال: إن عادوا فعد. فنزلت ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

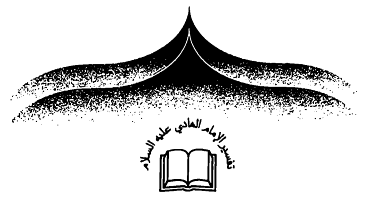
وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، عن أبي مالك في قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ قال: نزلت في عمار بن ياسر.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن الحكم ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ قال: نزلت في عمار. الدر المنثور ٥/ ١٦٩ – ١٧٠.

وعن قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]؟

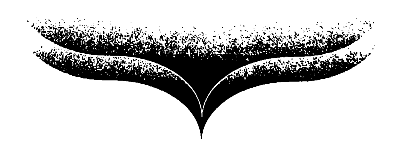
فقال: يأمر نبيه عليه السلام أن يدعو إلى الله، وإلى الإيمان به وبكتبه ورسله، والسبيل: اتباع الحق ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: بالقول الحسن، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ﴾ أي: بالتخفيف، و﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: الرفيقة، ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ أي: في وقت المناظرة بالرفق، والقول الجميل، و﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ اللين في القول وفي المخاطبة، فإنك إذا فعلت بهم ذلك، صار العدو لك مثل الولي، والولي: المحب، والحميم هو: القريب، يقول سبحانه: يصير عدوك مثل قريبك المحب لك، إذا فعلت له الجميل.





تفسير

سورة الإسراء



ومن سورة الإسراء

١٢٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء:١٠١]؟

فقال: العصا التي تلقف ما يأفكون، ومنها: اليد البيضاء، وهي قوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل:١٢]، ومنها: الكلام الذي سمعه من الشجرة، ومنها: الكلام الذي سمعه من النار.

١٢٦) قلت: وما سمع منها؟

قال: قول الله في كتابه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٨].

١٢٧) قلت فما[1] معنى قوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل:٨]؟

قال: أما قوله: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ فإنما أراد بذلك: ما سمع من الكلام في النار، وأما قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل:٨]، فهو: مَن حضر من الملائكة حول النار.

ومنها: الحجر التي كان يحملها على حماره من مكان إلى مكان، وكانت حجرا ململمة لا صدع فيها، فكان إذا احتاج إلى الماء ضربها بالعصا فانبجست بالعيون، ثم يدفنها فيخرج الماء من كل جانب منها، فإذا استغنى هو وأصحابه أخرجها فرجعت على حالتها، أولا، ثم حملها معه.

---

(١) في (أ): وما.

ومنها: البحر الذي ضربه بالعصا فانفلق حتى سار في وسطه هو وأصحابه، بأمر الله سبحانه، حتى خرج آخر أصحابه، ودخل آخر أصحاب فرعون تباعا لموسى وقومه، فأغرق الله فرعون وقومه، ونجا نبيه عليه السلام والمؤمنين.

ومنها: طور سيناء، وقد قيل - والله أعلم - إن من الآيات التي آتاه الله: الجراد، والقمل، والضفادع، والدم [١]، ولا ندري ما صحة ذلك، غير أن الصحيح من الآيات ما ذكرت لك أولا، وهو [٢] بيّنٌ نيّر.

١٢٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤]؟

فقال: هذه كلها أمثال ضربها الله، لا أن ثم خيلا ولا رجالا [٣]، والعرب يقول بعضها لبعض إذا اختصمت، أو تحاجت [٤] أو تناظرت، قالت لمن لا خيل له ولا رجال: أجلب علينا [٥] بخيلك ورجلك، تريد: اجهد علينا بغاية جهدك، وابلغ فينا

(١) أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات.
وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. الدر المنثور ٥/ ٣٤٣-٣٤٤.
(٢) سقط من (أ): هو.
(٣) في (ب): خيلا ولا ركابا. وفي (أ): خيل ولا رجال. مصحفة.
(٤) في (ب): وتحاججت.
(٥) في (أ): عليهم.

أقصى[1] طاقتك، فعلى ذلك يخرج معنى قول الله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، أي[2]: اجهد فيهم بغاية جهدك.

وأما قوله: ﴿ٱسْتَفْزِزْ﴾ فهو: اختدع.

١٢٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝﴾ [الإسراء:٥]؟

فقال: هذا إخبار من الله عز وجل لبني إسرآئيل بما يكون، وما ينزل من النقم بالظالمين منهم، ومعنى: (﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ فهو: أول العذابين، وهي وقعة تنزل بهم وما نال منهم)[3]، ومعنى ﴿بَعَثْنَا﴾ هو: خلينا بينهم وبينكم[4].

١٣٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝﴾ [الإسراء:٧][5]؟

فقال: هذا إخبار من الله بأن كل فعل كان من أحد من الخلق، فهو: له وعليه، من خير أو شر، لا يجوزُ ذلك نفسَه، ولا يشركه فيه غيره، وأما قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ فهو: آخر الميعادين، وهي الكرة الثانية الآخرة من المرتين، وهو فتح

---

(١) في (أ): أبلغ فينا. وسقط من (ب): أقصى.

(٢) في (أ): وذلك أي. زيادة لا معنى لها.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٤) سقط من (ب): وبينكم.

(٥) كمال الآية: ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥاْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾.

بيت المقدس الذي فُتح بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وطرد الإسرآئليين الروم منه[١] وساءوا وجوههم بذلك، ومعنى: ﴿يُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ﴾ فهو: يتبروا عزهم الذي بنوه، وجعلوه وأسسوه[٢].

١٣١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ.... إلى قوله: طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء:٦٠][٣]؟

فقال: معنى قوله: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ فهو: أحاط بعلم أخبارهم، وعلم ضمائرهم[٤].

ومعنى قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠] ومعنى ﴿أَرَيْنَٰكَ﴾ فهي: التي أخبرناك بها وأعلمناك، وهو ما وعده من فتح مكة، وقد قيل: فتح خيبر[٥]. والفتنة فهو: ما كان من سؤالهم وتقاضيهم لنبيهم[١] ما

---

(١) في (أ) و(ب): فُتح بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتحه علي عليه السلام فطرد الإسرائيلون الروم. وفتح علي عليه السلام لبيت المقدس مشكل، لأنه لم يرد ذلك في التاريخ، ولذلك لم يثبته الشرفي في المصابيح، بل النص فيه كما أثبته هنا. والله أعلم.

(٢) في (أ): وأسلموه. مصحفة.

(٣) كمال الآية: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾.

(٤) في (أ): صغيرهم. مصحفة.

(٥) أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل، عن مجاهد قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدي بالحديبية قال له أصحابك أين رؤياك يا رسول الله؟ فأنزل

وعدهم الله من الفتح على لسان نبيه، فكانوا يتقاضونه ذلك، ويقولون له [٢]: يا رسول الله قلت لنا كذا، ووعدتنا بالفتح وقد أبطأ ذلك، وكان صلى الله عليه يقول: لم أوقت لكم موقتا [٣]، ولم أذكر لكم وقتا، وإنما وعدتكم أمرا وستصلون إليه [٤]،

الله ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ فرجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة.

وأخرج ابن جرير، عن ابن زيد رضي الله عنه في قوله: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ ... ﴾ إلى آخر الآية. قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم: ((إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين))، فلما نزلت بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقال الله ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ لا تخافون ﴾، أي: لم أره أنه يدخله هذا العام، وليكونن ذلك، ﴿ فعلم ما لم تعلموا ﴾ قال: رده لمكان من بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات وأخره ليدخل الله في رحمته من يشاء ممن يريد الله أن يهديه، ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

قال: خيبر حين رجعوا من الحديبية فتحها الله عليهم، فقسمها على أهل الحديبية كلهم إلا رجلا واحدا من الأنصار يقال له: أبو دجانة سماك بن خرشة، كان قد شهد الحديبية وغاب عن خيبر. الدر المنثور ٧/ ٥٣٨ – ٥٣٩.

(١) سقط من (أ): لنبيهم.

(٢) سقط من (أ): له.

(٣) في (أ): وقتا.

(٤) أخرج البخاري من حديث طويل في صلح الحديبية برقم (٢٥٢٩)... ((فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ سُهَيْلٌ هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ قَالَ فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجِزْهُ لِي قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ قَالَ بَلَى فَافْعَلْ قَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ مِكْرَزٌ بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ

فكان تأخير الموعد بالفتح فتنة للناس، بما كان يقع في قلوبهم من استبطاء الفتح، وكان في قلوب المنافقين أن رسول الله صلى الله عليه لم يصدقهم، فهذا معنى ما ذكر الله من الفتنة في هذا الموضع، من المؤمن والكافر. «والشجرة الملعونة في القرآن» فهي [1]: بنوا أمية [2].

عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي قُلْتُ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ)).

ورواه السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٥٢٧ وقال: أخرجه عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر.

وقال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة: أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله: إنك تدخل مكة آمناً؟! قال: بلى، أفقلت لكم من عامي هذا؟ قالوا: لا، قال: فهو كما قال لي جبريل عليه السلام. سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤١.

(١) في (ب): فهم.

(٢) أخرج الترمذي عن سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك) ثم قال لي سفينة: أمسك عليك خلافة أبي بكر، ثم قال وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال أمسك علي فوجدناها ثلاثين سنة. قال سعيد فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك). تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٦/ ٤٧٦(٢٣٢٦). والزرقاء: امرأة من أمهات بني أمية. وأخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٦٢٢(٤٦٤٦).

وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أُريت بني أمية على منابر الأرض، وسيملكونكم، فتجدونهم أرباب سوء). واهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك: فأنزل الله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر، كأنهم قردة)). وأنزل الله في ذلك ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ ﴾. يعني الحكم وولده.

وأخرج ابن مردويه، عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لأبيك وجدك (إنكم الشجرة الملعونة في القرآن).

وعن الأسود، قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد الخلافة؟ قالت: وما يعجب؟! هو سلطان الله، يؤتيه البر، والفاجر، قد ملك فرعون مصر. سير أعلام النبلاء ٣/ ٩٥.

وعن أبي ذر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله نحلا، وكتاب الله دغلا. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٩. وذكره في كنز العمال ٦/ ٣٩، وقال: ومال الله دخلا، وقال أخرجه ابن عساكر.

وعن أبي برزة الأسلمي قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنو أمية، وبنو حنيفة، وثقيف. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨٠. وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وذكره الهيثمي أيضا في مجمعه ١٠/ ٧١. وقال: رواه أبو يعلى.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨٧. وقال هذا حديث صحيح الاسناد. وذكره المتقي في كنز العمال ٦ / ٤٠. وقال: أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

عن بجالة قال: قلت لعمران بن حصين: حدثني عن أبغض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: تكتم عليَّ حتى أموت؟ قلت: نعم. قال: بنو أمية، وثقيف، وبنو حنيفة. قال أخرجه نعيم بن حماد في الفتن. كنز العمال ٦/ ٦٨.

عن أبي عثمان النهدي عن عمران بن حصين قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبغض ثلاث قبائل، بنو حنيفة، وبني مخزوم، وبني أمية، قال: رواه هشام بن حسان عن عمران بن حصين. حلية الأولياء لأبي نعيم ٦/ ٢٩٣.

وعن علي عليه السلام في قوله: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً). قال: هما الأفجران من قريش، بنو أمية، وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى

حين. كنز العمال ١/ ٢٥٢. قال أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في الجامع الصغير.

وذكره السيوطي أيضا في الدر المنثور في تفسير الآية في سورة إبراهيم، وقال أخرجه الطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه، قال: وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام أنه سئل عن (الذين بدلوا نعمة الله كفراً). قال: بنو أمية، وبنو مخزوم رهط أبي جهل.

وذكره المتقي أيضا بعينه في كنز العمال ١/ ٢٥٢. وقال: أخرجه ابن مردويه عن علي عليه السلام.

وعن ابن مسعود قال: إن لكل دين آفة وآفة هذا الدين بنو أمية. كنز العمال ٧/ ١٤٢. قال: أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني رأيت في منامي كأن بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨٠. قال: فما رُئي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي. قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وذكره المتقي باختلاف يسير. كنز العمال ٦/ ٤٠. وقال: أخرجه أبو يعلى والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وفي (ص ٩٠). وقال: أخرجه البيهقي في الدلائل، وابن عساكر وفي (ص ٩٠) ثانياً وقال: أخرجه أبو يعلى، وابن عساكر.

وفي ذيل تفسير قوله تعالى في تفسيرالفخر الرازي الكبير: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾. في سورة بني إسرائيل قال: واختلفوا في هذه الشجرة ـ إلى أن قال ـ: القول الثاني. قال ابن عباس: الشجرة بنو أمية ـ يعني الحكم بن أبي العاص. قال: ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره، فقص رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما، فلما تفرقوا سمع رسول الله الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد ذلك عليه، واتهم عمر في إفشاء سره، ثم ظهر أن الحكم كان يستمع إليهم فنفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال ـ: ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه فأنت بعض من لعنة الله.

وفي ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾. في سورة الإسرى من تفسير السيوطي الدر المنثور. قال: وأخرج ابن أبي

حاتم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ ﴾. يعني الحكم وولده.

وقال أيضا: وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة.

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٩ قال: هذا حديث صحيح الاسناد.

وعن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر. فقال: أنزل الله فيك ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾. الآية. قال: فبلغ عائشة فقالت: كذب والله ما هو به ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه. فمروان فصص من لعنة الله عز وجل. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨١. قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وذكره السيوطي أيضا في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: (والذي قال لوالديه أُف لكما). في سورة الأحقاف. وقال: أخرجه عبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، عن محمد بن زياد. وقال: فضفض من لعنة الله.

وعن عمرو بن مرّة الجهني ـ وكانت له صحبه ـ إن الحكم بن أبي العاص استأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم صوته وكلامه، فقال: إئذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه، إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة، ذو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨١. قال: هذا حديث صحيح الاسناد.

وذكره المتقي، وقال: أخرجه أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي، وابن عساكر. كنز العمال ٦/ ٨٩.

وعن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن الحكم وولده. المستدرك ٤/ ٤٨١، قال: هذا حديث صحيح الاسناد.

ثم قال: ليعلم طالب العلم أن هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روي، وأن أول الفتن في هذه الأمة فتنتهم، ولم يسعني فيما بيني وبين الله تعالى أن أخلي الكتاب من ذكرهم.

وفي كنز العمال ٦/ ٩٠ ذكر حديثاً عن يحيى النخعي قال: فيه فغضب الحسن عليه السلام وقال له ـ يعني لمروان ـ أقلت: أهل بيت ملعونون فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأنت في صلب أبيك.. قال: أخرجه ابن سعد، وأبو يعلى، وابن عساكر.

وعن زهير بن الأرقم قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وينقل حديثه إلى قريش فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما يخرج من صلبه إلى يوم القيامة. كنز العمال ٦/ ٩٠. قال: أخرجه ابن عساكر.

وعن عبد الله بن الزبير قال وهو على المنبر: ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام إن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم. كنز العمال ٦/ ٩٠. قال: أخرجه ابن عساكر.

وعن ابن الزبير أنه قال وهو يطوف بالكعبة: ورب هذه البنية لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحكم وما ولد. كنز العمال٦/ ٩٠. قال أخرجه ابن عساكر.

وعن عبد الله بن عمرو قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلحقني فقال ونحن عنده: ليدخلن عليكم رجل لعين، فوالله ما زلت وجلاً خارجاً وداخلاً حتى دخل فلان ـ يعني الحكم ـ. الهيثمي في مجمعه١/ ١١٢. قال: رواه أحمد.

وعن حلام بن جذل الغفاري قال: سمعت أبا ذر جندب بن جنادة الغفاري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله دغلا. قال حلام فأنكر ذلك على أبي ذر فشهد علي بن أبي طالب عليه السلام، أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله. أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٩. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وفي كنز العمال ٦/ ٣٩: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولا، وعباد الله خولا، وكتاب الله دغلا، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة.. قال: أخرجه الطبراني، والبيهقي عن معاوية وابن عباس.

وذكره بنحو أبسط. / ٩١. فقال: عن ابن موهب أن معاوية بينا هو جالس وعنده ابن عباس إذ دخل عليهم مروان بن الحكم في حاجة فقال: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين، فوالله إن مؤنتي لعظيمة، وإني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة، فلما أدبر قال معاوية لابن عباس: أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً، اتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا، وكتابه دخلا، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك التمرة. وفي لفظ لوك تمرة.

قال ابن عباس: اللهم نعم، ثم إن مروان رد عبد الملك إلى معاوية في حاجة فلما أدبر عبد الملك قال معاوية: أنشدك بالله يا بن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذكر هذا فقال: أبو الجبابرة الأربعة؟ قال: اللهم نعم، قال: أخرجه البيهقي في الدلائل، وابن عساكر.

وفي كنز العمال ٦/ ٣٩: إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه، وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء، وبعضكم يومئذ شيعته ـ يعني الحكم بن أبي العاص ـ قال: أخرجه الدار قطني، في الأفراد عن ابن عمر. وذكره في ص ٤٠. وقال: أخرجه الطبراني عن ابن عمر.

وفي ص ٩٠ بنحو أبسط، فقال: عن ابن عمر قال: هجرت الرواح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أبو الحسن، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أُدن فلم يزل يدنيه حتى التقم أذنيه فبينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسارّه إذ رفع رأسه كالفزع. قال فدعّ الحكم بسيفه الباب فقال لعلي عليه السلام: اذهب فقده كما تقاد الشاة إلى حبالها، فإذا علي عليه السلام يدخل الحكم بن أبي العاص آخذاً بإذنه له زنمة حتى أوقفه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلعنه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثا ثم قال: أحله ناحية حتى راح إليه قوم من المهاجرين ثم دعا به فلعنه ثم قال: إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء. فقال ناس من القوم: هو أقل وأذل من أن يكون هذا منه! فقال: بل وبعضكم يؤمئذ شيعته. قال أخرجه الدار قطني في الأفراد، وابن عساكر.

وعن عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمر بن سعيد، قال: أخبرني جدي، قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، ومعنا مروان، قال: أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش، فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة. فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني

١٣٢) وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦]؟

مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم. صحيح البخاري٦/ ٢٥٨٩(٦٦٤٩).

يقول الشارح ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ١٣ـ٧، ٨: إن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان.

قال الشارح: وفي هذا إشارة إلى أن أول الأغيلمة كان سنة ستين، وهو كذلك فإن يزيد بن معاوية استخلف فيها وبقي إلى سنة (٦٤هـ)، فمات ثم ولي ولده معاوية، ومات بعد أشهر. وقال الشارح أيضا: إن أول هؤلاء الغلمان يزيد كما دل عليه قول أبي هريرة سنة ستين وإمارة الصبيان. ثم قال الشارح: تنبيه، يتعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من ولده، فكأن الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحجة عليهم، لعلهم يتعظون، وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد. أخرجها الطبراني، وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد.

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر (ص ١٣٤): ومات ـ يعني يزيد ابن معاوية ـ سنة أربع وستين لكن عن ولد شاب صالح عهد إليه فاستمر مريضاً إلى أن مات ولم يخرج إلى الناس ولا صلى بهم، ولا أدخل نفسه في شيء من الأمور، وكانت مدة خلافته أربعين يوما، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة أشهر، ومات عن إحدى وعشرين سنة، وقيل: عشرين، قال: ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولي صعد المنبر فقال: إن هذه الخلافة حبل الله، وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب عليه السلام، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له، ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقُصف عمره وانبتر عقبه، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم بكى وقال: من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبؤس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأباح الخمر، وخرب الكعبة، ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارتها، فشأنكم أمركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً، ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها، قال: ثم تَغيَّب في منزله حتى مات بعد أربعين يوما كما مر، فرحمه الله أنصف من أبيه، وعرف الأمر لأهله. أقول: بل وأنصف من أبيه وجده، جميعا فلا تغفل، ولابن حجر هذا كتاب يحامي فيه عن معاية بن أبي سفيان.

فقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ﴾ فهو: إخبار منه أنه لا يريد إهلاك قرية إلا من بعد العصيان منها له، والمخالفة لأمره، وقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ يقول: أمرناهم بالطاعة، فأتوا بالفسق والمعصية، فحق عليها القول منا وهو الحكم منه بمواقعة الوعيد لهم، ووقوع العذاب عليهم، ﴿فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾ يريد: أهلها لا جدرها وأبنيتها.

١٣٣) وسألت أكرمك الله عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]؟

واعلم أن معنى هذا وأحسن ما يؤول في فهمنا، أن الله تبارك وتعالى أراد بذلك: أنه ليس من شيء إلا وفيه من أثر صنعه وتدبيره وتقديره، ما يدل على جاعله ومصوره، ويوجب له سبحانه على من عرف أثر صنعته فيه التسبيح والتهليل، والإقرار بالوحدانية والتبجيل، عند تفكُّر المتفكر، واعتبار المعتبر، بما يرى من عجائب فعله جل جلاله، فيما خلق من عروق الأشجار الضاربة في الثراء، وفروعها الباسقة في الهواء، وما يكون منها من ثمار مختلفة شتَّى، فإذا نظر إلى أثر تدبير الجبار فيها أيقن بالصنع، وإذا أيقن بالصنع أيقن بالصانع، وإذا استدل على الصانع ثبتت معرفته في قلبه، ورسخت وحدانيته في صدره، فإذا ثبتت المعرفة في قلب المعتبر، وصحت في جوارح الناظر، نطق لسانه بالتسبيح لجاعل الأشياء، وظهرت منه العبادة لصانعها.

فهذا معنى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، لما كان في الأشياء كلها الدليل على جاعلها، وفي الدليل على جاعلها ما يوجب الإقرار به، وفي الإقرار به ما يوجب ذكره بما هو أهله من التقديس والتبجيل، والتسبيح والمعرفة، والإقرار لقدرته، جاز أن يقال: ﴿يُسَبِّحُ﴾، إذ كان بسببه التسبيح من المسبِّح، المستدل على

ربه بما بَيَّن له في كل شيء من أثر صنعته، فقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، وهو يعني بالتسبيح: تسبيح المسبحين، لسبب أثر الصنع من المعتبرين بذلك، فجاز ذلك إذ كان بسبب أثر الصنع في هذه الأشياء، وكان التسبيح فيها من المسبحين، المقرين بالله المعترفين، وما التسبيح إلا كقول الله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل:٤]، فليس الله يزين لأحد قبيحاً، ولكن لما كان سبب زينة الدنيا وما فيها من الله خلقاً وجعلاً، وكان منه الإملاء للفاسقين، والتأخير الذي به تزينت أعمالهم، جاز أن يقال: ﴿زَيَّنَّا﴾ ولم يزين لهم سبحانه قبيحا من فعلهم.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف:٢٨]، فليس الله سبحانه يُغفل قلب أحد عن ذكره، ولا يصرفه عن معرفته، ولكن لما أن كان منه سبحانه ترك المعاجلة للمسيء على فعله، والتأخير له في أجله، جاز أن يقول: ﴿أَغْفَلْنَا﴾، إذ كانت الغفلة هي الإعراض، والترك للحق والتوبة والإنابة. فجاز من قِبَل إملاء الله وتأخيره للمسيء المذنب أن يقول: ﴿أَغْفَلْنَا﴾، على مجاز الكلام.

ومثل هذا كثير في القرآن، يعرفه ذو الفهم والبيان.

ومما حكى الله تعالى عن ولد يعقوب عليه السلام: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، فقال: القرية، والقرية فإنما هي البيوت والدور، وليس البيوت والدور تُسأل، وإنما أراد أهل القرية؛ لأنها من سبب الأهل، والأهل من سببها، فجاز ذلك في اللغة العربية.

وكذلك قولهم: سل العير التي أقبلنا فيها، والعير فإنما هي الجمال المحملة، وليس الجمال تُسأل، ولا تجيب ولا تستشهد، وإنما أرادوا: أهل الجمال وأرباب الحمولة، فقالوا: سل العير، وإنما أرادوا أهلها.

فكذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، يريد: وإن من شيء إلا وهو يوجب التسبيح على من اعتبر ونظر، وفكر في أثر صنع الله بها فيه، فجاز أن يقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، لما أن كان أثر الصنع فيه موجباً للتسبيح لصانعه، على المعتبرين من عباده.

فأما قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، فهو ذم لمن لم يعتبر ويستدل بأثر الصنع في الأشياء، فقال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، يريد: لا يفقهون ما به من أثر الصنع فيها، الذي يوجب التسبيح للصانع والإجلال والتوقير. فكان ذلك ذماً لمن لا يعتبر ولا يتفكر، ولا يحسن التمييز في أثر صنع الله، فيعلم بأثر صنعه ما يستدل به على قدرته، ويُصح لربه ما يجب لمعرفته، من توحيده والإقرار بربوبيته.

وأما قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾ [الرحمن:٦]، فقد قال بعض العلماء: إن معنى السجود: سجود ظلال الأشياء، ووقوعها على الأرض. وقال بعضهم: إن هذا على المثل، يقول: إنه لو كان في شيء من الأشياء، من الفهم والتمييز مثل ما جعل الله في الآدميين والشياطين، والملائكة المقربين، إذًا لعَبَدَ اللهَ كلُّ شيء وسبحه بأكثر من عبادة الآدميين وتسبيحهم.

فجعل هذا مثلا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ...﴾ [الأحزاب:٧٢] الآية، أراد تبارك وتعالى: أنه لو كان في السماوات والأرض والجبال من الفهم والتمييز ما في الآدميين، ثم عرض عليها ما عرض على الآدميين من حمل الأمانات التي قَبِلها الآدميون، لأشفقت السماوات والأرض والجبال من حملها، ولما قامت بها يقوم به الآدمي من نقضها، مع ما في الأمانة من الخطر، وعظيم الأمر، على من لم يؤدها على حقها، ويقم بها على صدقها.

والأمانة على صنوف شتى، فمنها: قول الحق وفعله، ومنها: أداء الشهادة على وجهها، ومنها: أداء الحقوق إلى أهلها، من الأنبياء المرسلين، والأئمة الهادين، ومنها: الودائع من الأموال وغيرها.

ومنها: العقول التي قال الله تبارك وتعالى فيها، وفيها عظم من خطرها، وأجل من أمرها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

فكلما ذكرنا فهو أمانة عند العالمين، واجب عليهم تأيتها عند رب العالمين.

وأحسن ما أرى - والله أعلم وأحكم - في تأويل قوله سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن:٦]، أنه أراد بقول: ﴿يَسْجُدَانِ﴾، ومعنى ﴿يَسْجُدَانِ﴾ فهو: لما فيهما من التدبير، وأثر الصنع والتقدير، لله الواحد القدير. فإذا رأى المعتبرون المؤمنون ما فيهما من جليل صنع الله، وعظيم جعله لهما، وما سخرهما له وجعلهما عليه، من جوَلان النجم في الأفلاك، تارة مصعداً وتارة منحدراً، وتارة طالعاً وتارة آفلاً، تقديراً من العزيز العليم، لما أراد من الدلالة على الدهور والأزمان، والدلالة على عدد الشهور والسنين والأيام للإنسان، فإذا رأى ذلك كله مسلم تقي، أو معتبر مهتد، سجد له بالمعرفة والإيقان، واستدل عليه سبحانه بذلك الصنع في كل شأن، فَعَبَدَه عِبَادَةَ عارف مقر، عالم غير منكر، فسجد له متذللاً عارفاً، مستدلاً عليه سبحانه بما أبصر من الدلائل في النجوم عليه.

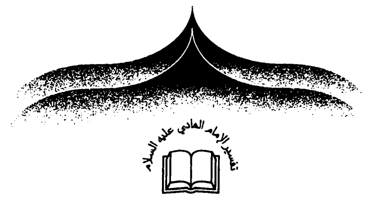
وكذلك حال الشجر وما فيه من عجاب الصنع والتدبير، وما ركبه الله سبحانه عليه من التقدير، في ألوان ثمارها وطعومها، واختلاف ألوانها، وهي تسقى بماء واحد، وتكون في أرض واحدة، كما قال الله سبحانه: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ

وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤]، فكل ذلك من اختلافها، دليل على قدرة جاعلها، ووحدانية فاطرها.

فهذا أحسن المعاني عندي – والله أعلم وأحكم – في ﴿يَسْجُدَانِ﴾، أنه يسجد من أثر الصنع فيهما، وأثر القدرة في تقديرهما، كُلُّ مؤمن عارف بالله، مقرٌّ بصنع الله وحكمته، ويستدل عليه بأثر قدرته.

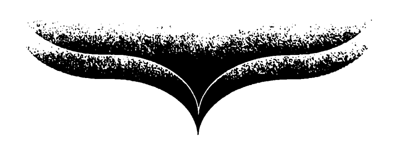
فافهم ما به قلنا في قوله: ﴿يَسْجُدَانِ﴾، وتفكر فيما شرحنا وميِّز قولنا، يَبِن لك فيه الصواب، ويزح عنك فيه الشك والإرتياب.





تفسير

سورة الكهف



ومن سورة الكهف

١٣٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ... إلى قوله: بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝﴾ [الكهف:٨٩-٩١] [١]؟

فقال: يقول لم نجعل لهم ما جعلنا لغيرهم، من الكتان والبيوت واللباس، وهؤلاء قوم في مطلع الشمس في طرف الأرض، ومعنى قوله: ﴿أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ فهو: إبقاؤه من وراء هؤلاء القوم فيما لم يصله [٢] من الأرض.

١٣٥) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف:٢٢]؟

وهذا أمر [٣] لم يُطلع الله عز وجل عليه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه لم يكن يحتاج إلى علمه، ولم يفترض الله على أحد من العباد علمه ولم يتعبد به، فلسنا نحتاج لتكليف ما كفينا منه [٤]، وقد تَقَحَّم في ذلك غيرنا بغير معرفة، ولا نحب أن

---

(١) كمال الآيات: ﴿...وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا...﴾.

(٢) في (ب): يطأه.

(٣) في (ب): الأمر.

(٤) في (ب): فيه.

نتقحم فيها ندم فيه ولا نحمد، والله أعلم بذلك وأحكم.

فأما القليل الذي ذكر الله أنهم يعلمونهم، فإنما هم قليل ممن عرف مخرجهم وعددهم، ووقت ما خرجوا من القرية هاربين، وأووا في ذلك اليوم إلى الكهف منحازين، وليس القليل العالم بهم بعد استيقاظهم من رقدتهم، وإنما القليل الذين علموهم قبل رقدتهم وعند خروجهم من قريتهم، وقد نهى الله سبحانه نبيه عن المماراة في عدتهم، والقول في ذلك بما لم يطلعه عليه، وما نُهِيَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم فنحن عنه منهيون، وما أُمر بتركه فيهم [1] فالخلق بذلك مأمورون، لا يسعهم التقحم في شبهه [2]، ولا يحل لهم البحث عما أمروا بتركه، إذ ليس مع أحد من الأولين والآخرين منه يقينُ معرفة، ولا يتكلم فيه أحد إلا بمحال، وشبهة [3] لا يسع النظر فيها، ولا يجوز الاجتراء عليها.

١٣٦) وسألت عن قول الله سبحانه، وتعالى عن كل شأن شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ۝﴾ [الكهف:٥٧]، فقلت: إن قال قائل (من المجبرة أو تكلم متكلم فقال: إن الله جعل على قلوبهم أكنة حتى لا يفقهوه، وفي آذانهم وقرا حتى لا يسمعوا) [4]، وإن ذلك من فعل الله بهم ليشقيهم؟!!

وليس ذلك لَعَمْرُهُ [5] كذلك! ولو كان الله الذي حجب قلوبهم وآذانهم عن

---

(١) في (ب): فيهن.

(٢) في (ب): شبهة.

(٣) في (أ): بمحال وباطل وشبه.

(٤) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٥) سقط من (ب): لعمره.

ذلك، لم يبعث الرسول إليهم ! ولم يحتج ببرهانه عليهم ! وكانوا عنده بتركهم ذلك معذورين، وكانوا على ذلك مثابين، إذ هم لما أرسل إليهم به غير مستطيعين، وقد قال الله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧]. فكيف يكلفهم الإئتمار، وقد أحجب قلوبهم عن الاعتبار، فتعالى الله عن ذلك العزيز الجبار، بل معنى قوله جل جلاله ذلك هو: إنكار عليهم لقولهم الذي قالوا حين دعاهم الرسول إلى الحق، وترك ما هم عليه من الباطل والفسق، فقالوا له استهزاء وعبثا: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ [فصلت:٥]، فقال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، يحكي قولهم، ويرد كذبهم عليهم [1]: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الكهف:٥٧]، يريد سبحانه: أئنا جعلنا على قلوبهم أكنة كما قالوا؟! وفي آذانهم وقرا كما ذكروا؟! بل الزور في ذلك قالوا، وبالباطل تكلموا.

فأراد بذلك معنى الإنكار عليهم، والتكذيب لهم والتقريع بكذبهم، وتوقيف نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم على باطل قولهم، وجليل ما أتوا به من محالهم، فقال: ﴿إِنَّا﴾ وهو يريد: أئنا، فطرح الألف استخفافا لها، والقرآن فعربي، إلى النور والحق يهدي، والعرب تطرح الألف من كلامها وهي تريدها، فيخرج لفظ [2] الكلام لفظ إخبار ونفي، وهو تقريع وإيجاب، وتثبتها وهي لا تريدها، فيخرج لفظ الكلام لفظ شك، ومعناه: معنى خبر وإيجاب [3]، في كل ما جاءت به من الأسباب.

---

(١) في (أ): عليهم فقال.
(٢) سقط من (ب): لفظ.
(٣) في (ب): والمعنى معنى إيجاب.

من ذلك قول الله سبحانه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة:١]، وقوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ [البلد:١]، فقال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ وإنها أراد: ألا أقسم، فطرح الألف منها فخرج لفظها لفظ نفي، وهي قسم وإيجاب، وقال في عبده ونبيه يونس صلى الله عليه: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ [الصافات:١٤٧]، فأثبت الألف وهو لا يريدها، فخرج لفظ الكلام لفظ [1] شك، ومعناه: معنى إيجاب وخبر، أراد سبحانه وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون على مائة ألف، فأراد بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا﴾ التقريع لهم والتوقيف لنبيه على تكذيبهم [2]، لا ما يقول الجاهلون إنه خبر عن فعله بهم، ألا ترى كيف يدل آخر الآية على أولها، من قوله: ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ۝٥٧﴾، يقول: فإن [3] كان الأمر على ما يقولون، وكنا قد فعلنا بهم شيئا [4] مما يذكرون، فَلِمَ أرسلناك تدعوهم إلى الهدى، وتزجرهم [5] على الردى، لو كانوا كذلك، وكنا فعلنا بهم شيئا من ذلك، ثم دعوتهم إلى الهدى فلم يطيقوا أن يهتدوا إذا أبدا. ألا تسمع قوله: ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ۝٥٧﴾، فقال: إذاً، يريد: إن كان ما يقولون علينا، مما ذكروا أنه على أبصارهم وأسماعهم وقلوبهم فعلا [6] منا بهم، فلن يهتدوا إذا أبدا، كنا منعناهم بذلك عن الاهتداء، فكيف نرسلك إلى من لا يستطيع أن يهتدي، ولا

---

(١) سقط من (أ): لفظ.
(٢) في (ب): كذبهم.
(٣) في (ب): إن.
(٤) سقط من (ب): شيئا.
(٥) في (ب): أو تزجرهم.
(٦) فعلا: منصوب لأنه مفعول مطلق.

يفلح ولا يقتدي، هذا ما لا يفعله بك ولا بهم أحد من الخلق المخلوقين ! فكيف بالله ذي القدرة أرحم الراحمين؟!!

١٣٧) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ [الكهف:٧٤]، فقلت: بما استحق الغلام القتل؟ وقلت: إن قالت المجبرة: إنه إنما استحق القتل بعلم الله بعاقبة أمره، فكذلك [1] استحق الكافر العذاب بعلم الله لا بأعمالهم؟

فسبحان من لا يعذب أحدا لا بقتل ولا غيره من العذاب، إلا من بعد فعله لسبب يستحق به ذلك كائنا ما كان من الأسباب [2]، وأما الغلام فإن العرب تسمي الشاب البالغ: غلاما، وتختار ذلك لها لغة وكلاما، وقد يمكن أن يكون هذا الغلام الذي قتله الخضر صلى الله عليه غلاما، قد جرت عليه الأحكام والآداب، فقتله بأمرٍ فعله أطلعه الله عليه، وأوجب القتل على الغلام فيه، مع ما كان فيه [3]، من سوء فعله ورأيه، ونيته في أبويه.

١٣٨) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف:١٠١]؟

فهذا من الله على طريق الذم لهم، والعيب لفعلهم، أخبر سبحانه أن صدودهم عن الحق، وقلة سمعهم له، فعال كفعال من لا يستطيع سمعا، والسمع هاهنا هو: الطاعة لله ولرسوله، كقلة [4] سمع من لا يستطيع طاعة ولا سمعا.

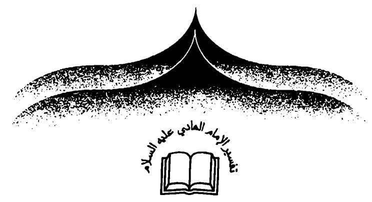
---

(١) في (أ): وكذلك.
(٢) في (أ): الأشياء. ولعل الصواب ما أثبت. وسقط من (ب): من الأسباب.
(٣) سقط من (أ): فيه.
(٤) في (ب): كقوله. مصحفة.

١٣٩) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝﴾ [الكهف:٥٢]؟

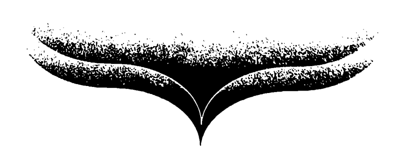
فالموبق فهو: الهلكة التي أوبقتهم، بمعنى ما قدموا من عملهم، وهو العذاب الذي صيَّرهم الله إليه، وأوبقهم فيه، فشغلهم موبق الهلكة عن إخوانهم الفسقة، فهذا معنى ﴿مَّوْبِقًا﴾.





تفسير

سورة مريم



ومن سورة مريم

١٤٠) وسألته عن قول الله سبحانه، فيما يذكر عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم:٥]؟

فقال: الموالي فهم: العصبة الوارثون، وقوله: ﴿خِفْتُ﴾ فهو: خفتهم على دينك أن يعطلوه من بعدي، ويرفضوه بعد وفاتي، ولا يقومون بما أوصيتني به وأمرتني[1]، فسأل ربه أن يهب له عقبا ولدا ذكرا، يرثه حكمته وعلمه، ويرث حكمة آبائه وأجداده آل يعقوب، فأجابه الله، فوهب له يحيى صلى الله عليهما. ومعنى قوله: ﴿كَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾، فالعاقر[2]: التي لا تلد.

١٤١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝﴾ [مريم:١٣]؟

فقال: معنى قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ هو: رحمة وتحننا عليك، ومعنى تحننٌ فهو: تعطفٌ[3] ورحمة، وإجابة وكرامة، ﴿وَزَكَوٰةً﴾ فهو: زاكيا طاهرا، والتقي فهو: المؤمن الخائف[4] لله المتقي، ومعنى قوله: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من قِبَلِنا وعندنا ومنا.

(١) في (ب): أوصيتني وأمرتني به.
(٢) في (أ): والعقار.
(٣) في (ب): عطفا.
(٤) سقط من (أ): الخائف.

١٤٢) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم:٧٩]؟

فقال: معنى ﴿كَلَّا﴾ فهو: بلى، وهي كلمة تستعملها العرب فيما توجبه على أنفسها، ومعنى ﴿سَنَكْتُبُ﴾ فهو: سنحفظ ما يقول ونحصيه، حتى نوقفه يوم القيامة عليه، ومعنى قوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ فهو: نمد له من الإملاء مدا طويلا، فسمى الإملاء هاهنا عذابا، إذ كان إملاؤه له بما (١) يزداد به إثما، ويكتسب (٢) له عذابا في الآخرة وخزيا، فلما أن كان الإملاء سببا للعذاب، جاز أن يقول: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾.

١٤٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم:٨٣]؟

فقال: الإرسال من الله للشيطاين على الكافرين هو: التخلية بينهم وبينهم، وترك الدفع لهم عنهم، ومعنى ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ فهو: تخزيهم إخزاء، بما يكون منهم إليهم من الإطغاء، الذي به يصلون إلى عذاب الهون، والأز فهو: كل ما كان من طريق الخزي والصغار، والهلكة والاذعار.

١٤٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [مريم:٧٤]؟

---

(١) في (ب): لما.

(٢) في (ب): ويكتسبه.

يقول: نعمه ورياشا، والأثاث ما ينتفع به من الفرش والآلة، وما يحتاج [1] إليه، الخلق في منازلهم وديارهم. ومعنى ﴿وَرِءْيًا﴾ فهو: نعمة ومنظر، يقول: أحسن منظرا، وأهيأ خلقا منهم.

١٤٥) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم:٨٣-٨٤]، فقلت: ما الحجة في ذلك عليهم، ولِمَ يعذبهم إذ كان هو المرسل لهم؟

فمعنى الإرسال من أرحم الراحمين، لمن ذكر أنه أرسله من الشياطين هو: التخلية من الشياطين، والكفرة الفاسقين، وترك الحول بينهم وبينهم، لأن الله لا يوقع الخذلان بأحد ممن عصاه من الإنسان، إلا من بعد تركه للطاعة والتقوى والإيمان، ومن رُفع عنه التوفيق والإحسان، وقع عليه ولزمه الخذلان، فآذته الشياطين، ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء:٣٨]، والأز [2] من الشيطان فهو: الإغواء والوسوسة للكافرين والتدلية من دلاه، أوقعه بغرور فيما يريد. وهو من إدلاء الدلو لهم فيما يكون به عذابهم يوم الدين.

فهذا معنى إرسال الله للشياطين، لا ما يتوهم عليه مَن ضعف من الجاهلين [3].

---

(١) في (أ)، (ب): يحتاجون. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في (أ): والأذى. مصحفة.

(٣) في (ب): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ قال: الإرسال من الله للشياطين على الكافرين هو: التخلية بينهم وبينهم، وترك الدفع لهم عنهم. ومعنى ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ فهو: يخزيهم إخزاء بما يكون منهم من الإطغاء، الذي به يصلون إلى عذاب الهون. والأز فهو: كل ما كان من طريق الخزي والصغار، والهلكة والإذعار.

١٤٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿كهيعص﴾، و ﴿حم﴾، و ﴿الر﴾، وما أشبه ذلك من أول السور؟

واعلم - أعاننا الله وإياك على طاعته - أن هذه الأحرف أحرف لم يتعبد الله أحدا فيها بأكثر من الإقرار بها، كَنَّ [1] الله تفسيرها عن نبيه فضلا عن غيره، ولو اطلع عليها نبيه، لاطلع عليها وصيه، ولو اطلع عليها وصيه، إذاً لعرفها علماء أهل بيته، فلما أنا [2] لم نجد ذلك مفسرا عن رسول الله عليه السلام، ولا اللغة المستدل بها، علمنا أن هذه الأحرف أحرف لم يكلف الله تفسيرها، إذ ترك اطلاع نبيه عليها[3]، غير أنه قد تكلم متكلمون، وخبط خابطون، بغير معرفة، ولا بصيرة نافية، تكمُّهاً منهم وعمى، فأنكرنا ذلك من فعلهم، وكرهناه من عملهم، فحسبنا إن فسرنا أن نقع في ما كرهنا، ونصير إلى ما أنكرنا، فتركنا المنكر عندنا، لما بان من الصواب لدينا، فنسأل الله العون على طاعته، والقيام بواجب حقه.

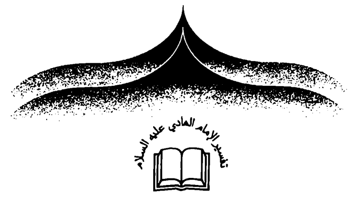
قول الله تبارك وتعالى: ﴿حم﴾ حرف لم يتعبد الله أحدا بعلمه، ليس فيه فرض من الله على عباده، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف:٢، الدخان:٢]، فهو: كتاب محمد المبين، معنى المبين: بين الحق وبين الباطل.



(١) في (أ): كنًّا. وكتب فوقها (كذا) مصحفة. والصواب ما أثبت. والمعنى: أخفى.

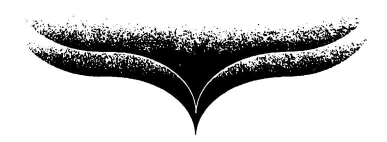
(٢) في (أ): أن. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) أخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ بن حبان في التفسير، عن داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور قال: يا داود إن لكل كتاب سراً، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسَل عما بدا لك. الدر المنثور ٥٩/١.



تفسير

سورة طه



ومن سورة طه

١٤٧) وسألته عن قول الله سبحانه، فيما يذكر عن نبيه موسى صلى الله عليه، قال: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝ ... إلى قوله: فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۝﴾ [طه:٩٥-٩٧](١)؟

فقال: هذه مخاطبة من موسى صلى الله عليه للسامري، الذي أهلك بني إسرآئيل من بعد موسى، ومعنى قول السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ يريد: رأيت ما لم يروا، ومعنى ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ فهي: قبضةُ ترابٍ من أثر جبريل، رمى بها السامري في الذهب الذي جمعه، ثم عمله عجلا، فدخل الشيطان في العجل فخار لهم. فقال السامري ما قال من الكفر بسبب العجل، إلى أنه إله بني إسرآئيل، فهذا الذي سوَّلت له نفسه، ووسوس له به الشيطان، فقال له موسى صلى الله عليه: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ يريد موسى صلى الله عليه: إنك تستطيع بما جعل الله فيك من الاستطاعة أن تقول: ذلك، لا أنه أمره(٢) به، والمساس فهي: المصافحة والمعاشرة، فأخبره صلى الله عليه أنه يستطيع أن يقول إن أراد أن لا يحل بكم، أن يسلم بعضكم على بعض، ولا يعاشر بعضكم بعضا، بما جعل الله فيه من الاستطاعة على ذلك، فقال صلى الله عليه: أنت تقدر أن تقول ذا وتفعله لو أردت، وتمنع منه لو شئت، وهو شيء بين

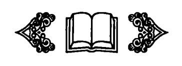
(١) كمال الآية: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾.

(٢) في (ب): أمر به.

الناس من أحس ما يكون من الفعل، الذي يعرفونه ويفهمونه بينهم، فكيف لا تقدر أن تأمرهم بها لا يفعلونه من عبادة هذا العجل، الذي جعلته إلها، فظلت عليه عاكفا، ومعنى ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ فهو: ظلت له عابدا، ﴿عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾ يقول: لنطرحنه في النار حتى يذوب ويحترق، ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾. وإنما أراد بإحراقه صلى الله أن يخبر السامري ومن أطاعه، أن هذا شيء ذليل يُحرق ويُنسف في البحر، فكيف يجوز أن يكون من يفعل به هذا ولا ينتصر للخلق إلها؟! هذا لا يكون أبدا، ولا يتوهمه إلا غير ذي هدى !!

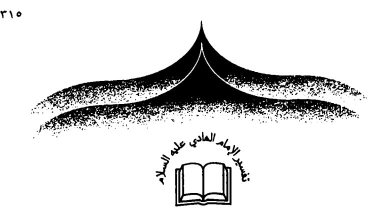
١٤٨) وسألت عن قول الله تبارك وتعالى لهارون وموسى عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝﴾ [طه:٤٣-٤٤]، فقال: ما معنى قوله: ﴿لَّعَلَّهُ﴾؟ ولعله لا يقع إلا شاك، لا يحيط مما يريد علمه؟!

قلنا له [١]: جهلك باللغة دلاك في جور الجهالة، ألا ترى أن العرب، يقول قائلها لغلامه: خذ هذه الدنانير، عساك أن تشتري بها طعاما لنا، ويقول: خذ هذا الطعام عساك أن تأكله، وهو يعلم إذا ذهب بالدنانير أن يشتري بها طعاما أنه سيشتريه، وأنه إذا أخذ الطعام أنه سيأكله، فقال: لعل، وهو يعلم أنه سيفعل، فعلى ذلك يخرج معنى قول الله ﴿لَّعَلَّهُ﴾ في لغة العرب [٢].



(١) في (أ): فياله. وظنن عندها بها أثبت ولعله الصواب.

(٢) سقط من (ب): هذا السؤال والجواب.



تفسير

سورة الأنبياء



ومن سورة الأنبياء

١٤٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء:٨٧]؟

فقال: أما ذو النون فهو: يونس، وأما النون فهو: الحوت، وأما قوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾، فإنما كان ذهابه غضبا على قومه، واستعجالا منه دون أمر ربه[1]، لا كما

---

(١) أخرج ابن جرير، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ يقول: غضب على قومه ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ يقول: أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه عليهم وفراره. قال: وعقوبته أخذ النون إياه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الضحاك في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ قال: مغاضبا لقومه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ قال: ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ قال: ظن أن لن نعاقبه بذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عطية في قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ قال: أن لن نقضي عليه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الضحاك في قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ يقول: ظن أن الله لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه وفراقه إياهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دعا يونس قومه أوحى الله إليه أن العذاب يصبحهم فقال لهم، فقالوا: ما كذب يونس وليصبحنا العذاب، فتعالوا حتى نخرج سخال كل شيء فنجعلها مع أولادنا لعل الله أن يرحمهم. فأخرجوا النساء مع الولدان، وأخرجوا الإبل مع

فصلانها، وأخرجوا البقر مع عجاجيلها، وأخرجوا الغنم مع سخالها فجعلوه أمامهم، وأقبل العذاب ... فلما رأوه جأروا إلى الله ودعوا، وبكى النساء والولدان، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وعجاجيلها، وثغت الغنم وسخالها، فرحمهم الله فصرف ذلك العذاب عنهم، وغضب يونس فقال: كذبت، فهو قوله: ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ فمضى إلى البحر، وقوم رست سفينتهم فقال: احملوني معكم فحملوه، فأخرج الجعل فأبوا أن يقبلوه منه فقال: إذاً أخرج عنكم. فقبلوه، فلما لجت السفينة في البحر أخذهم البحر والأمواج، فقال لهم يونس: اطرحوني تنجوا. قالوا: بل نمسك ننجو. قال: فساهموني – يعني: قارعوني – فساهموه ثلاثا فوقعت عليه القرعة، فأوحى غلى سمكة يقال لها: النجم، من البحر الأخضر، أن « شقي البحار حتى تأخذي يونس، فليس يونس لك رزقا ولكن بطنك له سجن، فلا تخدشي له جلدا ولا تكسري له عظما »، فجاءت حتى استقبلت السفينة، فقارعوه الثالثة فوقعت عليه القرعة فاقتحم الماء، فالتقمته السمكة فشقت به البحار حتى انتهت به إلى البحر الأخضر. الدر المنثور ٥/ ٦٦٥– ٦٦٧.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن يونس عليه السلام كان وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والدة وولدها، ثم خرجوا، فجأروا إلى اله، واستغفروه، فكف الله عنهم العذاب، وغدا يونس عليه السلام ينتظر العذاب، فلم ير شيئا، وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل. فانطلق مغاضبا، حتى أتى قوما في سفينة، فحملوه وعرفوه، فلما دخل السفينة ركدت، والسفن تسير يمينا وشمالا، فقال: ما بال سفينتكم؟! قالوا: ما ندري ! قال: ولكني أدري. إن فيها عبدا أبق من ربه، وإنها والله لا تسير حتى تلقوه، قالوا: أما أنت والله يا نبي الله فلا نلقيك. فقال لهم يونس عليه السلام: اقترعوا فمن قرع فليقع، فاقترعوا فقرعهم يونس عليه السلام ثلاث مرات، فوقع فود وكل به الحوت، فلما وقع ابتلعه، فأهوى به إلى قرار الأرض، فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصى ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧]، قال: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، قال: ﴿ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾﴾، قال: كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فكان يستظل بها ويصيب منها. الدر المنثور ٧/ ١٢٣ – ١٢٤.

يقول الجهلة الكاذبون على أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم [١]، من قولهم: إن يونس خرج مغاضبا لربه، وليس يجوز ذلك على أنبياء الله صلوات الله عليهم، وإنما كان ذلك كما ذكرت لك من غضبه على قومه، ومفارقته لهم واستعجاله دون أمر ربه، وهو قوله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم:٤٨]، وهو يونس، يقول: لا تعجل كعجله، واصبر لأمري وطاعتي ولا تستعجل كاستعجاله، فهذا معنى قوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾، وقوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أراد بذلك من قوله: ﴿فَظَنَّ﴾ أي: أفظن أن لن نقدر عليه؟! وهذا على[٢] معنى الاستفهام، ويمكن حملها عليالظن الحقيقي، ومعنى ﴿نَّقْدِرَ﴾ أي: نضيق، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر:١٦]، لم يكن ظن ذلك صلى الله عليه، وهذا مما احتججنا به في الألف، التي تطرحها العرب وهي تحتاج إلى إثباتها، وتثبتها في موضع وإن لم تحتج لها، مثل قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة:١، البلد:١]، وإنما أراد: ألا أقسم، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤]، وإنما أراد: وعلى الذين لا يطيقونه فدية، فطرح الألف وهو يريدها.

ومن ذلك قول الشاعر:

نــزلتم منــزل الأضــياف منــا ... فعجلنــا القِــرى أن تشــتمونا [٣]

وإنما أراد: لأن لا تشتمونا، فطرح الألف واللام وهو يريدها [٤]، ومثل هذا كثير في الكتاب، وهي حروف الصفات.

---

(١) سقط من (أ): صلوات الله عليهم.
(٢) سقط من (أ): على.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) في (أ): الألف وهو يريدها. وسقط من (ب): وهو يريدها.

فلما صار يونس عليه السلام في السفينة، وركب أهلها واستقلت بهم، وطابت الريح لهم، أرسل الله حوتا فحبس السفينة فلم تجز، فعلم القوم عند احتباسها أنها لم تحبس بهم، إلا بأمر من الله قد نزل بهم، فتشاور القوم بينهم، وتراجعوا القول في أمرهم، وما قد نزل بهم وأشفقوا، فقال لهم يونس: ياقوم أنا صاحب المعصية، وبسببي حبست بكم السفينة، فإن أمكنكم أن تخرجوني [1] إلى الساحل فافعلوا، وإن لم يمكنكم ذلك فألقوني في البحر وامضوا، فقال بعضهم: هذا صاحبنا، وقد لزمنا من صحبته ما يلزم الصاحب لصاحبه، وليس يشبهنا [2] أن نلقيه في البحر، فيتلف فيه على أيدينا، ونسلم نحن، ولكن هلموا نستهم، فمن وقع عليه السهم ألقيناه في البحر، فتساهم القوم فوقع السهم على يونس، ثم أعادوا ثانية فوقع السهم عليه، ثم أعادوا ثالثة فوقع السهم على يونس، فرمى بنفسه البحر، فالتقمه الحوت ومضى في البحر، فكان يونس عليه السلام ينظر إلى عجائب البحر من بطن الحوت، وجرت سفينة القوم بهم.

قال: ولبث يونس في بطن الحوت ما شاء الله من ذلك، فأسمط [3] شعره وجلده، حتى بقي لحمه، ومنع الله منه الموت، فلما علم الله توبته، وقد نادى بالتوبة ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧]، فاستجاب الله [4] له وقبل توبته، ورحم فاقته، وأرسل ملكا من الملائكة، فساق ذلك الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر، فألقى يونس من بطنه، وقد ذهب شعره

---

(١) في (أ): تخرجوا.

(٢) يعني: يحسن بنا.

(٣) أي: ذهب وتفسخ.

(٤) سقط من (ب): الله.

وجلده، وذهبت قوته، فرد الله [١] جسمه على ما كان عليه أولا، من تمام صورته، وحسن تقويمه، وأنبت الله له شجرة اليقطين - وهي الدبا - فكان يأكلها، فلما اشتدت قوته، واطمأن من خوفه وإشفاقه، أرسله الله إلى قومه، وكانوا في ثلاث قرى، فمضى إلى أول قرية فدعاهم إلى الله وإلى دينه، فأجابه نصفهم أو أكثر من النصف، وعصاه الباقون فسار بمن أطاعه إلى العصاة لأمره، فحملهم عليهم وقاتلهم فقتلهم وأبادهم، ثم سار إلى القرية الثانية فدعا أهلها وأعذر إليهم وأنذرهم، فأجابه منهم طائفة، فحمل المطيع على العاصي فقتلهم وأبادهم، ثم سار إلى القرية الثالثة، وكانت أعظم القرى وأشدها بأسا ومنعة، فدعاهم إلى الله وأعذر إليهم وأنذرهم وحذرهم ما حل بإخوانهم، فلم يجبه منهم أحد واستعصموا على كفرهم، فسار إليهم وخرجوا إليه، فحاربهم فلم يقدر عليهم، فلما كان بعد وقت، وعلم الله منه الصبر على ما أمره به من طاعته، والإعذار إلى خلقه، أمر الله جبريل صلوات الله عليه فطرح بينهم نارا، ثم أرسل الله الرياح فأذرت النار عليهم، وعلى منازلهم ورجالهم، فأحرقتهم جميعا ودمرتهم، فهذا ما سألت عنه من خبر يونس عليه السلام.

١٥٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝﴾ [الأنبياء:١٢-١٣]؟

فقال: هذا إخبار من الله بما كان من الكافرين المجترين [٢] عليه، عند نزول

---

(١) في (أ): الله عليه...

(٢) في (ب): المجرمين. مصحفة.

العذاب عليهم، وأنهم لما أيقنوا به هربوا [١] من القرية، وولوا مدبرين في الأرض هاربين، فأخبرهم الله أنهم [٢] لن يغني عنهم ركضهم ولا هربهم، وأن العذاب يلحقهم ويأخذهم، فقال: ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، يريد: ارجعوا إلى الأموال والنعم التي أترفتكم وأطغتكم وأشرتكم، وإلى المساكن التي ضننتم بمفارقتها، وعصيتم رسلنا، وتركتم الجهاد في سبيل الله، محبة لها، وتوقا [٣] إليها، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ يقول: لعلكم توقفون على ما كنتم تنكرون وتدفعون، وبه تكذبون، من نزول العذاب عليكم، إذ قد نظرتموه [٤] عيانا، وأبصرتموه صراحا.

١٥١) وسألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]؟

فقال: معنى قوله: ﴿نَبْلُوكُم﴾ هو: نمتحنكم، فننظر كيف صبركم على المحنة.

قلت: فما الشر الذي امتحن الله به المؤمنين؟

قال: أشياء كثيرة، منها: موت الآباء والأولاد، وفراق الأحبة والأولاد، ومثل ما يأتي من عند الله من النوازل على جميع العباد، فمن صبر على ذلك جازاه الله عليه، ومن جزع وأعرض لم يغن ذلك عنه، وكان عند الله مأثوما معاقبا.

١٥٢) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]؟

---

(١) في (ب): وهربوا.

(٢) في (ب): أنه.

(٣) في (ب): وتودا. مصحفة.

(٤) في (ب): رأيتموه.

فهذا إخبار من الله سبحانه أن كل مَن عَبَدَ من دون الله أحدا، وكان المعبود من دون الله راضيا بذلك من فعل العابدين، فإنه ومن يعبده حصب جهنم، و﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هو: حطبها ووقودها.

﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ يريد: أنتم إليها صائرون، وفيها داخلون. والعبادة فقد تكون على معنيين:

فمنها: عبادة ربوبية.

ومنها: عبادة سمع وطاعة واستقامة من المأمور لأمر الآمر.

فأما عبادة الربوبية فهو: مثل من قد عبد النجوم، وعَبَدَ المسيح وعَبَدَ العزير، وعبد اللات والعزى، وودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا [(١)]، فهؤلاء يعبدهم من يعبدهم عبادةَ ربوبية، يتخذونهم آلهة من دون الله، يتقربون بعبادتهم في قولهم إلى الله، ولا يعبدون الله إجلالا - زعموا - وإعظاما من أن يعبدوه، فاتخذوا هؤلاء أربابا من دون الله، يعبدونهم لكفرهم، وضلالهم وغيهم وإفكهم.

وعبادة الطاعة والاستقامة، مثل عبادة من أطاع إبليس، فنهاهم الله عز وجل

---

(١) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾، قال: هذه أصنام كانت تعبد في زمن نوح.
وأخرج البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: صارت الأصنام والأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، وكانوا أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تبعد حتى إذ هلك أولئك ونسخ العلم عبدت. الدر المنثور ٨/ ٢٩٣.

عن عبادته، وهي: عن طاعته، وذلك قوله سبحانه [1]: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝﴾ [يس:٦٠-٦١]. والشيطان - لعنه الله - لم يعبده أحد من الناس عبادةَ ربوبية، وإنما عبادتهم له فيما نهاهم الله عنه في الطاعة له فيما يأمر به ويوسوس لهم، وكذلك معنى قول الله سبحانه هاهنا: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ يريد: أطيعوني ولا تطيعوا إبليس اللعين. فهذا [2] معنى قوله، وما سألت عنه من قول الله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝﴾ [الأنبياء:٩٨].

١٥٣) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝﴾ [الأنبياء:١٠١]؟

(معنى قوله سبحانه: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾)[3] هو: وجب لهم منا الحكم بالحسنى في دار الدنيا، وتقدم لهم منا في حياتهم الدنيا وجوب الوعد بالحسنى، والحسنى فهي: الثواب والرحمة، ووجوب المغفرة، ورفع الدرجة، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، يخبر أن هؤلاء الذين قد وجب لهم من الله في الدنيا ما وجب من الحسنى عنها مبعدون، وهي النار نعوذ بالله من النار.

والذين سبق لهم هذا من الله في حياتهم، ووجب لهم منه الوعد الصادق في دنياهم وآخرتهم [4]، فهم المؤمنون بالله والعارفون به، المثبتون لعدله وتوحيده،

---

(١) سقط من (ب): سبحانه.

(٢) سقط من (ب): فهذا...

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٤) في (ب): والذين سبق لهم من الله هذا في الدنيا والآخر فهم...

القائلون بصدق وعده ووعيده، والعارفون بفضل الجهاد في سبيله، الموالون [١] لأوليائه، والمعادون لأعدائه، المؤدون لجميع فرائضه، القائمون بطاعته، التاركون لمعصيته، المستقيمون على واضح سبيله، رحمة الله ورضوانه عليهم [٢]، ونسأله أن يجعلنا في حكمه كذلك، وأن يرزقنا برحمته ذلك، وأن يفعل بنا ما يفعل بأولئك، إنه ولي حميد.

١٥٤) وسئل عن قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠] فقال: كيف كانتا مرتوقتين وما الرتق، وكيف فُتقتا وما الفتق؟

قيل له: إن الله تبارك وتعالى الخالق لكل شيء، والمصور له والمدبر، خلق الماء والهواء والنار والرياح، فابتدع هذه الأشياء الأربعة ابتداعا، وانتزع تكوين تصويرها انتزاعا، من غير ما أصل كان موجودا مع الواحد الرحمن، بل هو الواحد الأحد، الموجد لكل جميع ما يوجد، فخلق تبارك وتعالى هذه الأشياء طبائع مختلفة، متضادة غير مؤتلفة، فجعلها أصولا لكل ما خلق وبرأ [٣]، وهذا المعنى الذي به تكلمنا ذكر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لنا قال: فلما أن خلق الله تبارك وتعالى الماء والرياح أوحى إلى الرياح بأن تصفق وتهيج غوارب الماء وأمواجه، فتهيجت أمواجه، وزعزعت ساكنه، فازتعدت غواربه فتراكم زبده، وعظم أمره، ثم أوحى إلى النار فأحرقت ذلك الزبد، فثار منه دخان، فصعد الهواء، وبقي حراقة الزبد، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ

---

(١) في (أ): المولون.

(٢) سقط من (ب): رحمة الله ورضوانه عليهم. وسقط ما بعده.

(٣) هذه نظرية الطبائع الأربع، أو أصول الأشياء وهي كما ذكر: الماء والهواء والنار والرياح.

ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهٗا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١][١].

فقد يمكن أن يكون معنى قوله: ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ فهو: ميزناهما من أصل واحد، وخلقناهما فجعلنا السماء من دخان ذلك الشيء، والأرض من حثالته، فهذا عندي أحسن ما أرى فيه من القول، والله سبحانه أعلم، وبذلك جل جلاله أحكم، ولا أتوهم أنه يصح في قوله [٢] خلاف هذا، يثبت على المطالبة، ويمكن في المناظرة، (ويمتنع على من رام إفساده من الفساد، ويبين رشده إن شاء الله لمن أراد الرشاد)[٣].

(١) قال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولائم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، علماً بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها وانتهائها، عارفا بقرائنها وأحنائها. ثم أنشأ – سبحانه – فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطما تيارها، متراكما زخاره. حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها، وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشاها، فامرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء. ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجو منفهق، فسوى منه سبع سموات، جعل سفلاهن موجا مكفوفا، وعلياهن سقفا محفوظا، وسمكا مرفوعا، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها. ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجا مستطيرا، وقمرا منيرا في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر. نهج البلاغة الخطبة (١) / ٤٠ – ٤١.

(٢) في (ب): يصح قوله.

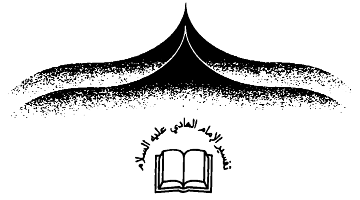
(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

١٥٥) وسئل صلوات الله عليه عن قول الله سبحانه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝﴾ [الأنبياء:١٠٠]؟!

فقال: أولئك المتجبرون على الله، الفراعنة والطواغيت، والكفرة والعفاريت، الذين أضلوا عباد الله، واتخذوهم [١] خولا، واستمالوهم إلى عبادتهم، بزخرف الدنيا، والعبادة هاهنا فهي: [٢] الطاعة، فأخبر الله أنه من مات من أولئك فإنهم [٣] خالدون في جهنم، لهم فيها زفير، والزفير فهو: التأوه والوجع والكرب في التألم للعذاب، وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ فإنما هو [٤]: لا يسمعون صوت بشارة، كما يبشر المؤمنون، ولا صوتا لهم فيه سرور، ولا فرح ولا خير، فأما سمعهم في جهنم فحديد، وبلاؤهم في كل يوم فجديد.

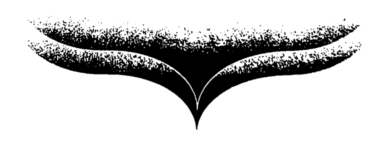


(١) في (أ): واتخذوه.
(٢) في (أ): هي.
(٣) في (أ): إنهم.
(٤) في (أ): هؤلاء.



تفسير

سورة الحج



ومن سورة الحج

١٥٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج:٤٧]؟

المعنى في ذلك: فهو إخبار من الله سبحانه عن نفاذ قدرته، وإمضاء مشيئته، وسرعة فعله، يخبر سبحانه أنه يُنفِّذ في يوم واحد ما ينفذه جميع الخلق إذا اعتونوا عليه في ألف سنةن من محاسبة المحاسبين، وتوقيف الموقفين على ما تقدم من أعمالهم في دنياهم وحياتهم.

فهذا معنى ما عنه سألت من قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

١٥٧) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج:٥٢]؟

فقال: معنى قوله: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ فهو: إذا قرأ.

ومعنى أمنيته فهي: قراءته.

ومعنى إلقاء الشيطان: وسوسته التي يشغل بها القارئ حتى تختلط عليه قراءته.

ومعنى نسخ الله لما يلقي الشيطان فهو: إذهابه له من قلب القارئ بعد وقوعه فيه،

وشغله به، (حتى يفرغ القلب لقراءته، ويرجع إلى ما كان في بُدُوِّ أمره)[1].

ومعنى ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فهو: يثبتها في قلوب أوليائه.

١٥٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾ [الحج:١٥]؟

فقال: يريد سبحانه بذلك التوقيف لمن كان شاكا في نصر الله لنبيه، وإعلامهم أنه لا يغني كيدهم في نبي الله شيئا، فضرب لهم هذا المثل، يقول: من كان شاكا في أمره، حاسدا له مغتاظا عليه، فليمدد بسبب إلى السماء إن قدر على ذلك، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾، ومعنى ﴿لْيَقْطَعْ﴾ فهو: ينفذ ما قدر عليه من كيده لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم لينظر هل يذهب ذلك الفعل إن قدر عليه، وهذا الكيد الذي يكيد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يغيظه من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويغمه، ولن يقدر لو فعل ذلك، فأنى له[2] على إذهاب شيء مما يغيظه من أمر رسول الله[3] صلى الله عليه وآله وسلم؟! إذ السبب الذي غاظه منه هو من الله سبحانه، عطاء لنبيه وكرامة وإحسانا، منه إليه ورحمة، فلن يزيله كيد كائد، ولا عناد معاند.

١٥٩) و[سألت] عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج:٤٥]؟

---

(١) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (أ): وناله.

(٣) في (أ): رسوله.

فقال: البئر والقصر في اليمن في أرض السهل، في موضع عمار بن ياسر، قال أحمد بن بريه في موضع يقال له: هكر [(١)].

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: إن قال أحد من أهل الضلال، وأهل الزيغ في المقال، من الملحدين الفسقة الجهال، فقال: خبّرونا عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ... إلى قوله: إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٣-٧٤] [(٢)] كيف ذكر الله هاهنا مثلا ثم [(٣)] لم يأتنا به؟!

---

(١) قال في هامش (أ): نكتة: أحمد بن محمد أظنه من فقهاء وعلماء الزيدية، والذي أحفظه: محمد بن برية، وكان مقيما بأثافث، وقتله الحسين بن القاسم !!!

وهو القائل للمعيد، وهو رجل خرج من الديار المصرية وتوجها إلى اليمن، وأطاعه كثير من أهله، ودخل إلى صنعاء في عشرة آلاف من همدان وغيرهم، فقال للمعيد: يا مولا[ي] نحن بقرب هاد فإن حرثك بنا في حرثوه والأعلّص حتى ذلك عنه مسلم اللحجي، وإن لم يكن مصحفا فلعله أخوه. وهكر المذكور ببلاد عنس، وهو من مساكن ملوك حمير، وفيه يقول بعضهم:

وما هكر من ديار الملوك بدار هوان ولا الأهجر

تمت منقولة بخط السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير رحمه الله.

أقول: وقد ذكره الحسن محمد الهمداني في صفة جزيرة العرب والإكليل، قال محققه: وهكر في الشرق الجنوبي من مدينة ذمار بمسافة نصف مرحلة، وتتصف نساء هكر بالجمال حتى اليوم. قال امرؤ القيس:

هما ضبيتان من ظباء تبالة على جؤذرين أو كبعض دمى هكر

صفة جزيرة العرب/ ١٥٢.

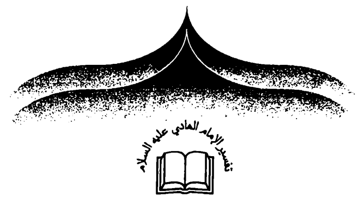
(٢) الآيتان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

(٣) في (أ): فذكر مثلا لم ...

قيل للكافر الملحد: إن المثل لم يضربه [١] فيأتي به، وإنما خَبَّر عن جهل مَن ضربه، وهم الذين ضربوا لله الأمثال، وجعلوا له الأنداد [٢]، وعبدوا من دونه الأصنام، فأخبر سبحانه عن تلك الأصنام [٣]، التي جعلت لله مثلا، وعُبِدت مع الله، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ ثم قال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝﴾، يريد تبارك وتعالى: ضعف وجهل [٤]، وسخف فلم يعقل من طلب من غير الله طلبه، وأشرك مع الله غيره في العبادة، وقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ فمعناه: ضعف المطلوب إليه والمرغوب [٥] إليه والمعبود دون الله عن أن يعطي سائله، وأن يجازي بخير [٦] عابده، أو يقضي له حاجته، لعجزه عن ذلك، وقِلَّته أن يكون كذلك.

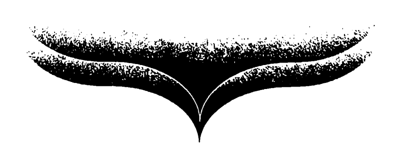


(١) في (أ): يضرب.
(٢) في (أ): لله أندادا.
(٣) سقط من (أ): فأخبر سبحانه عن تلك الأصنام.
(٤) سقط من (أ): وجهل.
(٥) في (أ): إليه المرغوب.
(٦) سقط من (أ): بخير.



تفسير

سورة المؤمنون



ومن سورة المؤمنون

١٦٠) وسألت عن قول الله سبحانه، وتعالى عن كل شأن شأنه: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝٦٣﴾ [المؤمنون:٦٣]؟

وذلك إخبار من الله عز وجل لنبيه، بأن لهم أعمالا من الفسق، والغي والباطل والعنود عن الحق، وغير ذلك مما كانوا يعملون، وفيه دهرهم يتكمهون، وبها عما يدعوهم إليه من الحق مشتغلون، وبذون ما أدبهم به مؤتمرون [1].

١٦١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون:٦٦-٦٧]؟

فقال: معنى قوله: ﴿تَنكِصُونَ﴾: ترجعون وتدبرون عن قبول [2] الحق، ومعنى ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ فهو: ليلا، لأن السمر هو حديث الليل، يقول: كنتم تسمرون بالكذب ودفع الحق، ﴿تَهْجُرُونَ﴾ فهو: تهذون وتكلمون بما لا تعقلون.

١٦٢) وإن سأل عن قول الله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون:٦١]، فقال: كيف يسبق الشيء مَن فعله؟

---

(1) ذكر في (أ) هذين السؤالين. فقال: وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾؟ ومذه المسألة قد أجاب فيها أبو الحسين بما أجابك به من المسائل، وليس تحتاج في ذلك إلى تكرار قول أحد.

وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾؟

وقد أجابك أبوا لحسين فيما سألت، من القدر في هذا وغيره، بما فيه كفاية وشفاء، والحمد لله العلي الأعلى.

(2) في (ب): قول.

قيل له: المعنى في ذلك أنه أراد وهم بها إلى الله سابقون، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝﴾ [الواقعة:١٠-١١]، وحروف الصفات يعاقب بعضها بعضا، فقامت اللام مقام الباء، ومثل ذلك في كتاب الله كثيرٌ غير قليل [١]، من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] يريد: على جذوع النخل [٢]، وفي ذلك ما يقول القائل:

لقد نلتَ أمرا لم تكن لتناله ... ولكن لفضل الله ما نلتَ ذلك

فقال: لفضل الله، وإنما أراد بفضل الله، فقامت [٣] اللام مقام الباء.

١٦٣) وإن سأل عن قول الله سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝﴾ [المؤمنون:١٤]؟

قيل له: لا خالق إلا الله تبارك وتعالى، ولا موجود غيره، والعرب فقد تسمي العامل: خالقا، من ذلك ما يقول الشاعر:

حروب دهت منا الجميع وفرقت ... كما فرقت صدر الأديم الخوالق [٤]

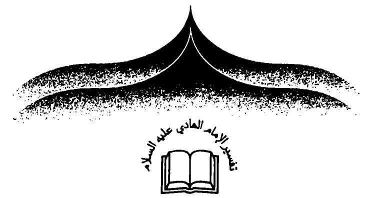
وقال أيضا:

ولأنت تفري ما خلقت ... وبعض الناس يخلق ثم لا يفري [٥]

والشاهد لذلك من كتاب الله سبحانه، قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧].

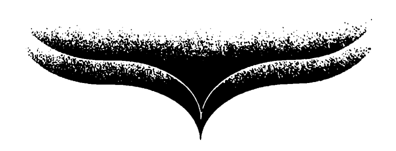


(١) سقط من (ب): غير قليل.
(٢) سقط من (أ): يريد على جذوع النخل.
(٣) في (ب): فقام.
(٤) في (أ): خوالقه. لم أقف على هذا البيت.
(٥) سقط هذا البيت من (ب). وهذا البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى. انظر ديوانه/ ٢٧.



تفسير

سورة النـور



ومن سورة النور

١٦٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ... إلى قوله: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١] [١]؟

فقال: الغض للبصر [٢] هو ألا ترفع بصرها إلى من لا يجوز لها النظر إليه، وحفظ الفرج هو: حفظها عما حرم الله عليها، وما ظهر من الزينة [٣] فهو: ما لا بد منه من [٤] الكحل والخاتم، فهذا ما لا يقدرن [٥] أن يسترنه، والضرب بالخُمُر على الجيوب فهو [٦]: إرخاء الخُمُر على الوجوه، حتى تبلغ الصدور، وتستتر الوجوه كلها، والخُمُر فهي: المقانع.

---

(١) كمال الآية: ﴿...وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ...﴾.

(٢) في (ب): من البصر.

(٣) في (أ): وإظهارهن الزينة.

(٤) في (ب): مثل الكحل.

(٥) في (أ): يقدر بأن.

(٦) في (أ): وهو.

وأما قوله: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ فيقول: أهل ملتهن من النساء المسلمات، دون[1] الذميات والمشركات، وهذه الآية تحرم على المسلمة إظهار زينتها والتبذل للذمية.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ فهن: الذميات المملوكات، فيقول: لا جناح عليها أن تبديها للذمية، إذا كانت مملوكتها، دون الحرة منهن، ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ فقد قيل: إنهم العنانة الذين لا يأتون النساء، ولا يقدرون عليهن، ولا يرغبون فيهن، ولا لهم أرب في مجامعتهن، ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ فهو: الصغير من الغلمان، ابن الخمس والست والسبع، ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ فهم: الذين لم يعلموا ما يكون بين الرجال والنساء، ولم يفهموا ذلك ولم يقفوا عليه بعد. والضرب بالأرجل الذي نهين عنه فقال: كان النساء المتبرجات في الجاهلية يفعلنه، حتى يتحشحش[2] الحلي، ويتصلصل الخلاخيل[3] في أرجلهن، فيسمع الرجال فيعلمون أن في أرجلهن حليا، فأمر الله سبحانه[4] المؤمنات ألا يفعلن من ذلك (ما كان تفعله المتزهلقات[5] للرجال، المتبرجات لذلك من الحال)[6].

---

(١) في (ب): لا من.
(٢) في (أ): ويتحسحس الحلي وتصلصل.
(٣) في (ب): الخلاخل.
(٤) سقط من (أ): سبحانه.
(٥) زهلق الشيء: ملّسه.
(٦) سقط من (ب): ما بين القوسين.

١٦٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ... إلى قوله: وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٥٨] [1]؟

فقال: هذا إخبار من الله للمسلمين وتأديب، فأمر بأن يَستأذن - في هذه الأوقات على الرجال وأزواجهم، إذا خلوا بهن [2] في منازلهن - من سماه مما ملكت الأيمان، والذين لم يبلغوا الحلم، وما ملكت الأيمان فهن: الإماء، ﴿لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ﴾ فهو: الذي لم يبلغ ممن كان يدخل المنازل من الصبيان والأولاد [3] وغيرهم، في هذه الثلاثة الأوقات، وذلك أن المسلمين كانوا يختارون المجامعة والمداناة لنسائهم في هذه الثلاثة الأوقات، ليكون غسلهم مع وقت الطهور للصلاة، ولأوقات الصلاة، فكره الله سبحانه عليهم الدخول على الرجل ومرأته، في هذه الثلاثة الأوقات بلا أذن، لما لا يُؤمن من الهجوم ومن الدخول على الزوجين في مداناة وغشيان، وأطلق للإماء والصبيان الدخول بغير أذن في غير هذه الأوقات، التي كانوا يختارون المجامعة فيها، والمداناة للنساء.

١٦٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ

(١) كمال الآية: ﴿ثَلَـٰثُ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾.

(٢) في (أ): فيهن. وفي (ب): وبهن. لعلها مصحفتان، وما أثبت اجتهاد.

(٣) في (أ): من الصبيان من ...

حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ - ثم قال: - إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ [النور:٨-١١] فقلت: ليس هذا جواب لولا، إنما جوابها لكان ولقد، فكيف العمل في هذا المعنى؟

فهذا رحمك الله المعنى فيه كالمعنى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ سواء سواء، أراد سبحانه: لولا فضله ورحمته لكان له ولرسوله في ذلك حكم سِوى ما حكم [١] به اللسان عليكم [٢]، من الأحكام التي تكون نكالا لمن كان كذلك منكم، ولكن بفضله ورحمته عفا عنكم، وتفضل بالستر عليكم.

١٦٧) وسألت عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:٣٣] فقلت: ما الخير؟

وهم العبيد والإماء [٣] الذين يطلبون الكتابة فَيُكَاتَبُون، إذا علم فيهم خير، والخير فهو: الدين والتقوى، والوفاء والإعفاء والورع والاهتداء، لا ما يقول غيرنا من أنه المال، ويقيسون ذلك بقول [٤] الله: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة:١٨٠]، وليس ذلك كذلك، وإن اشتبه في اللفظ فهو: مخالف في المعنى، وكيف يكون ذلك هو المال؟! ومال العبد لسيده، وهو لو علم بمال عند عبده فأخذه، لكان ذلك له، فكيف يبيعه نفسه، بمال هو له دونه؟! ألا تسمع كيف يقول: ﴿ مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]، يريد: من ماله الذي جعله في أيديكم لهم من الصدقات، قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ

(١) في (ب): ما حكمه.
(٢) سقط من (أ): عليكم.
(٣) سقط من (أ): والإماء.
(٤) في (أ): لقول.

قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، والرقاب: فهم المكاتبون المذكورون في الصدقات، المفروض لهم ثمن ما جبي من تلك الجبايات، إلا أن لا يكون منهم من يستعين في مكاتبته، ولا يجد الإمام ذلك في ولايته، فيصرف جزءهم في أحق الأصناف السبعة الباقية.

فأما ما يقول العامة: من أن المأمور بأن يؤتوهم من مال الله مَن كاتب عبده، فإنه يجب أن يطرح عنه جزأ مما عليه، فليس ذلك بشيء، وليس على من باع شيئا ورضي المشتري مما ابتاع واشترى، وضعُ درهم مما عليه، بعد [أن] افترقا ومضى عليه وبه الشراء.

فأما من لم تؤمن بوائقه وشره، ولم يرج رشده وخيره، فلا تجوز مكاتبته ولا عتقه، لأن في ذلك له راحة من الملك القاسر له عن كثير من فعال العاصيين، ومتى تخلصت رقبته من الرق تزايد في فعال الفاجرين، وتفرغ لمعاونة الظالمين، ومعاندة رب العالمين، وكان من أعتقه ومن كاتبه معينا له على معاصيه، لما أطلق من حباله وأسلس من عنانه، وقد علم بفجور وعصيانه.

١٦٨) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠]؟

النور هاهنا فهو: زيادة الله للمهتدين هدى في هداهم، وما يؤتيهم الله سبحانه من تقواهم، فأخبر سبحانه أن من لم يقبل الهدى المبتدأ، لم يجعل له نورا، بزيادة في الهدى، فالذين لم يجعل الله لهم نورا فهم الذين لم يقبلوا هدى الله ودينه، وهم المستوجبون للخذلان، المتكمهون في الضلال، وهم الذين ذكر الله عز وجل أنه لم يجعل لهم نورا.

١٦٩) وسألني عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]، فقال: مَن المأمورون بأن يؤتوهم من مال الله الذي آتاهم؟

فقلت: (قد قال غيرنا: إنهم المكاتِبُون لهم من ساداتهم، وإنه واجب عليهم أن يطرحوا عنهم ربع ما كاتبوهم عليه، وليس قولنا - ولله الحمد - فيه كقولهم فيه، لأن الله تبارك وتعالى لم يلزم البائع من بعد رضا المتبائع، أن يضع من الثمن درهما، إذا لم يكن للبائع على المتبائع شرط جائز [١]، بل ألزم المكاتب أداء ما كوتب عليه، وجعله في يسير ذلك إن عجز عنه مملوكا مسترقا.

وكيف يكون بعجزه عن قليل ما تراضيا عليه عبدا مملوكا؟! وتكون الوضيعة من ذلك للمكاتَب على المكاتِب فرضا؟!

فهذا يا بني ما لا يقبله عقلُ عاقل، ولا يقول به من الناس إلا جاهل، وإنما أمر الله بإتيانهم من ماله ولاةَ الأمر مِن خلقه، الأئمة الهادين، والصفوة من الخلق المطهرين، أمرهم أن يؤتوهم مما جعل لهم في أيديهم من ثُمُن الصدقات، فلقد دل على ذلك من قولنا سبحانه بأبين الدلالات، حين يقول سبحانه: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة:٦٠]، والرقاب فهم من[٢] أمر الله بإعطائهم وإتيانهم من مال الله الذي آتى، أمرٌ لهم)[٣].

وقوله: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ فمعناها: أجراه على أيديكم لهم، وجعلكم المستخرجين

---

(١) في (أ): شرطا جائزا. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في (أ): فهما يدبو. مصحفة، وكتب فوقها (كذا)، وما أثبت اجتهاد، والله أعلم بالصواب.

(٣) كذا في: (أ). وسقط من (ب): ما بين القوسين.

له من غيركم، لأنه أعطاهم إياه كما أعطاهم غيره من الأشياء، مثل جزء الرسول، من خمس[1] الغنائم، الذي جعل أمره إلى الإمام، يحكم فيه بأمره وبما يراه من الأحكام، ويأكل ويشرب وينكح فيه، ويركب ويلبس ويتكل في كل أموره عليه، ومثل نصيبه في الفيء، ومثل ذلك[2]: ما جعل له مما أجلى عنه المحاربون، من غير أن يجلب عليهم المؤمنون، فكل ما ذكرنا من ذلك، فللإمام أكله والإنتفاع[3] به.

وأما ما ذكر الله من الصدقات، اللواتي أمر الأئمة بأخذها من ذوي[4] المقدرات، وجعلها في الرقاب وغيرها من الثمانية الأصناف المعروفات، فلا يحل لإمام المسلمين، ولا لأهل بيته أجمعين، فيها أكل ولا شرب ولا مناكح[5]، ولا صرفُ درهم منها في شيء من المصالح، فلذلك وبه قلنا إن بينما جعله لهم رزقا، وبين ما جعله الله على أيديهم وأمرهم بالتسليم إلى غيرهم فرقا.

١٧٠) وسألت حفظك الله عن قول الله سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور:٦٤]، فقال: أليس قد علم الله ما هو كائن قبل أن يكون؟!

الجواب في ذلك أن معنى قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: قد يعلم ما أنتم فيه، وقوله: قد علم ما يكون قبل أن يكون، فذلك الله تبارك وتعالى هو العالم بنفسه، القادر بنفسه، ثم قلت: إن قال قائل، أو عارض معارض، فقال: فإذا كان ذلك كذلك، فأخبرونا عن الخلق أهم متصرفون في الذات؟ أم الذات متصرفة في الخلق؟ إذ هو العالم بنفسه، وليس ثَمَّ عالم وعِلم؟

(١) في (أ): وخمس.
(٢) سقط من (ب): ذلك.
(٣) في (أ): وكل ما ذكر من ذلك وشرحنا فللإمام أكله والاتباع.
(٤) في (أ): ذري.
(٥) في (ب): شرب ولا غير ذلك من المنافع.

الحجة في ذلك أن يقال له: إن الخلق ليسوا متصرفين في علم الله، وإنما هم [١] متصرفون في معلومات الله، والعلم محيط بهم، وهم يتصرفون في معلوم إلى معلوم، وكلهم غير خارج مما وقع عليه علم الله، مما كان أو يكون، فما كان من تصرف الخلق في أفعالهم التي هي معلومات الله، فقد جاءت على ما علم الله، من اختيار خلقه للفعل الذي تصرفوا فيه، فكل ما تصرف فيه الخلق من أفعالهم فهو: باختيارهم فعلوه، والهوى [٢] والاختيار أدخلهم فيه، وأفعالهم هذه لله معلومات، بإحاطة الله سبحانه بها، وعلم الله فلم يخرجهم من شيء معلوم، ولم يدخلهم في معلوم، وإنما وقع علم الله على اختيارهم، وعلى صور آخر أمرهم، فأحاط بكل الأشياء خُبرا، ولم يدخلهم بعلمه في شيء جبرا.

فافهم ما يتصرف الخلق فيه من معلومات الله، واعلم أن الخلق لا يتصرفون في علمه، لأن [٣] العلم خلاف تصرف الخلق، وتصرف الخلق خلاف العلم، وإنما يتصرف الخلق في أفعالهم، وأفعالهم هي معلومات الله، فافهم الفرق بين المعلوم والعلم، يَبِنْ لك ما فيه التصرف من أفعال الخلق إن شاء الله.

ثم قلت: إن قال المعارض لنا: أليس قد علم الله أن فرعون يعصي ولا يطيع، فَلِمَ أرسل إليه موسى وهارون؟! وكذلك إلى غيره من الجبابرة والفراعنة، قد أرسل إليهم الرسل وهو يعلم أنهم لا يطيعون؟!

الجواب في ذلك، أن يقال له: قد علم الله أنهم لا يطيعون، ولم يعلم أنهم لا يقدرون[٤]، على أن يطيعوه، وعلم أنهم سيعصون، ولم يعلم أنهم لا يقدرون [٥] على

---

(١) في (أ): هو. مصحفة.

(٢) كذا في: (أ).

(٣) هذه الكلمة هكذا في (أ): (لا ترا) ولعلها مصحفة، والصواب ما أثبت.

(٤) في (أ): كتب فوق هذا: بل علم أنهم يقدرون.

(٥) في (أ): كتب فوق هذا: بل هم يقدرون.

الطاعة، وقد علم سبحانه أنهم لو أرادوا الطاعة أطاعوا، كما علم أنهم سيؤثرون المعصية على الطاعة، فلم يكن سبحانه ليعاقبهم على ما لم يفعلوا من المعصية، ولم يكن ليعذبهم قبل أن تثبت عليهم الحجة، فبعث المرسلين يدعون إلى طاعة الله وترك معصيته، ممن هو[1] قادر على أن يطيع، وعلى أن يترك المعصية، لو أرادوا، لما جعل فيهم على ذلك كله من الاستطاعة الثابتة فيهم، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

ثم قلت: إن قال المعارض: هل كان فرعون يقدر أن يخرج مما قد علمه الله؟

قيل له: أيها المعارض [قد] أجبناك في أول المسألة بجواب هذا الكلام، إذ أعلمناك أن علم الله إنما وقع على ما يكون منهم من الاختيار، الذي لا يكون منهم أبدا غيره، من الاختيار لأحد الأمرين، فعلم سبحانه ما يؤثرون وما يختارون، وما عليه يثبتون، فأحاط علمه باختيارهم الذي هو معلوم له، وهو فعلهم لا فعله، وصنعهم لا صنعه، فمثل العلم كالدار والدار فيها بيوت، والبيوت فيها أبواب، فهو: ينتقل في بيوتها، ولم يخرج منها، كذلك العلم يحيط باختيار العبيد، وبصُيور أمرهم، وآخر اختيارهم، وهم ينتقلون من فعالهم[2] في معلوم إلى معلوم، والعلم غير المعلوم، كما البيوت التي في الدار غير سور الدار المحيط بها، فالخلق في المعلوم متصرفون لا في العلم، تعالى الله عما يقول الملحدون ! ويصف الجاهلون !!

١٧١) وإن سأل عن قول الله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٨]، فقال: أليس قد يحاسبهم في الآخرة، ويسألهم عما أنفقوا من أموالهم فيه، فما معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وهو يحاسبهم، ويسألهم عما يؤتيهم؟!

---

(١) في (أ): معصيتهم. وفي (أ): من هو هو. وكتب فوقها (كذا). ولعلها مصحفة.

(٢) في (أ): بفعالهم.

قيل له: إن المحاسبة فيه لهم، ليست تكون على إنفاق نفس تلك الأموال التي رزقهم، وإنما يحاسبهم على ما اكتسبوه وفعلوه وما كنزوه [١] بها وبأسبابها لا عليها هي في أنفسها، ألا ترى أنه إنما يحاسب مَن صرفَ رزقَ الله في الحرام دون الحلال، لا من صرف رزقه في الحلال دون الحرام، ولو كانت المحاسبة منه تقع على الأموال أنفسها، لكان الحساب يقع على المنفق لها في الطاعة، والمنفق لها في المعصية، فمَن صرف رزق الله فيما له رزقه إياه، كان غير محاسب له [٢] عليه، ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه، لنبيه سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩]، يقول: غير مسؤول ولا محاسب.

وقد يخرج معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ على معنى آخر، رزقه فيمن يرزق من عباده، ليس من [٣] شيء عنده مجموع، معد لذلك مصنوع، يخرج منه أجزاء محسوبة مَن أجزاء، وينقى منه أجزاء فاضلة عن أجزاء، فأخبر أن رزقه من سعة لا تحصى، وأنه إذا شاء أن يعطي عبادة أعطى، ولو كان يرزق من شيء مجموع لكانت أرزاقه تنقض، إذ أصلها الذي يخرجها منه تنقص بخروجها عنه، فتبارك [٤] الله رب العالمين، وتقدس أكرم الأكرمين.

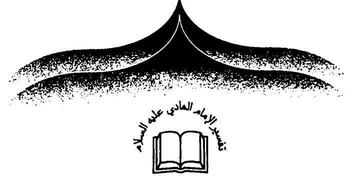
---

(١) في (أ): ما اكتسبوا وفعلوا وما كنزوه.

(٢) في (أ): كان له غير محاسب له.

(٣) في (أ): ليس على من.

(٤) في (أ): تبارك.



تفسير
سورة الفرقان



ومن سورة الفرقان

١٧٢) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝﴾ [النحل: ٢٠، الفرقان: ٣]؟

الجواب في ذلك: أن هذا إخبار من الله سبحانه أن كل ما يعبد الكافرون من دونه، لا يخلقون شيئا والله خالقه وخالق من عبد، فيخبر سبحانه بضعف من كان كذلك وضلاله، إذ هو يعبد مخلوقا مثله ويترك عبادة الخالق الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

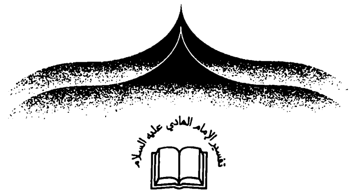
١٧٣) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]؟

والجعل هاهنا فهو: الحكم من الله على الأنبياء، بعداوة أهل الفسق والردى، من المجرمين، الكفرة العاصين، ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، في المؤمنين، فكيف بالأفضل من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين؟! ومن حرمت موآدته، فقد جعلت وفرضت معاداته ومنابذته.

١٧٤) و[سئل] عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨]؟

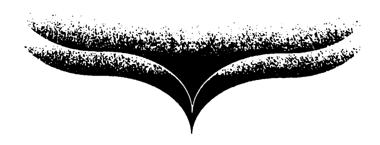
فقال: القائل هذا والعاض على يديه، هو مَن قصَّر في اتباع الرسول، واتخاذ الوسائل إلى الله معه بالطاعة له، وأما قوله: ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ ففلان هو: كل من صده عن سبيل [الله] فأطاعه، أو أمره بمعصية الله فاتبعه، من الفراعنة الضالين، والطغاة المغوين.





تفسير

سورة النمل



ومن سورة النمل

١٧٥) سألته عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [النمل:٤]، فقلت ما معنى تزيين الله عز وجل لهم، وما مخرجه؟

ومعنى تزيينه سبحانه: فترك المعاجلة بالعقوبة لهم، والأخذ بأكظامهم [1] عند معصيتهم، فكان تزيين الله لهم تأخير المغافصة [2] بالنقم، كذلك تقول العرب في مخاطبتها بعضها لبعض، إذا أخطأ أحدهم على الآخر مرارا فلم يجازه، قال له: الذنب لي لا لك، أنا أفسدتك، وزينت لك عملك بتركي المكافأة لك على قبيح فعلك، حتى ظننت أنه حسن جائز، فهذا معنى التزين من الله عز وجل، ومعنى ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتحيرون ويخبطون، ويموجون في ضلالهم، ولا ينتهون من غفلتهم.

١٧٦) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [النمل:٢٥]؟

فقال: الخبء فهو: السر والغيب، الذي لا يستخرج علمه إلا الله، ولا يطلع على مكنون سره غيره.

---

(١) الكظم: مخرج النَّفَس، الحلق.

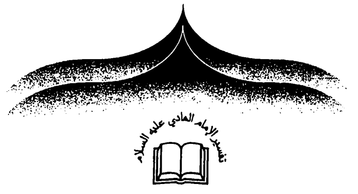
(٢) المغافصة: الأخذ على غرة.

١٧٧) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝﴾ [النمل:٨١]؟

ومعناها: إن نسمع بآياتنا، عندما تلقى في آذانهم من [1] وحينا، وتتلو عليهم من وعدنا ووعيدنا، إلا من يؤمن بها، ويصدق بها يتلو من وحيها من المسلمين، فأما من ضل عن الحق والهدى، وجنب عن الصدق واتبع الهوى، أو كان بذلك كافرا، وفي دين الله فاجرا، فلا يستمع ما نأمره وننهاه [2] عنه، والسمع هاهنا فهو: الطاعة والقبول، لما جاء به عن الله [3] الرسول. ومن الحجة على أن السمع هو الطاعة، ما يقول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [النساء:٤٦].

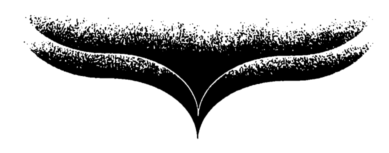


(١) سقط من (ب): من.
(٢) في (ب): يسمع ما يأمره وينهاه.
(٣) سقط من (أ): الله.



تفسير

سورة القصص



ومن سورة القصص

١٧٨) وسألت عن قوله سبحانه: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠]؟

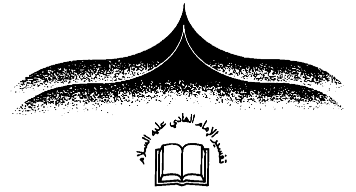
معنى ﴿مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ فهو: جانب الوادي الأيمن، ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ فهو: وسطها وفرعها، وحيث كانت النار تتوقد وتأجج منها، ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ هذا كلام خَلَقَه الله ناطقا عن النار، فسمعه موسى عليه السلام، فلم يكن بين الله وبين موسى مُؤَدٍ[1] للكلام، وإنما كان الكلام من الله سبحانه خلقا وإيجادا، فسمعه موسى صلى الله عليه.

١٧٩) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]؟

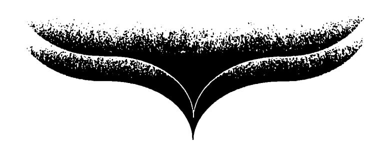
معنى ذلك: أن الله سبحانه يخبر نبيه أنه لن يستطيع أن يجبر قلب أحد على الهدى، حتى يجعل باطن أمره كظاهره[2]، ثم أخبر سبحانه أنه يقدر على ذلك، غير أنه لا يفعله بأحد جبرا، وإن كان عليه قادرا، (لما ذكرنا وفسرنا من حكمه في تلك المسألة الأولى، وذلك مغني عن تكراره هاهنا)[3].



(١) في (أ): موسى بشر مؤدي.
(٢) في (ب): كظاهر أمره.
(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.



تفسير
سورة العنكبوت



ومن سورة العنكبوت

١٨٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ... إلى قوله: فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٠](١)؟

فقال: هذا إخبار من الله عن من يقول بلسانه إنه مؤمن، فإذا نزل به خوف من أعداء الله رجع عن قوله، واستسلم في أيدي أعداء الله، فأخبر الله سبحانه بجهله وكفره، ونفاقه في كل أمره، وأنه لا يعقل ما بين عذاب الله وفتنة الناس، وفي أولئك، ومن كان من الخلق كذلك، ما يقول الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج:١١] إلى آخر الآية (٢).

١٨١) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]؟

والأمثال فهي: ما ضرب الله لعباده من الأمثال في كتابه، مثل قوله: ﴿مَثَلُ

---

(١) كمال الآية: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا﴾.

(٢) كمال الآية: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ... إلى قوله: وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور:٣٥] (١)، ومثل قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... إلى قوله: لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة:٢٦٦] (٢)، ومثل قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ... إلى قوله: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم:٢٨] (٣)، وغير ذلك مما يطول (٤) شرحه، ويكثر في الكتاب ذكره، وذلك فلا يعلمه ولا يعقله إلا العالمون بغامضها، الراسخون في تفسيرها، ومن عقلها بالعلم بما كان فيه أمر أو نهي والرجوع إلى حكمها، وتصديق لكل ما فيها.



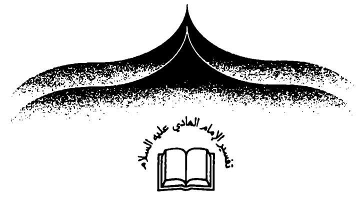
---

(١) كمال الآية ﴿....فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ...﴾.

(٢) كمال الآية ﴿...تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ..﴾.

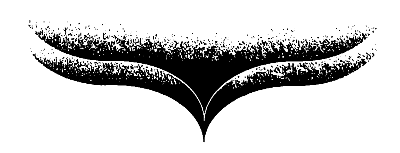
(٣) كمال الآية ﴿...هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ..﴾.

(٤) في (أ): ذلك مما في الكتاب يطول ...



تفسير

سورة الروم



ومن سورة الروم

١٨٢) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... إلى قوله: نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم:٢٧-٢٨][1]؟

فقال: معنى قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ يخبر تبارك وتعالى أن من عمل شيئا وابتدعه، فأعاده إلى الصورة التي ابتدعها مرة ثانية، أهون عليه من إبدائها واختراعها أولا، وإنها هذا مثلٌ ضربه الله للخلق مما يعقلونه ويفهمونه من أفعالهم، لا أن شيئا يمتنع على الله، ولا أن شيئا أصعب عليه من شيء، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

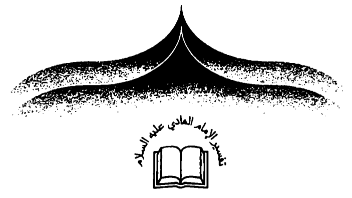
فأما قوله: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم:٢٨]، فإنها هذا مثل مثّله الله للخلق، يريد سبحانه: إن كان يجوز أن تكونوا أنتم ومماليككم في أموالكم وفيما رُزقتموه سواء، أمركم وأمرهم، وإرادتكم وإرادتهم، حتى تخافوهم في أموالكم فيما تنفقون، وتقبضون وتبسطون، كما يخاف بعضكم بعضا في ماله، فقد يجوز أن تكونوا

---

(١) كمال الآيتين: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ﴾.

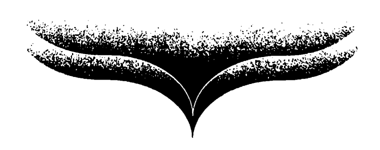
سواء، شركاء لسيدكم في خلقه وعباده وملكه، وإن كان لا يجوز هذا أن يكون العبد والسيد سواء في مال سيده، فلن يكون أحد منكم لله شريكا في عباده، ولا أمره ولا ملكه.





تفسير

سورة لقمان



ومن سورة لقمان

١٨٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝﴾ [لقمان:٦]؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى عن من يشتري لهو الحديث، ولهو الحديث فهو: الغناء والملاهي كلها، من شطرنج أو نرد أو وتر يضرب به، أو شيء من الملاهي التي حرمها الله على عباده [١]، ومعنى ﴿يَشْتَرِى﴾ فهو: يختار ويؤثر

---

(١) أخرج الفريابي، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال: باطل الحديث. وهو الغناء ونحوه.
وأخرج البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال: هو الغناء وأشباهه.
وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي الصهباء قال: سألت عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال: هو – والله – الغناء.
وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن جرير، عن شعيب بن يسار قال: سألت عكرمة رضي الله عنه عن ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال: هو الغناء.
وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد رضي الله عنه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال: هو الغناء، وكل لعب لهو.

ويجتبي هذا اللهو على غيره من الخير ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، معناه: يشتغل ويشغل بذلك نفسه وعباد الله، عما سوى اللهو من سبل الله، وسبله فهي: طاعته، واتباع مرضاته، فأخبر الله سبحانه أن من الناس من يؤثر الشر على الخير، يطلب بذلك التلهي والطرب في أرض الله، بما يصده وغيره عن سبيل الله.

١٨٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝﴾ [لقمان:١٨]؟

فقال: هذه وصية من لقمان رحمة الله عليه لابنه، يأمره ألا يصاعر خده للناس، ومعنى ﴿تُصَاعِرْ خَدَّكَ﴾ فهو: تُعرض بوجهك عن الناس، وتصفح لهم خدك [١]، وتصعره لهم استخفافا بهم، وإعراضا عنهم، (عند إقبالهم عليك ومسائلتهم لك)[٢]، فأمره أن يقبل بوجهه [٣] إليهم، ويبسط وجهه لهم، ولا يعرض به عنهم، وهذا فعال يفعله جبابرة الأرض بالناس ومتكبروها، إذا أقبل الناس إليهم

وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن إبراهيم رضي الله عنه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال: هو الغناء، وقال مجاهد رضي الله عنه: هو لهو الحديث.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عطاء الخراساني رضي الله عنه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال: الغناء والباطل.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ في الغناء والمزامير. الدر المنثور ٦/ ٥٠٤ – ٥٠٥.

(١) في (ب): ولا تصفح.

(٢) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٣) في (ب): وأمره أن يقبل إليهم.

وعليهم، أعرضوا بوجوههم عنهم، وأعطوهم خدودهم،[١] فكلموهم وخدودهم مصعرة عنهم، ومعنى مصعرة [٢] فهي: ملوية [٣] منحرفة، ومعنى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فهو: لا تمش في الأرض أشرا، وبطرا ساهيا لاهيا، وامش فيها متذللا لله متصغرا متفكرا ناظرا في أثر صنع الله فيها متدبرا، ولا تكن عند مشيك فيها عن ذلك معرضا، ولا له تاركا.

١٨٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً... إلى قوله: وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ۝﴾ [لقمان: ٢٠] [٤]؟

فقال: معنى ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ فهو: جعل وقدر لكم، ما في السماء من المنافع، من الأمطار والشمس والقمر والنجوم في دورانها مرة، وغروبها مرة، وطلوعها أخرى، وما في الأرض مما سخره وقدَّره، وجعله من معايشها ومنافعها، وما جعل الله سبحانه من الخيرات لبني آدم، فهذا معنى ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾، ومعنى ﴿أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، فهو: أكثر لكم من نعمه وعطائه ومنه ظاهرة، والظاهرة من [٥] ذلك ما ظهر وعُلم، وأُبصر بالعين وفُهم.

والباطنة فهو: ما لا [٦] يرى بالعين، ولا يعرف سببه، مما يوليه الله عباده، لا

---

(١) سقط من (ب): وأعطوهم خدودهم.

(٢) في (ب): معرضة.

(٣) في (ب): معرضة: فهي ملتوية.

(٤) كمال الآية: ﴿...وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ...﴾.

(٥) في (ب): فالظاهر من ذلك. وفي (أ): في ذلك.

(٦) في (ب): فما لا.

يُوقف عليه بحاسنة، ولا يعلم إلا بالمعرفة بالله والإيقان، من دفع نوازل الشرور عن العباد في آنا الليل والنهار، وما يصرف عنهم من البلوى، ويقيهم من آفات الدنيا، وهم لا يعقلون ذلك ولا يفهمونه، (ولا تتأت رؤيته بحاسة من حواسه فيفهمونه)[1]، والله يفعله لهم من حيث لا يعلمون، ويتولى الصنع لهم فيه وهم غافلون.

ثم أخبر سبحانه بخبر من يجادل في الله بغير علم، فهي [2]: مجادلة الجهال للعلماء في أمر الله، ومعارضتهم له[3] فيما لا يعقلونه من قول الله [4]، فيخطئون أكثر مما يصيبون، ويأثمون ولا يؤجرون، إذ كانوا في أمر الله يحكمون، وينطقون بما لا يعرفونه ولا يعقلونه، فهم [5] يخبطون فيه بجهالتهم، ويتكلمون فيه بمحالهم [6]، يثبتون ما نفى الله، وينفون ما يثبت الله، ويحكمون بغير حكم الله، ويُجَهِّلون العلماء بالله، ويزعمون أن الصواب في خطأ قولهم، وأن الخطأ ما جاء به العلماء، فذمهم على ذلك تبارك وتعالى وأخبر بجهلهم، وسوء نظرهم لأنفسهم.



---

(١) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٢) سقط من (ب): فهي.

(٣) في (أ): لهم .

(٤) سقط من (أ): من قول الله.

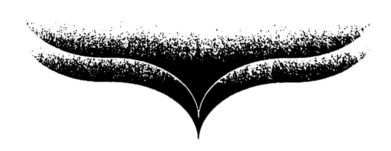
(٥) في (أ): وهم.

(٦) في (أ): بمجادلتهم.



تفسير

سورة السجدة



ومن سورة السجدة

١٨٦) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾ [السجدة:٥]؟

فقال: معنى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فهو: ينفذ ما يريد من الأمور، من السماء إلى الأرض، مع جبريل صلى الله عليه، إلى أنبيائه عليهم السلام في أرضه، ثم يعرج جبريل إليه من بعد إنفاذ ما أمر به إليه، في مقدار يوم، فيقطع في مقدار ذلك اليوم، ما لو كان مبسوطا في الأرض لم يقطعه العالمون في مسيرة ألف سنة، ومعنى قوله: ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ فهو: يصير إلى الموضع الذي بعث منه، وهو محل جبريل وموضعه الذي يعرج إليه جبريل راجعا، فتبارك الله الذي ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء، ولا يؤيه مكان دون مكان [1]، ولا تجري عليه نوائب الأزمان، البعيد في دُنُوِّه، والداني في عُلُوِّه، لا تخلو منه المواضع والأمكنة، ولا ينقصه طول الدهور [2] والأزمنة، وهو بالمرصاد للعبيد، وهو أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد.

١٨٧) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝﴾ [السجدة:١٢]؟

---

(١) سقط من (أ): مكان.

(٢) في (أ): الدهر.

فقال: هذا خبر من الله سبحانه عما يكون من المجرمين في يوم الدين، من تنكيس رؤوسهم يوم الحشر ووقت النشر عند الحساب، وتنكيس الرؤوس فهو: فعال يفعله النادم المتحسر الموقن بالعقاب، المُؤيس من الثواب، المستسلم المبلس، ومعنى ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فهو: عند المصير إلى آخرتهم، والوقوف بين يدي خالقهم، ومعنى ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: أبصرنا ما كنا نكذب به بالمعاينة، وسمعنا بكل ما كنا نُخبَر به، فجاء كل ما كنا نسمع من قولك وقول أنبيائك، على ما كنا نسمع سواء سواء.

قولهم ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ يريدون أي: ردنا [1] إلى الدنيا، حتى نعمل غير الذي كنا نعمل، إذ كان عملنا في الدنيا أولا بورا، وهو اليوم إذ قد عاينا فقد أصبح عندنا معلوما مخبورا، ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يقولون [2]: إنا اليوم بكل ما كنا نكذب به من قبل مؤمنون، إذ قد رأيناه عيانا، وواقعناه إيقانا.

١٨٨) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١]؟

المعنى في ذلك [3]: أن توفي ملك الموت لمن يتوفى هو بأمر الله، فملك الموت يقبض النفس والله يخرجها من البدن، وما كان من ملك الموت فإنما هو بالله ومن الله، وبإذنه وأمره وتقديره له وحكمه، وتقوية ملك الموت على ذلك في خلقه، ومعنى ﴿وُكِّلَ بِكُمْ﴾ فهو: أمر بقبض أنفسكم.

---

(١) في (ب): ارددنا.

(٢) في (أ): يقول.

(٣) في (أ): الجواب في ذلك.

١٨٩) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة:١٣]؟

وكذلك الله تبارك وتعالى يخبر عن قدرته، ويخبر أنه قادر على ذلك، والمعنى: أنه لو أراد أن يجبر الخلق على الاهتداء، ويدخلهم كلهم الطاعة والهدى، بالقسر لهم فيه[١] جبرا، والجبر لهم في ذلك قسرا، لفعل سبحانه بهم ذلك، حتى يكونوا في جميع الأمور[٢] كذلك، غير أنه سبحانه لم يرد إدخالهم في طاعته[٣] وهداه جبرا، ولم يرد إخراجهم من معاصيه جل جلاله قسرا، بل أمرهم سبحانه تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلفهم يسيرا، وأعطاهم على قليل كثيرا، أراد أن يطيعوه مختارين بالإختيار[٤] لا بالجبر لهم، وكذلك معاصيهم بالإختيار منهم كانت فيهم ومنهم، لا بقضاء شيء من ذلك سبحانه عليهم، حكما من الحكيم الرحمن، ورأفة منه في ذلك لكل إنسان، وتمييزا منه بذلك بين أهل الطاعة والعصيان، ليستحق كلٌ باختياره جزاء فعله، وليجد ما قدم من خير أو شر باختياره[٥] غدا عند ربه، قطعا منه جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، لحجج خلقه عنه، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

١٩٠) و[سئل] عن: ﴿الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ [السجدة:٢١]؟

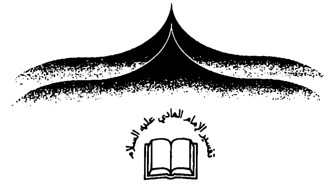
---

(١) في (ب): منه.
(٢) في (ب): ولكانوا في. وفي (أ): جميع الأمر.
(٣) في (أ): طاعتهم. لعلها مصحفة.
(٤) في (أ): بالإحسان. مصحفة.
(٥) في (أ): وليجد خير من قدم من خير...

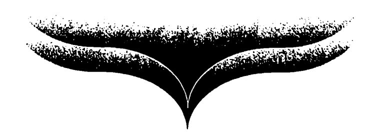
فقال هو: عذاب الدنيا، بما يكون فيها من حلول نقمه، من أي النقم كانت، من جوع أو مخافة أو سيف، والعذاب الأكبر فهو: عذاب النار في الآخرة وبئس المصير.







تفسير
سورة الأحزاب



ومن سورة الأحزاب

١٩١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ...إلى قوله: عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٠-٥١][1]؟

فقال: هذه ميمونة الهلالية وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله [2]، فأجاز الله ذلك له من دون المؤمنين، وجعلها خالصة له وخاصة من دون المسلمين.

ومعنى قوله: ﴿تُرْجِي﴾ فهو: تترك وتقصي من شئت [3] منهن، ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ يقول: تدعو وتخلو بمن أحببت منهن، وذلك أن الله أمره أن

---

(١) كمال الآية: ﴿... إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ ...﴾.

(٢) أخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ قال: هي ميمونة بنت الحرث.

وأخرج عبد الرزاق، وبان سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن عكرمة رضي الله عنه قال: وهبت ميمونة بنت الحرث نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. الدر المنثور ٦/ ٦٣١.

(٣) سقط من (ب): من شئت، يقول.

ينحيهن كلهن عنه إلى دار معتزلة عنه، ويكون هو في دار على حدة، فإذا أراد منهن واحدة أرسل لها فدعاها، وإن لم يرد واحدة أرجاها، وكان ذلك أحب إليهن، وأقر لأعينهن، من أن يغشى واحدة إلى منزلها، أكثر مما يغشى منازلهن، فعَرَّفه الله سبحانه [1] ما فيه الرشاد له ولهن.

١٩٢) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآبِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب:٥] [2]؟

هذه [3] نزلت في من كان يربي صبيا ويتبناه، [4] كانوا يدعونهم بهم إلى من يتبناهم، ويذرون آباءهم، فيقولون: فلان بن فلان، فيدعونه إلى من رباه وتبناه، فنهاهم الله عن ذلك، ثم قال: ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فادعوهم إخوانا وموالياً، ولا تدعوهم أبناء، ومعنى ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يريد هو: أعدل عند الله، ثم أعلم سبحانه أنه لا إثم عليهم فيما أخطئوا به من ذلك، ومعنى ﴿أَخْطَأْتُم﴾ فهو: جهلتم الحكم من الله فيه، فالآن بعد أن نهيتم فمن فعله فقد تعمده، ومن تعمده باء بإثمه، إذ قد نهاه ربه عن فعله.

---

(١) سقط من (ب): سبحانه.

(٢) كمال الآية: ﴿...فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ ...﴾.

(٣) في (أ): فقد هذه.

(٤) في (ب): وتبناه.

١٩٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ... إلى قوله: كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب:٦] [1]؟

فقال: هذا تأكيد من الله سبحانه لحق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وتعظيم منه لقدره، فجعل الله نبيه صلى الله عليه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأحق ببعضهم من بعض، وكذلك قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾، فعلى هذا المعنى يخرج، وفي هذه الآية من تأكيد تحريمهن على غير النبي غاية ما يكون من التحريم، فأراد بها تحريمهن على كل مسلم بالحكم، إذ كان المسلم في الحكم من أبنائهن، ثم رجع الخبر إلى أولي الأرحام المسلمين [2]، فجعلهم أولى بعقد نكاح حرماتهم، ووراثة أموالهم من غيرهم من أحلافهم، وذلك أنه كان يحالف بعض المؤمنين بعضا، فإذا حالفه على المناصرة والمعاشرة، انتسب بعضهم إلى بعض، وتوارثوا فيما بينهم كما يتوارث المتناسبون، فأنزل الله هذه الآية يخبر أن أولي الأرحام أولى بالموارثة والمناسبة، ممن يحالف من المؤمنين والمهاجرين، ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ والأولياء هاهنا: فهم المحالفون، يقول: لا بأس أن توصوا لهم ببعض الوصية، فأما أن تتموا لهم بما شرطتم عند محالفتهم لكم من شروط الجاهلية، في الموارثة والمناسبة فلا، أولوا الأرحام أولى بذلك وأحق، وحكم الله أنفذ من حكمكم [3] في ذلك وأصدق، ومعنى ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾، يقول: كان في حكم الكتاب من الله مثبتا واجبا.

---

(١) كمال الآية: ﴿... وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ...﴾.

(٢) في (ب): والمسلمين.

(٣) في (أ): حكمهم.

١٩٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب:٣٢]؟

فقال: هذا تأديب من الله سبحانه لنساء نبيه، كرامة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وحياطة من الله له في حرمه، وأمرهن أن لا يخضعن بالقول، والخضوع فهو: الكلام اللين الذي يقع فيه المزاح والمعابثة بين النساء والرجال، فأمرهن ألا يفعلن ذلك كما يفعله غيرهن، ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾، يقول: يطمع فيكن بما يطمع به في غيركن من المنكر، والمرض فهو: الفسق. والقول المعروف الذي أمرن به، فهو: القول الحسن لمن خاطبهن أو كلمهن، الذي ليس فيه خضوع يطمع به الفاسق، ولا سبب يُطمعن به المنافق.

١٩٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ... إلى قوله: بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾ [الأحزاب:٤٠] [(١)]؟

فقال: كان النبي صلى الله عليه قد ربى زيد بن حارثة وغذاه وتبناه، كما كانوا يفعلوا أولا، فكانوا يسمونه قبل الإسلام: زيد بن محمد، وفي طرف من الإسلام، حتى كان من أمر زينب بنت جحش مرأة زيد ما كان [(٢)]، من تزويج الله نبيه إياها، فقالت قريش: تزوج محمد مرأة ابنه، فأنزل الله سبحانه في ذلك ما تسمع، ينفي أن يكون من ربى ابنا ممن لم يلد ولم يرضع، يثبت نسبه، أو تحرم على المربي له زوجته، وأمرهم بما أمرهم في الآية الأولى، من أن يدعوهم لآبائهم، فحرم عليهم أن يدعوهم إلى من يربيهم ويتبناهم.

---

(١) كمال الآية: ﴿ ... وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ ...﴾.

(٢) في (ب): جحش ما كان مرأة زيد.

١٩٦) وسألته عن قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب:٦٩]؟

فقال: هذا نهي من الله سبحانه عن أذية الأنبياء، والاجتراء عليهم في سبب من الأسباب أو معنى، وقد قيل: إن الذين آذوا موسى صلى الله عليه، هم الذين قالوا: ساحران تظاهرا، فنسبوا إليه وإلى أخيه السحر، فبرَّأه الله من ذلك بها أفلح من حجته، وأظهر من حقه، عند تلقف عصاه إفك السحرة، وإبطال الله لسحرهم، وتبيينه لفضيحتهم، وقد قيل: إنه السامري ومن تبعه على دينه من خاصته، حين عمل العجل وقال لبني إسرآئيل: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه:٨٨]، فبرَّأه الله من ذلك عند من اختدع، بما أظهر موسى في العجل من التمزيق والنسف له في اليم، فكلا المعنيين حسن. إذ كان كلا الفريقين له مؤذيا. والآخر أحسنهما عندي في المعنى، إذ كان أهله من قبل كفرهم بموسى مؤمنين، ولرب العالمين عابدين.

ثم ذكروا في موسى ما ذكروا، من بعد معرفتهم بالحق، وبُعدهم من الكفر والفسق، فنهى الله المؤمنين أن يفعلوا كفعل أولئك الإسرائيليين في الأذى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، في أي وجوه الأذى كان، ثم أخبر ذو الجلال والإكرام، أن موسى عليه السلام: ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾، ومعنى وجيه فهو: كريم معظم مقدم.

١٩٧) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢]؟

فقال: هذا مثل مثله الله تبارك وتعالى، يريد سبحانه: أنا لو جعلنا في السماوات

والأرض تمييزا وفهما يفهمن [1] به قدر الأمانة، ثم عرضت عليهن الأمانة لأبينها وأشفقن منها، ومعنى عرض الأمانة عليهن، فهو: التكليف لحمل موثقها، يقول: لو كلفناهن حمل وثائق الأمانة، لأشفقن من نقضها، وأشفقن من خيانة ما فيها، ولم يفعلن بعد المعرفة والتمييز لها، ما يفعله الإنسان من الإقدام على نقضها، والغدر بمؤكدات مواثيقها، وحمل إثمها، وجليل سخط الله في نقضها، وحمل الإنسان لها فهو: حمل إثم الغدر بها، والارتكاب لسخط الله فيها، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، يقول: إن الإنسان ظلوم لنفسه جهول في الإقدام على معاصي الله، بما عليه في ذلك عند الله.

١٩٨) وسألت عن قول الله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢]؟

هذا مثل مثله الله تبارك وتعالى، يريد سبحانه: أنا لو جعلنا في السماوات والأض تمييزا وفهما تفهم به قدر الأمانة، ثم عرضت عليهن الأمانة لأبينها وأشفقن منها، ومعنى عرض الأمانة عليهن فهو: التكليف لحمل موثقها، يقول: لو كلفناهن حمل وثائق الأمانة لأشفقن من نقضها، وأشفقن من خيانة ما فيها ولم يفعلن بعد المعرفة والتمييز لها، ما يفعله الإنسان من الإقدام على نقضها، والغدر بمؤكدات مواثيقها، وحمل إثمها، وجليل سخط الله في نقضها، وحمل الإنسان لها، فهو حمل إثم الغدر بها، والإرتكاب لسخط الله فيها، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يقول: إن الإنسان ظلوم لنفسه، جهول في الإقدام على معاصي الله، بما عليه في ذلك عند الله.

قال: قد يخرج معنى هذا على طريق المثل، إنه لو كان في السماوات والأرض

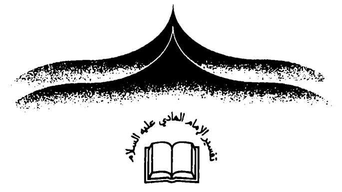
(١) في (ب): تفهم.

والجبال من الفهم والعقل والتمييز والمعرفة ما في الإنسان، لأشفقن من حمل إثم الأمانة وتَقَلُّدِها.

والأمانة فهي: أمانة الله التي استودعها خلقه، وعقدها في رقابهم من أداء حقه، والقيام بأمره، وأخذ الحق وإعطائه.

ومن ذلك أمانات الخلق فيما بينهم، وما يتظالمون به ويجترأون على الله به، فيما يقول لو كان في السماوات والأرض والجبال من التمييز ما في الإنسان، لأشفقن مما تقلده الإنسان، فدخل فيه من أداء الأمانة، والجرأة على الظلم فيها والتقلد لها.





تفسير

سورة سبأ



ومن سورة سبأ

١٩٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ [سبأ:٥]؟

فقال: معنى ﴿سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ فهو: [١]: طغوا [٢] عليها وكذبوا بها، فهذا سعيهم فيها. ومعنى ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ فهو: مضآدين محآدين، ولما أمروا به من الطاعة مخالفين، والرجز فهو: نقم الله واخزاؤه، وما يُحِلُّ [٣] بأعدائه، فيقول: لهم عذاب من انتقام الله أليم، والأليم فهو: الشديد العظيم.

٢٠٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ [سبأ:١٠]؟

فقال: معنى ﴿مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ [٤] فهو: نبوتنا التي آتيناه إياها ووحينا، وما جعلنا في الجبال والطير من التأويب في الجبال، ومقاربة الطير له، وما ألنا له من الحديد، وما علمناه من عمل السابغات، وهديناه له من التقدير في السرد، حتى عمل جننا تقيه البأس، وتفل عنه حد بغاة الناس، ومعنى ﴿أَوِّبِي﴾ فهو: ما جعل الله في الجبال من ذلك، وركبها عليه من التركيب كانت كذلك، وهو الصوت الذي يجيب

---

(١) في (أ): هو.

(٢) في (أ): هو طغوا. وفي (ب): فهو سعوا. ولفقت النص منهما.

(٣) في (ب): يحله.

(٤) في (أ) و (ب): ﴿ فضلا منا﴾. والصواب العكس، لأنه يفسر الآية السابقة.

المصوِّت من الجبال والاصداح، إذا كان الرجل بين الجبال ونادى [١] بشيء أو تكلم به، أوبتِ الجبال بالرد عليه بمثله، ويقال: إن هذا الذي يكون من [٢] الجبال من التأويب، وهو الذي تسميه العرب أيضا الصدى، شيء لم يكن قبل داود عليه السلام، وأن الله جعله في ذلك الوقت في الجبال، وقدره لكرامة داود ثم أبقاه إلى اليوم فيها، ليكون ذلك [٣] ذكرا لما أكرم الله به داود، والله أعلم بذلك وأحكم.

ومعنى قوله: ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ فهو: رَدٌّ على الأمر، ومعنى أمره الطير فهو: إلهامه إياها ما أراد من مقاربة داود، واحتواشها له [٤] وكينونتها قربه، كل طير يصوت بصوته، الذي جعله الله [٥] له، مع صوت داود صلى الله عليه [٦]، فكان داود يبكي ويدعو الله ويناجيه ويناديه، والجبال فتأوب وترد بمثل صوته وكلامه عليه، والطير تُصَوِّت من حواليه، حتى بلغ صلى الله عليه إرادته من رضى ربه، وإخلاص التوبة إلى خالقه، ورجوع كرامة الله إليه، وحلولها من الله سبحانه لديه.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ فمعنى إلانة الحديد له، فهي: خاصة كان الله خصه بها، فكان الحديد يلين له [٧] كما يلين الشمع بلا نار، ولم يكن الحديد يلين لأحد قبله إلا بالنار، فَلَانَ له هو بلا نار، فهذا معنى ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾.

---

(١) في (أ): الجبلين نادى.
(٢) في (أ): في.
(٣) سقط من (ب): ذلك.
(٤) في (أ): احتواشها عليها.
(٥) سقط من (ب): الله.
(٦) في (ب): عليه السلام.
(٧) سقط من (أ): يلين له.

ثم هداه لعمل السابغات، والسابغات فهي: الدروع الطوال السابريات [(١)]. ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ:١١]، معناه: قدِّر في تأليف الخلق، بعضه إلى بعض، وتسويته وتقدير ثقبه وسَمْره، فكان صلى الله عليه أول من عمل الدروع، وهُدي إلى عملها، وَوُفِّق لتقديرها.

٢٠١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ ... إلى قوله: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٢-١٣] [(٢)]؟

فقال: هذا ذكر من الله سبحانه لما أعطى سليمان صلى الله عليه، من تسخير الريح له، وائتمارها بأمره، وسيرها [(٣)] به وبمن أراد، شهرا في غدوتها، وشهرا في روحتها، فكانت تسير كذلك به، تحمله ومن أحب من عسكره، ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي [(٤)]: أذبنا له عين القطر، والقطر فهو: النحاس، فأذابه الله وأخرجه، ومكَّنه منه وسهله، حتى كان يعمل منه كما يريد، تماثيل وجفان، وغير ذلك من آلات الصُّفر [(٥)].

ثم أخبر بما سخر له من طاعة الجن، وأمرهم به من اتباع أمر سليمان، فكانوا

---

(١) السابريات، قال ابن منظور: وفي حديث حبيب بن أبي ثابت: رأيت على ابن عباس ثوبا سابريا أستشف ما وراءه. كل رقيق عندهم: سابري، والأصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور. لسان العرب، مادة سبر.

(٢) كمال الآيات: ﴿ ...وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ...﴾.

(٣) في (أ): وبسيرها.

(٤) سقط من (أ): أي.

(٥) الصُّفر بالضم: نحاس يعمل منه أواني.

يعملون له كلما [1] ذكر الله، مما كان يأمرهم به، ثم أخبر أن من عصى الله بمعصية سليمان منهم فزاغ، أذاقه الله العذاب الذي أوجبه على العصاه منهم، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾، والمحاريب فهن [2]: محاريب المساجد وبناؤها، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ والتماثيل فهي: التماثيل التي كانت الشياطين تعملها لسليمان عليه السلام، تمثل له كلما أراد من الصُّفر والزجاج والحجارة وغير ذلك، مثل [3] ما مُثِّلت من صرح صاحبة وسبأ، وأشياء كثيرة معروفة، وهي اليوم ظاهرة موجودة في الدنيا، بالشامات وبمصر وفي بيت المقدس [4].

والجفان فهي: هذه الجفان المعروفة، التي يكون فيها الماء والطعام، فكانت تنحتها له من الصخور، وتعملها من الصفر، على ما ذكر الله من العظم والكبر، ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾، والجواب فهي: الحفر الكبار، تسمي العرب الحفرة الكبيرة: جوبة من الأرض وفي الأرض، والجواب فهي: جمع الجوبة الواحدة، ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ فالقدور هن: البرام التي يطبخ فيها، فكانت تعملها من الصفر، على غاية ما يكون من العظم، حتى كانت راسيات، والراسيات فهي: التي لا يحركها لكبرها إلا الخلق الكثير [5]، فهي لثقلها راسية على أرضها، ثابتة في مكانها، قائمة بأثافي منها، مفرعة فيها، يوقد النار من تحتها ومن حولها، إذا أريد أن يطبخ شيء فيها، فلثباتها مكانها

---

(١) في (أ): كما.

(٢) في (ب): فهي.

(٣) في (أ): ومثل.

(٤) وهذا يعني أنه لا إشكال في وجود التماثيل القديمة من حجر أو شجر أو نحاس أو غير ذلك من الأشياء، حتى ولو كانت تتخذ أصناما وآلهة، سيما وقد ثبت التوحيد ولم يعد هناك خطر منها يهدد التوحيد، ويشوش على المسلمين فكرهم وكذلك لُعب الأطفال التي تصنع على أشكال الحيوانات وغيرها.

(٥) في (أ): الكثيرة.

سميت: راسيات، إذ كانت في المكان لثقلها متروكات، ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ﴾ يقول: اعملوا لله شكرا على ما أعطاكم، وخصكم [1] به دون غيركم وأولاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، يقول: قليل من عبادي من إذا أنعمت عليه بنعمة من نعمي كان شاكرا فيها لي، أو قائما بما يجب فيها من حقي، فلا تكونوا في ذلك، كمن ذممناه [2] بقلة الشكر من أولئك.

٢٠٢) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ:١٤] [3]؟

فقال: معنى ﴿قَضَيْنَا﴾ هو: أوقعنا عليه الموت، ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ فهي: الأَرَضَة التي تأكل العيدان حتى تكسرها، فأخبر أنه لما أن قضى عليه الموت، لم يدل [4] الشياطين ولا الآدميين على أنه ميت عليه السلام إلا هذه الدآبة، التي أكلت منساته حتى انقطعت فسقطت، فلما سقطت خرَّت جثته ساقطة، لأنها كانت إلى المنساة مستندة، وعليها [5] متكية، فلما انقطعت المنساة سقطت الجثة، فتبينت الجن عند ذلك أنهم لو كانوا يعلمون شيئا من الغيب، لعلموا بموته فلم يلبثوا في العذاب، من العمل والكد مذ مات إلى أن خر، حين قطعت الدآبة منساته، والمنساة فهي: العصا التي كان متكئا عليها، قائما إليها مستندا من الجدار إليها، قد وضعها في

(١) في (ب): وحكمكم. مصحفة.

(٢) في (أ): ذمها.

(٣) كمال الآية: ﴿... فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

(٤) في (أ): تدل.

(٥) في (ب): عليها.

صدره، وشد عليها بكفه، وهو قائم في محرابه، ثابت في مقامه، فأتاه الموت وهو على تلك الحال، فلم يزل حتى كان ما ذكر من الخبر عنه ذو العزة والجلال.

٢٠٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٣٦]؟

فقال: معنى ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ هو: يوسع على من يشاء في رزقه، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ فهو: يقدر لمن يشاء مقدار رزقه وقوته، ما [١] يبسط له من السعة في الرزق، والرزق فهو: [٢]: المال، ما يبسط لغيره تدبيرا منه سبحانه وتقديرا، ولطفا منه للكل وتدبيرا، وكلٌ قد فعل به من ذلك ما هو خير له، وأصلح في المعاني كلها، عاجلها وآجلها.

٢٠٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤١]؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن من أطاع الشياطين في الدنيا، واتبعهم وجرى في إرادتهم، وإفك وساوسهم، فأخبر أنهم ينتفون من ذلك في الآخرة، ويزعم أنه كان يتولى الله دونهم، فأكذب الله قولهم، وأخبر أنهم كانوا يعبدون الجن من دون الله، وعبادتهم للجن فهي: طاعتهم لهم، وطاعتهم لهم فهو: اتباعهم لوساوسهم، وقبولهم لما كانت الشياطين توسوس به لهم، لأن من أطاع شيئا فقد عبده، لأن أفضل العبادة الطاعة لله، كانت عبادة العابد لله [٣] أو لغيره سبحانه، من

---

(١) في (أ): لا.

(٢) سقط من (ب): والرزق فهو: .

(٣) في (أ): له.

الإنس والشياطين، ومعنى ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ فهو: مصدقون، لأن الإيمان هو التصديق، لأن(١) من صدق شيئا فقد آمن به، ومن أنكره(٢) فقد كفر به.

٢٠٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ:٤٥]؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى، لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، بما كان ممن كان قبل قريش، ممن بعث إليه الرسل فكذب، كما كذبت قريش، فنزل بهم من نقم الله ما نزل بهم، فأخبر سبحانه بذلك(٣) عنهم، تخويفا وإعذارا وإنذارا إلى قريش، ليحذروا ما نزل بغيرهم قبل أن ينزل بهم، فأما(٤) قوله: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ فإنما يريد بذلك: بأن قريشا لم تنل في المقدرة والجدة، وسعة الأموال والطاعة. معشار ماأوتي الذين أخذوا بتكذيب رسلهم، معنى ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقول: كيف كان تغيري عليهم، وأخذي لهم على فعلهم.

٢٠٦) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩]؟

فقال: معنى ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ فهو: وقع الحق، وحق الوعد، ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ يقول: ما يبدئ الباطل أمرا ينفع أهله، في شيء من أمرهم، ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ يقول: لا يعود نفعه عليهم، ولا ضره على عدوهم.

---

(١) سقط من (أ): لأن.
(٢) في (أ): أنكر.
(٣) في (أ): بذلك سبحانه.
(٤) في (ب): وأما.

٢٠٧) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ... إلى قوله: لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبا:١٦-١٩] [١]؟

فقال: هما جنتا مأرب، كانتا كما ذكرهما الله، فكفر أهلُها [٢] أنعمَه فأذهبها، وأبدلهم مكانها [٣] ما ذكر من هذا الخمط والأثل والسدر، والخمط فهو: ألفاف الشجر والشوك، والأثل فهو: هذا الأثل المعروف الذي يسمى: الطرفاء، والسدر فمعروف يسميه أهل اليمن: علوبا.

و﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ فهو: السيل الغالب الشديد الكثير، أرسله على الجنتين فقلعهما واحتمل حجارتهما، وإنما سمي: العرم، لأنه اشتق له من العرامة، والعرامة فهي: الصعوبة في الشيء والاتعاب لما داناه، فلما أتعب السيل ما داناه، شُبِّهَ [٤] بذلك، فقيل: سيل العرم، لشدة بأسه، وتعب ما يلقى منه الشجر وغيره، والقُرى التي بورك فيها فهي: قرى الشام بيت المقدس، وقد كان منهم ما ذكر الله سبحانه من سؤا لهم وطلبتهم البعد ما بينهم، فصاروا يطلبون المرافق التي كانت حاضرة في جنتهم على البعد منهم، والقرى الظاهرة التي بينهم وبين الأرض المباركة، فهي هذه القرى والمناهل والمدن التي بينهم وبين الشام، وتمزيقه لهم فهو: ما كان من خروج أهلها بعد خرابها إلى آفاق البلاد، وقد قيل: إن بقيتهم اليوم بجبال [٥] طي وتلك النواحي.

---

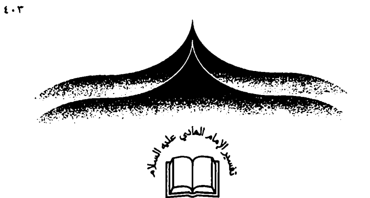
(١) كمال الآيات: ﴿...وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ..﴾.

(٢) في (ب): ذكر الله فكفر أهلها.

(٣) في (أ): مكانيها.

(٤) في (أ): شبهه.

(٥) في (أ): بجبلي.



تفسير
سورة فاطر



ومن سورة فاطر

٢٠٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ... إلى قوله: وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر:٤٢-٤٣] [(١)]؟

فقال: معنى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يقول: هل ينظر صاحب المكر السّيّء، والمعصية لله العلي، إلا أن يأتيه ما أتاه الأولين، الذين كانوا فيها كانوا فيه من [(٢)] المعاصي، من إحلال النقم بهم، وإزالة النعم عنهم، فهذه [(٣)] سنة الأولين، وهذه سنة الله التي لا يوجد لها تحويل ولا تبديل، يريد حكم الله الذي حكم به في الأولين، وسنته في أهل المعاصي منهم، من إنزاله النقم عليهم، فهذا شيء لا يحول من أهل المعاصي والذنوب، فكان ذلك من الله في الزمان الأول على صنوف فيمن عصاه، وهو اليوم في أمة محمد صلى الله عليه وآله على صنوف أُخر، تنزل بمن عصى منهم، وتحل بمن [(٤)] اجترى على ربه، فكان العذاب في الأولين يكون بالمسخ والقذف والخسف والرجز، وهو في أمه محمد عليه السلام، بالجوع والهلكة والخوف، والسيف والقتل والموت، ثم يضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير.

---

(١) الآية: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

(٢) في (أ): فيه الأولون من.

(٣) في (أ): فهذا.

(٤) في (أ): من.

٢٠٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝﴾ [فاطر:١٣] [(١)]؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه بأن الأمر كله والحكم له وبيده، وأن كل من يُدعا من دونه لا يملك قطميرا، والقطمير فهو: الأمر الصغير الحقير، الذي لا يكون له وزن، وهو مثل النقير والفتيل، وقد قيل: إنه أيسر منهما وأخف، فأخبر سبحانه أنهم لا يملكون من الأمر شيئا، لا نصرا لأوليائهم، ولا عونا ولا تفريجا عنهم، ولا عونا يقاس بهذا القطمير فضلا عن غيره، فهذا معنى ما ذكر الله من القطمير ومثله.

٢١٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ ... إلى قوله: وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝﴾ [فاطر:١٩-٢٢] [(٢)]؟

فقال: هذا مثال ضربها الله عز وجل للحق والباطل، والدين والكفر، فجعل الباطل والمبطل كالأعمى والظلمات، والحرور والأموات، وجعل الحق والمحقين كالبصير والنور، والظل والأحياء، ليعتبر بذلك المعتبرون، ويميز بين ذلك المميزون.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ فهو: إثبات لقدرته تبارك وتعالى على ما يشاء.

---

(١) كمال الآية: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾.

(٢) كمال الآيات: ﴿ ... وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ...﴾.

وأما قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ فإنما هذا مثل مثَّل الله به الكافرين، أنهم في الإعراض وقلة الاستماع والقبول كأهل القبور.

٢١١) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ...﴾ [فاطر:٣٢] [1] إلى آخر الآية؟

فقال: هم آل رسول صلى الله عليه وآله المؤمنين منهم، فهم صفوة الله وخيرته، باختياره سبحانه لأبيهم محمد صلى الله وعلى آله، فأُورثوا الكتاب، وجُعل فيهم من بعد الإسرائيلين، تفضلا من الله عليهم، وإكراما بذلك لهم، ثم ميَّزهم وأخبر الخلق بأخبارهم، ووصفهم لهم بصفاتهم، لكي لا يبقى للخلق عليه حجة فيهم، ولأن لا يحمل أحد سواية [2] مسيئهم على محسنهم، ولا يطعن طاعن على مؤمنهم بفسق فاسقهم، فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو فاسق آل محمد، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهم أهل الدين والورع والعلم منهم، أئمة الحلال والحرام، وأهل الورع والإسلام.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، فهم أئمة آل محمد الطاهرون، أهل السيف المجاهدون، الذين نصبوا أنفسهم لله، وباينوا بالحق في ذات الله، وأخافوا أعداء الله وخافوهم، وجاهدوا في سبيل الله مَن عَنَدَ عنهم، وحكموا بكتاب الله وسنة نبيه، وضربوا بالسيف من عَنَدَ عن دينه، فكملت فيهم صفات الأئمة، فوجبت طاعتهم على الأمّة، حجة على العالمين، ونعمة منه على المتبعين، ونقمة في الدنيا والآخرة على المخالفين، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) كمال الآية: ﴿... وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

(٢) أي: سيئة.

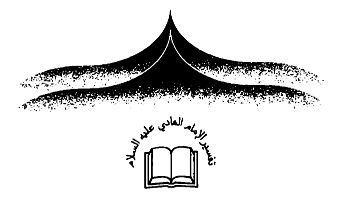
﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢] [(١)]، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يقول: بحكم الله وأمره له، بما قام فيه السابق إليه من طاعته، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يقول: الفضل لله الكبير العظيم، في ما أورثناهم من الكتاب الكريم.

٢١٢) و[سئل] عن قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر:١]؟

فقال: معنى ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يكون الرجل واحدا، ثم يكونوا من بعد ذلك خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك، فهذه الزيادة التي ذكر الله تبارك وتعالى.

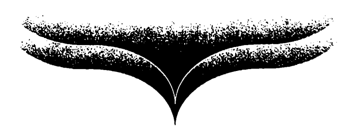


(١) كمال الآية: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ...﴾.



تفسير

سورة يس



ومن سورة يس

٢١٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ... إلى قوله: فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٨-٩] [١]؟

فقال: هذا رد من الله سبحانه عليهم، وإكذاب لهم في قولهم، حين: ﴿قَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ...﴾ [فصلت:٥] [٢] إلى آخر الآية، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه هذه الآية، يريد: إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا؟! وجعلنا من بين أيديهم سدا؟! كما قالوا وكما ذكروا أن على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقرا، هذا ما لم نفعله بهم، ولم نجعله على قلوبهم، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يريد: إنا جعلنا ذلك بهم كما قالوا؟! هذا ما لم يكن منا فيهم، ولم نحكم به عليهم.

ثم قال: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧]، يقول: إن كنا فعلنا هذا بهم، فلن يستطيعوا أن يخرجوا منه إلى الهدى، ولن يطيقوا دخولا إذاً في هدى [٣]، فَلِمَ أرسلناك إليهم؟! وأمرناك بدعائهم؟! لو كنا فعلنا ذلك

---

(١) كمال الآيات: ﴿ ... فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ...﴾.

(٢) كمال الآية: ﴿ ... وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾.

(٣) في (أ): هنا.

بهم !! هذا إذًا مِنَّا عبث واستهزاء، و أمرٌ منا [١] إياك لمغالبة لنا، وأمر منا لك بالدعاء لهم إلى خلاف إرادتنا، وتكليف منا لك ولهم خلاف ما يستطيعون، وأمر منا لهم بما لا ينالون، فتعالى عن ذلك علوا كبيرا، وتقدس تقديسا عظيما [٢].

٢١٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ...إلى قوله: كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٨-٣٩] [٣]؟

فقال: قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ هو: إلى مستقرها، ومعنى مستقرها الذي تجري إليه فهو: يوم القيامة الذي يكون فيه. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ يقول: تدبيره في الشمس وفعله في قطعها لفلكها، وجريها من تحت الأرض وفوقها، ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ يقول: دبرناه وقدرناه على ذلك، وجعلناه حتى صار يكون مرة صغيرا ومرة كبيرا [٤]، بتقديرنا وتدبيرنا، وما جعلنا فيه من أثر حكمتنا [٥]،﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ يقول: حتى صار من بعد الكبر، إلى شبه العرجون القديم، والعرجون فهو: العود الذي يكون فيه ثمر النخل، يكون معوجا منحنيا [٦] كانحناء الهلال في آخر شهره، فشبه انحناء الهلال في ذلك الوقت كالعرجون المنحني القديم، والقديم فهو: العتيق، فأخبر سبحانه بأثر تدبيره فيه، حتى عاد كما ذكر.

---

(١) في (ب): وأمرنا. مصحفة.

(٢) سقط من (ب): وتقدس تقديسا عظيما.

(٣) كمال الآيات: ﴿ ... ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ ...﴾.

(٤) في (ب): كبيرا ومرة صغيرا.

(٥) في (ب): وحكمنا.

(٦) في (ب): محنيا.

٢١٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝﴾ [يس:٧٤-٧٥]؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه بخطأ المشركين في أنفسهم، واتخاذهم من دونه ما لا يضرهم[1] ولا ينفعهم، وجَعلِهم لهم آلهة يعبدونهم من دون إلههم، ثم أخبر أنهم لا ينضرونهم، ولا يستطيعوا ذلك فيهم ولا في أنفسهم، ثم قال: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ يقول: الآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تنفعهم ولا تضرهم، في شيء من أمورهم، وهم مع ذلك للآلهة ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ يقول: يجتمعون على عبادتهم، وعلى التذلل والخشوع لهم، كتخشع الجند لمالكهم، فشبَّه اجتماعهم على آلهتهم، وعبادتها مِن دون ربها باجتماع الجند لمالكهم، فسمّاهم بفعلهم وتذللهم وتخشعهم للآلهة: جندا، وهم لا يجدون عندهم مع ذلك مضرة ولا نفعا.

٢١٦) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [يس:٨٣]؟

فقال: معنى قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ يقول هو: جلَّ وعَظُم، وتقدس وكَرُم، ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فهو: الله، بيده كل شيء وأزمتها، وقدرته جارية عليها بأسرها.

٢١٧) وسألت عن قول الله: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ... إلى: أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [يس:٧-١٠]؟

---

(١) في (أ): ينصرهم.

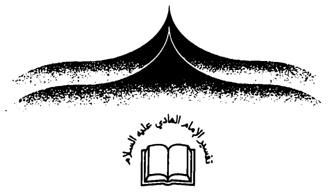
فالقول الذي حق على الفاسقين، فهو: وعيد الله وما حكم به على العاصين من العذاب المهين، يقول: قد أحق عليهم وعيدَنا ما اكتسبوه من معاصي الله، ومعنى قوله: ﴿حَقَّ﴾ [1] فهو: وجب ووقع، وصح عليهم فلن يدفع، بإدخالهم لأنفسهم في العصيان، وما به يحق عليهم القول من عذاب النيران، وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإخبار منه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم باختيارهم لما هم عليه من كفرهم، وأنهم لا يتركون ما هم عليهم من شركهم، لا أن الله فعل ذلك بهم، ولا أدخل شيئا من كفرهم عليهم.

وأما قول سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾، فقد تقدم شرح مثلها، والقول في هذه كالقول فيها.

وأما قوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ فهذا أيضا فإخبار من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن اختيارهم للكفر، وصدهم عن الهدى والإيمان، وأنهم لا يؤمنون ولو أكثر من الإنذار، وأطال من الإعذار، لما قد غلب عليهم من الحمية والجهل، وداخلهم من الحسد والدغل، لا أن الله أحدث ذلك فيهم، ولا قضاه سبحانه عليهم.



(١) في (أ): أحق.



تفسير

سورة الصافات



ومن سورة الصافات

٢١٨) وسألته عن قول الله تبارك وتعالى في إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝﴾ [الصافات:٨٨-٨٩]؟

فقال: معنى ذلك: إن قومه كانوا يعبدون النجوم السبعة، فلما نظر إلى جهلهم، وما هم عليه من عبادتهم، لما هو مخلوق مربوب، يدخل عليهم الزيادة والنقصان، وأنه آفل زائل، منتقل حائل، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، ومعنى قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: سقيم القلب لما أنتم عليه من عبادة هذه المخلوقات المحدثات، وانصرافكم [1] عن الله في كل الحالات، وقلة نظركم وتدبيركم وفكركم في عظمة خالقكم، وجهلكم في عبادة أصنامكم، واجتنابكم عن طاعة ربكم وإلهكم، وخالق هذه التي تعبدون.

ونظره في النجوم: فإنما هو فكره وتدبيره، فيما هم عليهم من عمايتهم، وقلة بصرهم [2] لأنفسهم، لا كما يقول الجاهلون: من أنه كان منجما، وأنه كان يستعمل النجوم ويحسب بها، وليس كذلك، [3] ولا يجوز على نبي الله شيء من ذلك.

٢١٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ۝ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ۝﴾ [الصافات:١-٣]؟

---

(١) في المخطوط: وإصراركم. لعلها مصحفة ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوط: نصرهم. لعلها مصحفة.

(٣) في المخطوط: ذلك. وما أثبت اجتهاد.

فقال: الصآفات فهي: الملائكة، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝﴾ [الصافات:١٦٥-١٦٦]، ومعنى صآفات فهو: وقوف صفوفا لله عابدون، و﴿ ٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ فهي: الملائكة أيضا، الزاجرات للخلق عن معاصي الله الخالق، بما تنزل به من أمر الله ونهيه، ومؤكّدات فرضه [(١)]، ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ فهن: الملائكة أيضا التي تتلو وحي الله على أنبيائه، وتنزل بزواجر آياته لأنبيائه.

٢٢٠) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝﴾ [الصافات:١١]؟

فقال: معنى ﴿أَسْتَفْتِهِم﴾ فهو: سَلْهُم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ﴾ يقول: من الملائكة والجن، وغير ذلك ممن خلقنا، يريد: أن الذي خُلق من الملائكة والجن وغير ذلك، ممن خلقناهم أشد خلقا، وأعظم أمرا، وأبين في القدرة من خلق الإنس، ثم أخبر سبحانه بالذي خلق منه الإنس [(٢)]، من هذا الطين اللازب، واللازب[(٣)] فهو: الطين العلك الشديد الملتصق.

٢٢١) وسألته عن قول الله سبحانه: و﴿أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الصافات:٢٧-٢٩]؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن تساؤل أهل النار وتلاومهم، فقال التابعون للمتبوعين: بل ﴿كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾، ومعنى ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ

---

(١) في (ب): فرائضه.
(٢) في (ب): الإنسان.
(٣) سقط من (أ): واللازب.

ٱلْيَمِينِ﴾ فهو: تأتوننا عن الأمر الميمون المبارك، الذي فيه لو اتبعناه اليُمن والنجاة، كنتم تأتوننا دونه، أي تغووننا في تركه، فهذا معنى إتيانهم إياهم عنه، أي دونه يصرفونهم منه، وينأون بهم عنه، فقال: المتَّبَعون[١] للتابعين ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم تكونوا مهتدين، ولا بالذي كذبنا به مصدقين.

٢٢٢) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝﴾ [الصافات:٤٥-٤٧]؟

والمعين هاهنا فهي: خمر الجنة المباركة الطيبة، ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ يصف حسنها وصفاها، ويخبر أنها بيضاء يلتذها كل من شربها، ويستطيب طعمها، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يقول: لا فيها أمر يغتال عقولهم، ولا يزيل أفهامهم، ولا يضعف أبدانهم، بل هي تشد أعضاءهم، وتحسن حالهم، ثم أخبر أنهم لا ينزفون عنها، والنزف فهو: ما ينزل بشُرَّاب[٢] الخمر في الدنيا من القيء الذريع، وغير ذلك مما يكون منهم من الفضائح الشنيعة، والأمور القبيحة، فأخبر[٣] سبحانه أن خمر الآخرة بَرِيَّةٌ من كل غول وبلاء، أو آفة أو ردى[٤].

٢٢٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ ... إلى قوله: فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾ [الصافات:٥١-٥٥][٥]؟

---

(١) في (ب): المتبوعون.
(٢) في (ب): بشارب خمر الدنيا.
(٣) في (ب): فأخبرنا.
(٤) في (ب): وآفة وردى.
(٥) كمال الآيات: ﴿... أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ...﴾.

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن [1] مخبر، يريد خبرا عما كان فيه أهل الدنيا، من الكفر والتكذيب، فأخبر عن هذا المخبر أن المؤمن سيقول هذا القول، يخبر به عن قرينه، الذي كان يصده عن التصديق بوعد الله ووعيده، وبعثه لخلقه من قبورهم بعد موتهم وزوالهم، فأخبر أنه كان يقول: أئنك لتصدق بما يقول به محمد، من أنك تبعث بعد موتك؟! هذا ما لا يكون، لن تبعث بعد الموت ولن تدان، ومعنى تدان فهو: نجازى على أعمالنا ونحاسب، فكان المؤمن مصدقا بما كذب به الكافر، غير مطيع له في قوله، ثم ذكره في الآخرة، فأحب أن يدري أين صار، فأطلعه الله على أمره، وأراه موضع محله من النار، وسوء القرار والدار، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝﴾ [الصافات:٥٥-٥٦] يقول: كدت أن تهلكني بما كنت تغويني به في الدنيا، وتأمرني أن أكفر بربي، فلولا رحمة الله لي لكنت من المحضرين في العذاب معك، غير أن رحمة الله تخلصني مما أوقعت فيه نفسك، إذ كنت بوعيد الله من المكذبين، وكنت أنا بوعيده من المصدقين.

٢٢٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝﴾ [الصافات:١٢٣-١٢٥]؟

فقال: وإلياس [2] صلى الله عليه نبي مرسل، عاتب قومه وزجرهم عن عبادة هذا الصنم، الذي يعبدون من دون الله، الذي اسمه بَعلٌ، فقال صلى الله عليه: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ أي: صنمكم هذا، فمعنى ﴿تَدۡعُونَ﴾ هو: تعبدون وتطيعون هذا

---

(١) في (ب): من.

(٢) في (أ): فكان إلياس.

المعبود من دون الله، الذي لا ينفع ولا يضر، تدعونه [١] إلها لكم، ﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، الذي هو رب العالمين، الله إله الأولين والآخرين، ومعنى قوله: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ فهو: أحسن الفاعلين والصانعين. والعرب تسمي كل من فعل شيئا: خالقه، تقول: خلق فلان ثوبا، أي: خيطه، وخلق فلان [٢] جدارا، أي: بناه، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض الناس يخلق ثم لا يفري

يريد: يعلم ثم لا يتم.

٢٢٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ۝ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ۝ ... إلى قوله: وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝﴾ [الصافات:١٦١- ١٦٦][٣]؟

فقال: هذا من الملائكة صلوات الله عليهم تخبر الآدميين أنهم وما [٤] يعبدون، مما هم عليه فاتنين لمن يفتنون، فأخبرت أنهم لا يفتنون في دينهم، أي: لا يدخلون معهم، فأخبرت عليها السلام: أنه لا يطيعهم على شركهم، ولا يدخل معهم في عبادة غير الله ربهم، إلا من هو [٥] شريك في الضلال والعذاب معهم.

ثم أخبرت أنها صلوات الله عليها وجميع الخلق لهم كلهم ﴿مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾،

---

(١) في (ب): بدعوته.
(٢) سقط من (ب): فلان.
(٣) كمال الآيات: ﴿... إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ۝ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝ ...﴾.
(٤) في (أ): ما.
(٥) سقط من (أ): هو.

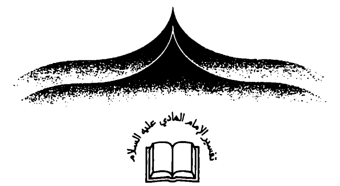
أي: موقف ومحشر مفهوم، يحشر فيه الخلق من ملك أو جني أو إنسي، ثم أخبرت أنهم هم الصآفون وهم المسبحون، ومعنى ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ فهم: الوقوف صفوفا صفوفا [1] في عبادة الله يجتهدون، وعلى طاعته بالتسبيح والتهليل والتكبير، والتعظيم والتقديس، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

٢٢٦) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الصافات:٩٦]؟

فالذي عنى بذلك سبحانه فهو: الحجارة التي ينحتونها [2] أصناما، ويعملونها لهم آلهة، وما أشبه ذلك من الأنصاب التي يعبدونها، فهذا معنى ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، فالله خلقهم ومفعولهم، ولم يخلق سبحانه فعلهم، والمفعول فهو: الصنم الذي ينحتونه من الحجارة، وفعلهم فهو: الحركة التي كانت منهم، من الرفع والوضع والنحت، فالله خلق الحجر الذي عملوه صنما، ولم يخلق الفعل الذي كان منهم في نحت الحجر.



(١) سقط من (أ): صفوفا.
(٢) في المخطوط: ينحتوها.



تفسير

سورة (ص)



ومن سورة ص

٢٢٧) قال أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل: سألت إمام المسلمين في عصره يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعلى آبائه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص:٣٤]؟

فقال: معنى قوله: ﴿فَتَنَّا﴾ يقول: امتحنا، وإنما كان ذلك من أجل ما سألته ملكة سبأ من طلبها، حين طلبت منه قربانا تُقَرِّبه [١] على ما كانت تفعل وتعرف من قديم فعلها، فسألته صلى الله عليه أن يأذن لها في بقرة تقربها، فلم يجبها، ثم سألته شاة، فكره ذلك عليها، ثم سألته طيرا، فأعلمها أن ذلك لا يحل لها، فوقعت في صدرها جرادة، فقالت له [٢]: فهذه الجرادة إئذن لي فيها، فتوهم وظن [٣] أنها مما لا إثم عليها فيه، إذ كانت مما لا تقع عليه ذكاة، فسكت عنها ولم يمنعها عن ذلك، فقطعت رأس الجرادة وأضمرت أنها قربان، فلما خرج صلى الله عليه يريد أن يتطهر [٤] على جانب البحر، نزع خاتمه من يده وكان لا يتطهر حتى ينزع الخاتم من يده - وهذا الواجب على كل متطهر، إذا أراد أن يتطهر من جنابة أو غيرها، لصلاته، أن

---

(١) في (ج): تقرب به.
(٢) سقط من (ب): له.
(٣) في (أ): فظن.
(٤) سقط من (ب): يريد أن يتطهر.

ينزع خاتمه أو يديره في إصبعه، حتى يصل الماء إلى البشر الذي يكون تحته، وينقي من الدرن ما حوله - فلما نزع الخاتم من يده، ومضى لطهوره، خرج حوت من البحر، فابتلع الخاتم وذهب في البحر، فلما فرغ سليمان من طهوره، نظر إلى الموضع الذي كان وضع فيه خاتمه فلم يقدر عليه، فعلم أن ذلك لسبب [1] قد أحدثه، وأن الله سبحانه أراد بذلك فتنته، فدعا الريح فلم تجبه، ثم دعا الطير فلم تجبه، ثم دعا الجن فلم تجبه، لما ذهب عنه [2] الخاتم، وإنما كان الخاتم سببا من الله قد جعله فيه، وبه كان يطاع، فعلم سليمان أن العقوبة قد وقعت به، ووثب العفريت الملعون على سريره عند ذلك، وهو ملكه، فكان [3] يتكلم على شبه كلام سليمان عليه السلام، وهو من وراء حجاب لا يظهر ولا يُرى له شخص، ودعا فلم تجبه إلا [4] الإنس، ومضى سليمان باكيا نادما على فعله [5]، وجعل يتبع الصيادين على سواحل البحر، يخدمهم ويعينهم وهم [6] لا يعرفونه ولا يعلمون أنه سليمان، فأقام على ذلك وقتا اختلف فيه الرواة، فقال بعضهم: أقام أربعين يوما، وقال آخرون: بل مكث خمسين يوما، وقال قوم: سبعين يوما، وهو أكثر ما قيل فيه [7]، فجعل يتبعهم ويعمل معهم، ويعطونه في كل يوم حوتين، فيبيع أحدهما فيشتري به خبزا، ويشوي الآخر فيأكله، فلما علم الله منه التوبة والرجوع، والإنابة والخضوع، أراد أن يرد عليه نعمته،

---

(١) في (ب): بسبب.

(٢) سقط من (ب): عنه.

(٣) في (أ): وكان.

(٤) سقط من (ب): إلا.

(٥) في (ب): ما فعله.

(٦) في (أ): فهم.

(٧) في (ج): وهذا. وسقط من (أ): قيل.

فانصرف ذلك اليوم ومعه الحوتان اللذان عمل بهما في يومه ذلك، فشق بطن أحدهما على ما كان يفعل، فإذا الخاتم قد خرج من بطن الحوت، فعرفه عند ذلك، فأخذه وشكر الله، وحمده على ما أولاه، ثم دعا الريح فأجابته، وكان قد أبعد عن بلده، فأمر الريح فاحتملته من ساعته إلى موضعه، وهرب اللعين العفريت لما رآه.

وقال بعض الرواة: إنه قد كان حبسه ورد الله على نبيه ملكه، ورجع إلى ما كان الله قد أعطاه، فدعا الطير والجن والريح فأجابته، ودامت نعمته [1].

---

(١) أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بينما سليمان بن داود جالسا على شاطئ البحر، وهو يعبث بخاتمه إذ سقط منه في البحر، وكان ملكه في البحر، فانطلق وخلف شيطانا في أهله، فأتى عجوزا، فأوى إليها، فقالت له العجوز: إن شئت أن تنطلق فتطلب وأكفيك عمل البيت، وإن شئت أن تكفيني عمل البيت وانطلق فالتمس. قال: فانطلق يلتمس، فأتى قوما يصيدون السمك، فجلس إليهم، فنبذوا سمكات، فانطلق بهن حتى أتى العجوز، فأخذت تصلحه، فشقت بطن سمكة، فإذا فيها الخاتم، فأخذته وقالت لسليمان عليه السلام: ما هذا؟ فأخذه سليمان عليه السلام، فلبسه، فأقبلت إليه الشياطين، والإنس، والجن، والطير، والوحش، وهرب الشيطان الذي خلف في أهلهن فأتى جزيرة في البحر، فبعث إليه الشياطين فقالوا: لا نقدر عليه أنه يرد عينا في جزية في البحر في سبعة أيام، ولا نقدر عليه حتى يسكر. قال: فصب له في تلك العين خمرا، فأقبل فشرب فسكر، فأروه الخاتم فقال: سمعا وطاعة، فأوثقه سليمان عليه السلام، ثم بعث به إلى جبل، فذكروا أنه جبل الدخان، فالدخان الذي يرون من نفسه، والماء الذي يخرج من الجبل بوله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الحسن ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: هو الشيطان. دخل سليمان عليه السلام الحمام، فوضع خاتمه عند امرأة من أوثق نسائه في نفسه، فأتاها الشيطان، فتمثل لها على صورة سليمان عليه السلام، فأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان عليه السلام أتاها فقال لها: هاتي الخاتم. فقالت: قد دفعته إليك. قال: ما فعلت ..! فهرب سليمان عليه السلام وجلس الشيطان على ملكه، وانطلق سليمان عليه السلام هاربا في الأرض يتبع ورق الشجر خمسين ليلة، فأنكر بنو إسرائيل أمر الشطان، فقال بعضهم لبعض: هل تنكرون من أمر ملككم ما نكر عليه؟ قالوا: نعم. قال: أما لقد هلكتم أنتم العامة، وأما قد هلك ملككم، فقالوا: والله إن

عندكم من هذا الخبر، نساؤه معكم، فاسألوهن، فإن كن أنكرن ما أنكرنا فقد ابتلينا. فسألوهن، فقلن: أي والله لقد أنكرنا.

فلما انقضت مدته انطلق سليمان عليه السلام حتى أتى ساحل البحر، فوجد صيادين يصيدون السمك، فصادوا سمكا كثيرا غلبهم بعضه، فألقوه فأتاهم سليمان عليه السلام، فاستطعمهم، فأعطوه تلك الحيتان، قال: لا بل أطعموني من هذا، فأبوا، فقال: أطعموني فإني سليمان، فوثب إليه بعضهم بالعصا فضربه غضبا لسليمان، فأتى إلى تلك الحيتان التي ألقوا، فأخذ منها حوتين، فانطلق بهما إلى البحر، فغسلهما فشق بطن أحدهما، فإذا فيه الخاتم، فأخذه فجعله في يده، فعاد في ملكه، فجاءه الصيادون يبيعون إليه فقال لهم: لقد كنت استطعمتكم فلم تطعموني، فلم أظلمكم إذ اهتموني، ولم أحمدكم إذا أكرمتموني.

وأخرج عبد بن حميد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان سليمان عليه السلام إذا دخل الخلاء أعطى خاتمه أحب نسائه إليه، فإذا هو قد خرج وقد وضع له وضوء فدفع خاتمه إلى امرأته، فلبث ما شاء الله.

وخرج عليها شيطان في صورة سليمان، فدفعت الخاتم إليه، فضاق درعاً به، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، فخرج سليمان عليه السلام على امرأته، فسألها الخاتم فقالت: قد دفعته إليك. فعلم سليمان عليه السلام أنه قد ابتلى، فخرج وترك ملكه، ولزم البحر، فجعل يجوع، فأتى يوما على صيادين قد صادوا سمكا بالأمس فنبذوه، صوادوا يومهم سمكا فهو بين أيديهم، فقام عليهم سليمان عليه السلام فقال: أطعموني بارك الله فيكم، فإني ابن سبيل، فلم يلتفتوا إليه، ثم عاد فقال لهم مثل ذلك، فرفع رجل منهم رأسه إليه فقال: ائت ذلك السمك فخذ منه سمكة، فأتاه سليمان عليه السلام فأخذ منه أدنى سمكة، فلما أخذها إذا فيها ريح، فأتى بها البحر، فغسلها وشق بطنها فإذا هو بخاتمه، فحمد الله وأخذه فتختم به، ونطق كل شيء كان حوله من جنوده، وفزع الصيادون لذلك، فقاموا إليه، وحيل بينهم ولم يصلوا إليه، ورد الله إليه ملكه.

وأخرج ابن جرير، عن السدي رضي الله عنه في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: الشيطان، حين جلس على كرسيه أربعين يوما. كان لسليمان عليه السلام مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها: جرادة، وهي آثر نسائه عنده وآمنهن، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها، فجاءته يوما من الأيام فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال: نعم، ولم يفعل، وابتلى فأعطاها خاتمه، ودخل المخرج،

٢٢٨) قلت: فالجسد الذي ألقي على كرسيه، هل كان جسما يظهر ويُرى؟

فقال: لا، إنما كان الذي يظهر إليهم منه، ما يسمعون من كلامه، وكان مستترا عنهم، فكانوا يظنون أنه سليمان، وأنه إنما احتجب عنهم لسبب أمره الله به، أو فعل فعله من نفسه، ولو ظهر لهم لبَان أمره عندهم، ولكن تمكن منهم بالتمويه عليهم، والمكر بهم.

٢٢٩) قلت فهل نال من الحُرم منالا، أو وصل إليهم بسبب من الأسباب [١]؟

قال: معاذ الله أن يكون نال شيئا من ذلك، أو فعل غير الذي شرحته لك من كلامه فقط [٢].

فخرج الشيطان في صورته فقال: هات الخاتم. فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان عليه السلام بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا.

قال: وخرج مكانه تائها، ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما، فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم، فجاؤوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، وأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به، ثم نشروا فقرأوا التوراة، فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر.

وأقبل سليمان في حالته التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، فاستطعمه من صيدهم، فأعطاه سمكتين، فقام إلى شط البحر، فشق بطونهما، فوجد خاتمه في بطن أحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكه. فأرسل إلى الشيطان، فجيء به فأمر به، فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه، وأقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقي في البحر. فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان إسمه حبقيق. الدر المنثور ٧/ ١٨٢ – ١٨٦.

(١) سقط السؤال من (ب).

(٢) في (ب): ومعاذ الله أن نقول: بال من الحرم منالا، أو بلغ شيئا من ذلك أو فعله، غير الذي شرحنا من كلامه.

٢٣٠) وسألته عن قول أيوب صلوات الله عليه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝﴾ [ص:٤١]؟

قال: معنى قوله: ﴿مَسَّنِيَ﴾ فهو: ما كان من كلامه ووسوسته له، وذلك أن أيوب صلوات الله عليه كان قد جعل ضيافة أضيافه إلى مرأته، فأتاه إبليس اللعين فقال: يا أيوب إن مرأتك [١] قد فضحتك اليوم في أضيافك، فأتاها فقال: ما الذي حملك على أن تفضحيني في أضيافي، أقسم لأضربنك مائة ضربة بالعصا، فلما همَّ بالذي أقسم به من ضربها، أتاه الملعون إبليس فقال: يا أيوب سبحان الله أيحل لك أن تضرب مرأة ضعيفة لم تجرم جرما، ولم تأت قبيحا، ولم تفعل أمرا تستحق منك [٢] به ضربا؟! وليس لها قوة على ضربة واحدة، فكيف مائة ضربة؟! ولا تهلكها ولا تأثم [٣] بربك في أمرها؟

فلما تركها وكف عنها، أتاه من موضع آخر، فقال: يا أيوب سبحان الله كيف يحل لك أن تقعد عنها، وقد حلفتَ لتضربنها، ولا ترجع عن يمينك، ولا تأثم بالله ربك، فلما رجع إليها ليضربها أتاه بالوسوسة على مثل الذي أتاه به أولا، فلم يزل يفعل ذلك حتى دخله الغم، وعظم عليه الأمر، فانقلب على ظهره وهو يفكر وينظر، وخالطه من الوسوسة ما غلبه على أمره، فلم يزل كذلك حتى تقرح ظهره، ولزمه المرض العظيم، وشد به الأمر، وتمادت به العلة، وذهبت [٤] ماشيته، وافترق ماله، ومات أولاده، ومرضت المرأة من الغم والحزن، فلما رأى ذلك من كان معه

---

(١) في (أ): يا أيوب مرتك.
(٢) سقط من (أ): منك.
(٣) في (ب): لا تأثم.
(٤) في (ب): وذهب.

في المنزل، أخرجوه صلى الله عليه إلى ناحية منهم على خط الطريق، وليس يقدر أن يرفع يدا ولا رجلا، واشتد به البلاء، وهو مع ذلك صابر محتسب، فلما كان يوم من الأيام مضى به نفر، فلما رأوه ونظروا إلى ما هو فيه من عظيم البلاء، وشدة النتن، قالوا: والله لو كان هذا وليا لله لأجابه ولكشف ضره، ولما أصابه شيء من هذا !! فلما سمع ذلك من قولهم، ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص:٤١].

فجاز أن يقول: مسني الشيطان، لما أن ذلك من وسوسته وكيده وسببه، فاستجاب الله له فقال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص:٤٢]، ولم يقدر أن يرفع يدا ولا رجلا، فضرب بعقبه فانبعثت عليه عين ففارت وارتفعت حتى كانت أكبر من جلسته، فجعلت تنسكب عليه وهو يغتسل بمائها[(١)]، وهي تقلع عنه كل ميت، وتنقي عنه ما كان به من الأقذار، وتميط عنه الأذى، وجعل يشرب منها، وتُخرج ما في جوفه من العلة، حتى تنقى بدنه، ورجع إلى أفضل ما كان عليه أولا، ورد الله عليه أهله وماله، وأمره أن يأخذ ضغثا فيضرب به المرأة كفارة اليمين التي حلف، فقال بعض الرواة: إنه أخذ من هذا الذي يكون فيه التمر، فجمع منه مائة غصن فضربها به ضربة، وقال بعضهم: إنه ضربها ضربتين، واختلف في ذلك، غير أن الصحيح من ذلك أنه قد جمع ضغثا فضربها به[(٢)].

---

(١) في (أ): بها.

(٢) أخرج أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الشيطان عرج إلى السماء قال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام، قال الله: قد سلطتك على ماله وولده، ولم أسلطك على جسده. فنزل فجمع جنوده فقال لهم: قد سُلطت على أيوب عليه السلام، فأروني سلطانكم، فصاروا نيرانا، ثم صاروا ماء، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم

بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهلهن وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه، وقال إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف. فأتوه بالمصائب بعضها على بعض. فجاء صاحب الزرع فقال: يا ايوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك عدوّا، فذهب به. وجاء صاحب الإبل فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على إبلك عدوا، فذهب بها، ثم جاءه صاحب البقر فقال: ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك عدوا، فذهب بها، وتفرد هو ببنيه جمعهم في بيت أكبرهم.

فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم؟! فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم. فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتني أمي، فقام فحلق رأسه، وقام يصلي، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء، وأهل الأرض ثم خرج إلى السماء فقال: أي رب أنه قد اعتصم، فسلطني عليه، فإني لا استطيعه إلا بسلطانك قال: قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه.

فنزل فنفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وألقي على الرماد حتى بدأ حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه حتى قالت له: أما ترى يا أيوب نزل بي والله من الجهد والفاقة ما أن بعث قروني برغيفز فاطعمك، فادع الله أن يشفيك ويريحك، قال: ويحك ..! كنا في النعيم سبعين عاما، فأصبري حتى نكون في الضر سبعين عاما، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا فجاء جبريل عليه السلام يوما، فأخذ بيده، ثم قال: قم. فقام فنحاه عن مكانه وقال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فركض برجله، فنبعت عين فقال: اغتسل. فاغتسل منها، ثم جاء أيضا فقال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ فنبعت عين أخرى. فقال له: اشرب منها، وهو قوله: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وألبسه الله تعالى حلة من الجنة، فتنحى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه فقالت: يا عبد الله أين المبتلي الذي كان هاهنا لعل الكلاب ذهبت به، والذئاب؟ وجعلت تكلمه ساعة فقال: ويحك ..! أنا أيوب قد رد الله عليّ جسدي، ورد الله عليه ماله وولده عيانا ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وأمطر عليهم جرادا من ذهب، فجعل يأخذ الجراد بيده، ثم يجعله في ثوبه، وينشر كساءه، فيجعل فيه، فأوحى الله إليه: يا أيوب أما شبعت؟ قال: يا رب من ذا الذي يشبع من فضلك ورحمتك.

وأخرج أحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن إبليس قعد على الطريق، فاتخذ تابوتا يداوي الناس فقالت امرأة أيوب: يا عبد الله إن هاهنا مبتلي من أمره كذا وكذا .. فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم. بشرط إن أنا شفيته أن يقول: أنت شفيتني لا أريد منه أجرا غيرهز فأتت أيوب عليه السلام فذكرت ذلك له فقال: ويحك ..! ذاك الشيطان لله عليَّ إن شفاني الله تعالى أن أجلدك مائة جلدة، فلما شفاه الله تعالى أمره أن ياخذ ضغثا فأخذ عذقا فيه مائة شمراخ، فضرب بها ضربة واحدة.

وأخرج ابن أبي حاتم قال: الشيطان الذي مس أيوب يقال له: مسوط. فقالت امرأة أيوب: أدع الله يشفيك، فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض: ما أصبه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه، فعند ذلك قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٣].

وأخرج ابن المنذر، عن ابن جرير رضي الله عنه في قوله: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا﴾ الماء ﴿مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ قال: ركض رجله اليمنى فنبعت عين، وضرب بيده اليمنى خلف ظهره فنبعت عين، فشرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قال: ضرب برجله أرضا يقال لها: الحامة، فإذا عينان ينبعان، فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

وأخرج عبد بن حميد، وبان جرير، عن الحسن رضي الله عنه أن نبي الله أيوب عليه السلام لما اشتد به البلاء إما دعا وإما عرض بالدعاء، فأوحى الله تعالى إليه أن ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ فنبعت عين، فاغتسل منها فذهب ما به، ثم مشى أربعين ذراعا، ثم ضرب برجله فنبعت عين فشرب منها.

وأخرج عبد بن حميد، عن معاوية بن قرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله أيوب عليه السلام لما أصابه الذي أصابه قال إبليس: يا رب ما يبالي ايوب أن تعطيه أهله ومثلهم معهم وتخلف له ماله وسلطانه سلطني على جسده، قال: اذهب فقد سلطتك على جسده، وإياك يا خبيث ونفسه، قال: فنفخ فيه نفخة سقط لحمه، فلما أعياه صرخ صرخة اجتمعت إليه جنوده، قالوا: يا سيدنا ما أغضبك؟ فقال: ألا أغضب أني أخرجت آدم من الجنة وإن ولده هذا الضعيف قد غلبني فقالوا: يا سيدنا ما فعلت امرأته؟ فقال: حية، فقال: أما هي فقد كفيك أمرها، فقال له: فإن أطلقتها فقد أصبت وإلا فأعطه، فجاء إليها فاستبرأها فأتت أيوب فقالت له: يا أيوب إلى متى هذا البلاء؟ كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك، فقال لها: فعلتها أنت أيضا. ثم قال لها: أما والله لئن الله تعالى عافاني لأجلدنك مائة

٢٣١) قلت فإبليس كيف كان إتيانه إلى أيوب صلى الله عليه؟

قال: لم يره عيانا، وإنما سمع كلامه ولم يبد له شخصه، وقد قال بعض الجهلة: إنه تَصَوَّر له في صورة غير صورته، وليس ذلك كما قالوا، وكيف يقدر مخلوق أن يغير خلقته، ويحول نفسه صورا مختلفة؟! وليس يقدر على ذلك إلا الله رب العالمين، الذي خلق الصور والأجسام، ونقلها من حال إلى حال، فسبحان الله رب العرش عما يصفون، ولا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

٢٣٢) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ... إلى قوله: وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص:٢١-٢٤] [(١)]؟

فقال: هذا خبر من الله سبحانه عما كان نبَّه به نبيه داود صلى الله عليه، على أمنيته

جلدة، فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ فرجع إليه حسنه وشبابه، ثم جلس على تل من التراب فجاءته امرأته بطعامه فلم تر له أثرا، فقالت لأيوب عليه السلام وهو على التل: يا عبد الله هل رأيت مبتلي كان هاهنا؟ فقال لها: إن رايتيه تعرفينه؟ فقالت له: لعلك أنت هو؟ قال: نعم. فأوحى الله إليه إن ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ قال: والضغث أن يأخذ الحزمة من السياط فيضرب بها الضربة الواحدة. الدر المنثور ٧/ ١٩٢ – ١٩٤.

(١) كمال الآيات: ﴿...إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ ...﴾.

التي كان تمنى، من نكاح امرأة أوريا، وذلك أنه لما أن تبع الطير أشرف به على رأس جدار، فأشرف داود ينظر أين توجه الطائر فوقعت عينه على مرأة أوريا وهي حاسرة، فرأى من جمالها ما رغَّبه فيها، فقال: لوددت أن هذه في نسائي، ولم يكن منه غير هذا التمني، وكلما يروى عليه صلى الله عليه من سوى ذلك، فهو باطل كذب، فلما أن تمناها نبهه الله وعاتبه في السر، وقد أعطاه أكثر من حاجته، فبعث الله إليه ملكين فتمثلا في صورة آدميين، فتسورا عليه المحراب [1] وهو يصلي، فدخلا عليه ففزع منهما، وظن أنها داهية قد دهته، وعدو قد هجم عليه في محرابه، في وقت خلوته، فقالا له: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾، معنى [2] ﴿لَا تُشْطِطْ﴾، يقول: لا تُمِل حكمك مع أحدنا، فتشطط على الآخر، ومعنى ﴿تُشْطِطْ﴾ فهو: تشدد على أحدنا في غير حق، ﴿سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ فهو: معتدله ومستقيمه ووسطه وقيِّمه، و﴿الصِّرَاطِ﴾ فهو: طريق الحق هاهنا وأوضحه، وكان لداود صلى الله عليه تسع وتسعون منكحا من الحرائر والإماء، وكان لأوريا هذا المرأة وحدها، فمثَّلا أنفسهما لداود بداود وبأوريا، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾، ومعنى﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ فهو: أتبعنيها وزدنيها إلى نعاجي، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾، يقول: شطني في الطلب وألح في تمنيها وطلبها، وذلك أنها لم تكن تسقط من نفس داود من يوم رآها، يتذكرها ويتمناها، فقال داود صلى الله عليه: ﴿قَالَ لَقَدْ

(١) في (أ): عليه من المحراب.
(٢) في (أ): يقول يريد.

ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾، فلما قال هذا لهما تغيبا من بين عينيه، فإذا به لا يبصرهما ولا يراهما، فعلم عند ذلك الأمر كيف هو وأنهما ملكان، وأن الله بعثهما إليه لينهاه عن غفلته، ويقطعا عنه بذلك ما في قلبه، من كثرة تذكره مرأة صاحبه، فأيقن أنها فتنة من الله، والفتنة هاهنا فهي: المحنة، ومعنى ﴿ظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ فهو: أيقن داود بذلك من الله، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ من ذلك التمني والذكر لهذه المرأة، فلم يذكرها بعد ذلك اليوم حتى زوجه الله إياها، حين أراد تبارك وتعالى من بعد أن اختار لأوريا الشهادة، فاستشهد وصارت إليه، فمن بعد ذلك زوَّج الله داود مرأة أوريا، وبلَّغه أمله، وأعطاه في ذلك أمنيته، فجاءه ذلك وليس في قلبه لها ذكر، ولا إرادة ولا تمني، ولم يكن لداود صلى الله عليه في أوريا ولا في قتله [١] شيء، مما يقول المبطلون، من تقديمه في أول الحرب، ولا ما يذكرون من طلبه [٢]، وتحيله في تلفه، بوجه من الوجوه، ولا معنى من المعاني، كذب العادلون بالله ! وضل القائلون بالباطل في رسول الله عليه السلام ! فهذا تفسير الآية وتخريج معانيها [٣].

---

(١) في (أ): قلبه. مصحفة.

(٢) في (ب): طلبته.

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما. أن داود عليه السلام حدث نفسه إن ابتلي أن يعتصم، فقيل له: إنك ستبتلي وستعلم اليوم الذي تبتلي فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلي فيه، فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق باب المحراب، وأدخل الزبور في حجره، وأقعد منصفا على الباب، وقال: لا تأذن لأحد عليّ اليوم.

فبينها هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مذهب كأحسن ما يكون للطير، فيه من كل لون، فجعل يدرج بين يديه، فدنا نمه، فأمكن أن يأخذه، فتناوله بيده ليأخذه، فطار فوقه على كوّة المحراب، فدنا منه ليأخذه، فطار فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله حركت رأسها، فغطت جسدها أجمع بشعرها، وكان زوجها غازيا في سبيل الله، فكتب داود عليه السلام إلى رأس الغزاة. انظر فاجعله في حملة التابوت، إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا. فقدمه في حملة التابوت فقتل.

فلما انقضت عدتها خطبها داود عليه السلام، فاشترطت عليه إن ولدت غلاما أن يكون الخليفة من بعده، وأشهدت عليه خمسا من بني إسرائيل، وكتبت عليه بذلك كتابا، فأشعر بنفسه أنه كتب حتى ولدت سليمان عليه الصلاة والسلام وشب، فتسوّر عليه الملكان المحراب، فكان شأنهما ما قص الله تعالى في كتابه، وخر داود عليه السلام ساجدا فغفر الله له، وتاب عليه.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل، وأوصى صاحب الجيش فقال: إذا حضر العدو تضرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل، أو ينهزم منه الجيش. فقتل وتزوّج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام، فسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب. رب إن لم ترحم ضعف داود، وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا في المخلوق من بعده. الدر المنثور ٧/ ١٥٥ – ١٥٦.

وأخرج ابن جرير، والحاكم، عن السدي قال: إن داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام. يوما يقضي فيه بين الناس، ويوما يخلو فيه لعبادة ربه، ويوما يخلو فيه بنسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان فيما يقرأ من الكتب قال: يا رب أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي. فأعطني مثل ما أعطيتهم، وافعل بي مثل ما فعلت بهم، فأوحى الله إليه « إن آبائك قد ابتلوا ببلايا لم تبتل بها. ابتلي إبراهيم بذبح ولده، وابتلي إسحاق بذهاب بصره، وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف، وإنك لم تبتل بشيء من لك. قال: رب ابتلني بما ابتليتهم به، وأعطني مثل ما أعطيتهم، فأوحى الله إليك: إنك مبتلي فاحترس.

فمكث بعد ذلك ما شاء الله تعالى أن يمكث، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة حتى وقع عند رجليه، وهو قائم يصلي، فمدَّ يده ليأخذه فتنحى، فتبعه فتباعد حتى وقع في كوّة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوّة، فنظر أين يقع، فبعث في أثره، فابصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فالتفَّتْ بشعرها فاستترت به، فزاده ذلك فيها رغبة، فسأل عنها، فأخبر أن لها زوجا غائبا بمسلحة كذا وكذا .. فبعث إلى صاحب المسلحة يأمره. أن يبعث إلى عدوّ كذا وكذا .. فبعثه ففتح له أيضا، فكتب إلى داود عليه السلام بذلك، فكتب إليه أن أبعثه إلى عدوّ كذا وكذا .. فبعثه فقتل في المرة الثالثة، وتزوّج امرأته.

فلما دخلت عليه لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله له ملكين في صورة إنسيين، فطلبا أن يدخلا عليه، فتسوروا عليه الحراب، فما شعر وهو يصلي إذ هما بين يديه جالسين، ففزع منهما فقالا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ إنما نحن ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ يقولا: لا تحف ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ إلى عدل القضاء، فقال: قصا عليَّ قصتكما، فقال أحدهما ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال الآخر: وأنا أريد أن آخذها فاكمل بها نعاجي مائة، قال:وهو كاره، قال: إذا لا ندعك وذاك، قال: يا أخي أنت على ذلك بقادر، قال: فإن ذهبت تروم ذلك ضربنا منك هذا وهذا. يعني طرف الأنف والجبهة.

قال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا. حيث لك تسع وتسعون امراة، ولم يكن لاوريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتلته. وتزوجت امرأته، فنظر فلم ير شيئاً، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتلى به فخر ساجداً فبكى، فمكث يبكي أربعين يوما، لا يرفع رأسه إلا لحاجة، ثم يقع ساجدا يبكي، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه، فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما «داود ارفع رأسك قد غفر لك، قال: يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي، وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء؟ إذا جاء يوم القيامة أخذ رأسه بيمينه أو بشماله، تشخب أوداجه دما قِبَل يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني، فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوت أوريا، فاستوهبك منه، فيهبك لي، فاثيبه بذلك الجنة » قال: رب الآن علمت أنك غفرت لي، فما ساتطاع أن يملاء عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم. الدر المنثور ٧/ ١٥٩ – ١٦١.

٢٣٣) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝﴾ [ص:٤٥-٤٧]؟

فقال: معنى قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فهو: اذكر فعلهم وصبرهم فينا ولنا فاقتد به، ومعنى ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾، والأيدي فهو: الحسنات المقدمات، التي ابتدأوها وها إلى أنفسهم من طاعة ربهم، والعمل بمرضاة خالقهم، فكانت أفعالهم الحسنة من طاعة الله والإخلاص له، أيادٍ قدموها لأنفسهم إلى الله، وعلى ذلك يخرج معنى قول الله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] يريد: أفعاله الحسنة، وأياديه إلى خلقه الجميلة.

ومعنى ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فهو: الاستبصار في أمر الله، والمعرفة والعلم به، وعلى ذلك يخرج معنى قول الله عز وجل في نفسه: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨، ١٣٤، الإنسان:٢]، يريد: عليما خبيرا، ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ يريد: إنا أختصصناهم بخاصة، وجعلناها لهم وفيهم، ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ فهو: بقاء ذكرهم في دار الدنيا، بما ذكرهم به في كتابه، فبقي ذكرهم باقٍ في ذريتهم، وغير ذريتهم إلى يوم القيامة، وذلك سؤال إبراهيم صلوات الله عليه [1] لربه، حين قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝﴾ [الشعراء:٨٤]، يريد: اجعل لي ذكر الخير [2] في الآخرين، يقول: من بعدي من أهل هذه الدار إلى يوم الدين، فأجابه الله وأخبر بما جعل له من الذكر الباقي في هذه الدار، ثم أخبر أنهم عنده في الدار الآخرة الباقية، أعظم منهم

---

(١) في (ب): صلى الله عليه.

(٢) في (ب): ذكرا يحييني.

ذكرا في الدار الفانية، فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا﴾ يريد: في آخرتنا ودار ثوابنا، ﴿لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾، ثم قال: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝﴾ [ص:٤٨]، يقول: اذكرهم بأنهم ممن جعلنا لهم الذكر في دار الدنيا وفي الآخرة، مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ألا ترى كيف قال: ﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ﴾، يقول: ذِكرُنا له في هذه السورة ذِكرٌ باق لهم، كما سأل إبراهيم ربه إلى يوم الدين، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝﴾ [ص:٤٩]، يقول لحسن مأوى ومرجع عند حشرهم، وإيابهم إلى ربهم.

٢٣٤) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝﴾ ... إلى قوله: أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [ص:٦٧-٧٠] [1]؟

فقال: يقول سبحانه إنها نبأهم نبأ [2] من هذه الأخبار، ومن أخبار الملائكة عليهم السلام، ﴿نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ يقول: علم غيب عظيم، ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝﴾ يقول: أنتم عن تفهمه غافلون، ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝﴾ والملأ الأعلى فهم الملائكة، ومعنى ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ فهو: يتحاورون [3] ويجيبون ويجابون، وذلك حين قال الله لهم: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، يريد: عز وجل آدم عليه السلام، فقالوا: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ - د - قَالَ - سبحانه -

---

(١) كمال الآيات: ﴿... أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ...﴾.

(٢) في (أ): انبأهم به من...

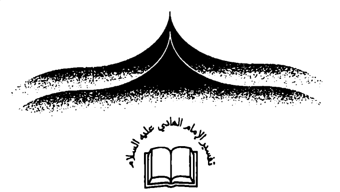
(٣) في (ب): إذ يتحاورون.

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝﴾ [البقرة:٣٠]، يقول: إني أعلم من بركته، وبركة ما يخرج منه من المطيعين، ما لا تعرفونهم ولا تفهمونهم منهم، مَن لولاه [1] ما خلقته، ولا خلقت الدنيا، محمد صلى الله عليه وآله وسلم، السراج المنير، البشير النذير، ألا ترى كيف قال: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝﴾ [ص:٧١-٧٢]، ومعنى ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ فهو: قعوا من أجل ما أظهرت فيه من عظيم صنعي ساجدين، فلما أن كان السجود من سبب آدم، جاز أن يقول: قعوا له، وإن كان [2] الوقوع والسجود لله من دونه، ولكن هذا على مجاز الكلام، كما قال: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]، والقرية لا تسأل وإنما يسأل أهلها، فلما كانت القرية من سبب أهلها، قال: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾.



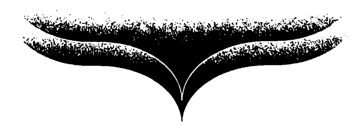
(١) في (ب): لولا هو.

(٢) سقط من (أ): كان.



تفسير

سورة الزمر



ومن سورة الزمر

٢٣٥) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر:٦]؟

فقال: النفس الواحدة: آدم صلى الله عليه، وخلقه منها زوجها فهو: خلقه من آدم حواء، وقد قيل: إن حواء خلقت من بعض آدم، فهذا معنى قوله: ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء:١]، وقد يكون خلقه لها منه (١) قبل نفخه فيه الروح، إذ هو صورة من طين ملقاة (٢).

٢٣٦) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا ... إلى قوله: ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٢٣-٢٤] (٣)؟

قال: كذلك الله سبحانه نزل أحسن الحديث، ومعنى أحسنه فهو: أحكمه، والحديث فهو: الخبر من توراة أو إنجيل أو زبور أو قرآن (٤)، وأخبر أنه أحكمُ الكتب وأقومُها، وأفضلها لديه وعنده، وهو كتاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) سقط من (ب): منه.

(٢) في (ب): إذ صوّره من طين.

(٣) كمال الآيات: ﴿... مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ...﴾.

(٤) في (أ): فرقان.

ومعنى قوله: ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ فهو: مشابه التنزيل، محكم التأويل، ﴿مَّثَانِيَ﴾ فهو: مكرر الإعذار والإنذار، والأمر والنهي، لإثبات الحجة، وتمام النعمة، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ،يريد: تقف منه هيبة وإجلالا [1]، وتصديقا وتعزيزا عظيما، ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ﴾ آمنوا واتقوا ربهم، وخشوا وعيده، وطلبوا وعده، ﴿ثُمَّ تَلِينُ﴾ من بعد الفزع والهيبة، ومعنى ﴿تَلِينُ﴾ فهو: تطمئن قلوبهم وتخفض، ثقة بوعد الله.

ثم أخبر سبحانه بما يُؤتى من كان كذلك من الهدى، جزاء على ما اختار من التقوى، ومعنى قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ فهو: من يخذل الله، ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ﴾ - مرشد ولا - ﴿هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ مسدد ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: من عمل في الدنيا عملا يستوجب به العذاب يوم القيامة، ويصلى بوجهه له، ثم أضمر هاهنا [2] شيئا، وهو معنى مثل فهو: من الهالكين، فهو: من الخاسرين، أو مثل ذلك، ومعنى ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ فهو: قول الملائكة لهم خزنة [3] جهنم وغيرها: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة:٢٠] في الدنيا، وتجحدون البعث، ولا توقنون بالحساب والعقاب، الآن فذوقوا شر [4] العذاب.

٢٣٧) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر:٢٩]؟

(١) في (ب): وجلا.

(٢) في (أ): هنا.

(٣) سقط من (أ): خزنة.

(٤) في (ب): سوء.

فقال: هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للذين يعبدون مع الله غيره، ويُشركون في أنفسهم من لم يخلقهم، فمنهم من كان يزعم أنه يتقرب بذلك إلى الله، ومنهم من كان يفعل [ذلك] جهلا لله، فضرب الله هذا المثل لهم، يعلمهم فيه أن من أخلص العبادة لله، ولم يجعل نفسه شريكا لله، خلاف من يجعل مع الله [في] نفسه شريكا، وأن المخلص لله المفرد لعبادته [1]، الذي لم يجعل له في نفسه شريكا يعبده معه، أفضل وأعظم ممن جعل نفسه لاثنين، ثم أخبر سبحانه أن مملوكا لرجل سلما له، أفضل عنده ممن [2] يشرك مملوكا بين اثنين، فهذا ما أراد الله سبحانه بهذا المثل تبارك وتعالى، أراد بذلك ينبههم على إفراد العبادة له، وترك ما يعبدون من دونه ومعه [3].

٢٣٨) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... إلى قوله: لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢] [4]؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه بقدرته على قبض أرواح العالمين، في كلتا الحالتين، حالة الموت وحالة المنام، فأخبر سبحانه أنه يتوفى نفس الميت عند انقضاء أجله وفناء عمره، ويتوفى نفس النائم عند نومه، ومعنى توفيه لنفس النائم فهو: بما ركب سبحانه وجعل وقدر، من خروج روح الإنسان عند نومه، حتى يبقى بدنه ميتا لا روح فيه، فأخبر عز وجل أن الروحين خارجان في هذين الوقتين، وأنه يحبس روح البدن الذي قضى عليه الموت عن الرجوع إلى بدنه، ويرسل روح النائم

(١) في (أ): لعبادة. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في (أ): من. وما أثبت اجتهاد.

(٣) سقط هذا السؤال وجوابه من: (ب).

(٤) كمال الآية: ﴿... وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ...﴾.

الذي لم يقض عليه الموت، فيرجع ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾، يقول: إلى وقت معلوم، كما كان للآخر، فإذا جاء الوقت لم يرجع الروح بعد خروجه من البدن.

ثم أخبر أن في ذلك لآيات للمتفكرين، ودلائل على الله للمستبصرين، وأي دلالة أو آية، أدل على الله سبحانه؟![1] من روحين يخرجان من بدنين، فيمسك أحدهما فيذهب روحه عن بدنه، ويصير إلى موته، ويرجع الروح الآخر إلى مكانه، إلى يوم مفهو: م، وقدر عند الله معلوم، (وهذا ما لا يجهل دلائله من فعل الله، إلا أعمى جائر عن الله، أو مشرك جاحد لآيات الله)[2].

٢٣٩) وسألته عن قول الله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ...﴾ [الزمر:٧٤] إلى آخر السورة[3]؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن قول المؤمنين[4]. في يوم الدين، وعند مصيرهم إلى كرامة رب العالمين، فأخبر أنهم يقولون عند ذلك: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾، يقولون[5]: الذي أنجز لنا ما وعدنا من ثوابه، وأكمل لنا ما وعدنا من كرامته، ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يريد: أرض الآخرة وأرض الجنة، ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ﴾ يقول: حيث نحب ونريد، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، يقولون: الجنة أفضل جزاء العاملين، في الطاعة لرب العالمين، معنى ﴿حَآفِّينَ مِنْ

---

(١) سقط من (أ): سبحانه.

(٢) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٣) كمال الآية: ﴿... وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

(٤) سقط من (ب): عن قول المؤمنين.

(٥) في (ب): يقول.

حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥] (١) فهو: محدقون بكل أهل الحشر في ذلك اليوم، و﴿ٱلْعَرْشِ﴾ فهو: الملك، وحفوفهم بالملك فهو: قيامهم فيه وبه في ذلك اليوم، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ [الزمر:٧٥]، يقول (٢): بين الخلق بالحق، الذي لا ظلم (٣) فيه، والحق: العدل الذي لا جور فيه، والقائل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾، فهم الملائكة المسبحون، المؤمنون (٤) الناجون، المخصوصون بالكرامة المثابون.

٢٤٠) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝﴾ [الزمر:٦٢]؟

معنى ذلك: أن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء من فعله، لا من أفعال غيره، فأفعاله بائنة من أفعال خلقه، وأفعال خلقه بائنة من فعله، وأفعال الله في خلقه، بائنة متلاحقة، يلحق آخرها أولها، ويثبت أولها لآخرها، وأفعال الخلق فغير متلاحقة، بل هي أعراض متباينة متفاوتة، لا يلحق آخرها أولها، ولا يدخل في ثاني منها، إلا بعد انقضاء الأول، فهذا الفرق بين أفعاله وأفعال خلقه، والله كما قال سبحانه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، موجود متلاحق، بريء من خلق ما لا يتلاحق، فما كان متلاحقا فهو: فعل الله، والله خَلَقَه، وما كان غير متلاحق لا يلحق أوله آخره، فذلك فعل غيره لا فعله، تبارك وتعالى عن فعل أفعال المخلوقين ! وكيف يخلق أفعالهم أو يفعلها؟! وفيها الغشم والظلم والجور، والله بريء عن فعل ذلك،

---

(١) سقط من (أ): ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾.

(٢) سقط من (ب): يقول.

(٣) في (ب): لا يظلم.

(٤) في (أ): والمؤمنون.

متقدس عن أن يكون كذلك، فلو جاز أن يكون خلق ما يفعلون، كان فاعلا لكل ظلم فعلوه، أو جور أحدثوه، أو عظيمة جاءوا بها، ولكان هو الفاعل له دونهم، إذ كان الموجد له لا هم، فافهم (- هديت - ما ذكرنا، وقس كل ما أتاك من هذا كما شرحنا)(١). ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، والوكيل هو: المحاسب الرقيب، الحفيظ لأفعال من هو عليه وكيل.

٢٤١) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢] (٢)؟

هذا إخبار من الله سبحانه بأنه القابض للأرواح المخرج لها، وأنه لا يقبضها ويتوفاها غيره عند وقت وفاتها، وبلوغ مدى موتها، وقوله: ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ فهو: ما يورد عليها من النوم المزيل للروح من البدن، لأن النائم عند نومه

(١) في (أ): كما شرحناه. وسقط من (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (ب): قوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... إلى قوله: لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.
قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: هذا إخبار من الله سبحانه لقدرته على قبض أرواح العالمين في كلتا الحالتين، حالة الموت وحالة المنام، فأخبر سبحانه أنه يتوفى نفس الميت عند انقضاء أجله وأمره، ويتوفى نفس النائم عند نومه، ومعنى توفيه لنفس النائم، فهو: بما ركب سبحانه وجعل وقدر من خروج روح الإنسان عند نومه حتى يبقى بدنه ميتا لا روح فيه، فأخبر عز وجل أن الروحين خارجان في ذين الوقتين، وأنه يحبس روح البدن الذي قضى عليه الموت عن الرجوع إلى بدنه، ويرسل روح النائم الذي لم يقض عليه الموت فيرجع إلى أجل مسمى، يقول: إلى وقت معلوم كما كان الأخر. فإذا جاء الوقت لم يرجع الروح بعد خروجه من البدون، ثم أخبر أن في ذلك لأيات للمتفكرين، ودلائل على الله للمستبصرين، وأي دلالة أو آية أدل على الله سبحانه من روحين يخرجان من بدنين، فيمسك أحدهما فيذهب روحه عن بدنه، ويصير إلى موته، ويرجع الروح الآخر إلى مكانه إلى يوم مفهو: م، وقدر عند الله معلوم.

يخرج روحه من بدنه، وتبقى نفسه في جسده، فأخبر أنه يتوفى الروح عند الوفاة وعند المنام، وهو الجوال في البدن، فلما أن كان كل ذلك من الله وبه، جاز أن يقول يتوفاهما بخروجهما، في وقتهما هذين عند الموت وعند النوم.

٢٤٢) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢]؟

فالقاسية هي: الممتنعة من قبول حق الله، الكارهة لما أنزل الله.

ومعنى قوله: ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فهو: عن ذكر الله، غير أن من قامت في مقام عن، لأنها من حروف الصفات، وحروف الصفات يخلف بعضها بعضا ويقوم بعضها مقام بعض، في ذلك ما يقول الله سبحانه، فيما يحكي عن فرعون اللعين: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، وإنما أراد: على جذوع النخل، والصلب لا يكون في الشيء، وإنما يكون عليه، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

شربن بماء البحر ثم ترفعت لدى لجج خضر لهن نئيج (١)

فقال لدى، وإنما أراد: على.

٢٤٣) وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]؟

وهذا – رحمك الله – مثلٌ ضَرَبه الله لهم، مما تعرفه العرب وتمثل به. وذلك أن العرب تقول لمالك الشيء: هو في يده، وهو في يمينه، وهي تريك بلك تأكيد الملك له، لأن كل ما كان في يد المالك فهو أقدر ما يكون عليه. واليد في كلام العرب هي: الملك.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدة يصف بها السحاب، انظر ديوانه.

ألا تسمع كيف يقول العرب: بلاد كذا وكذا في يد فلان، قرية كذا وكذا في يد فلان.

وتقول العرب: بنو فلان في يد فلان، يريدون: في طاعته وملكه، لا بين أصابعه ولا في كفه، فأرادوا بذلك الملك، ونفاذ الأمر فيهم، لا القبض بالأصابع والضم لها عليهم.

فأخبر الله تبارك وتعالى أن مقدرته على ما ذكر من السماوات المطويات، فوق مقدرتهم على ما هو في ملكهم.

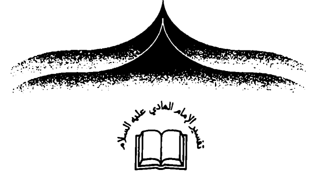
فأما قوله: ﴿مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، فإخبار منه لهم أن السماوات مطويات في ملكه، متصرفات في أمره، مجموعات في حكمه، كما يجمع الشيء المطوي جامعه، ويحوزه ويضم عليه طاويه.

فَمَثَّل لهم أمر نفاذ حكمه في السماوات وقدرته عليهم، بما يعرفون من مقدرتهم على ما يطوونه وينشرونه، من كتب أو صحف، أو غير ذلك من المطويات المملوكات.

فهذا ما عنه سألت من قول الله سبحانه في السموات إنهن مطويات.

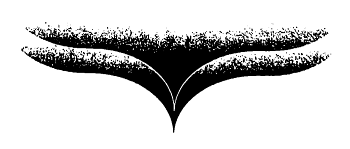






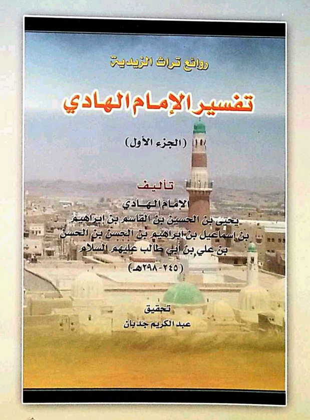
فهرس

الجزء الأول



الفهرس







Design by
00967-737234854
777742918